الدكتور محمود عساف

مع الإمام الشهيد حسن البنّا



١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

Bibliotheca Alexandrina
0276318

مع الإمام الشهيد

حسن البنا

تأليف

الدكتور محمود عساف

١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف : 297.61
ع س م
رقم التسجيل :

يطلب من مكتبة عين شمس ـ ٤٤ شارع القصر العينى
القاهرة ـ ت : ٣٥٥١٦٥٣
وجميع المكتبات الكبرى بجمهورية مصر العربية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع : ٤٤١٥ / ١٩٩٣
977 - 204 - 156 - 1 I. S. B. N.

بسم الله الرحمن الرحيم

« من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلا »

صدق الله العظيم

مقدمة

في جلسة هادئة في منزل ابنتي في مدينة برلين يوم ١٦/٨/١٩٩٢ ، بدأت تنظيم أفكاري حول هذا الكتاب وتسطيرها . فقد طلب الى كثير من الاخوان في مصر والبلاد العربية منذ سنوات أن أكتب ذكرياتي مع الامام الشهيد حسن البنا ، لما يعلموه من عمق الصلة بينه وبيني ، وملازمتي له في فترة تعد من أخطر الفترات التي مرت بها الدعوة الاسلامية متمثلة في الاخوان المسلمين : فكرا وسلوكا وعملا ، حيث كنت أعمل أمينا للمعلومات عنده ، متطوعا بغير أجر كما هو شأن الاخوان جميعا .. ، إلا القليل ممن تفرغوا للعمل معه وكان لابد من حصولهم على أجر .

أردت بهذه الذكريات أن أبين لجيل اليوم من الشباب الفائر الثائر ، الذي لم يجد مايملأ به فراغه الروحي والنفسي ، فاستجاب - عن جهل وحسن نية - الى دعاوي باطلة وتأويلات خاطئة وأفكار هدامة ، ملأ أذهانهم بها متعصبون ومتطرفون ليسوا من الاسلام الذي تعلمناه على يد حسن البنا في شيء ، ذلك الاسلام الحق الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أردت أن أقدم كذلك لهذا الجيل : حسن البنا الذي ظلمه التاريخ الحديث ، فأهمل ذكره تحت ضغوط العلمانيين وأصحاب الأفكار الهدامة ممن لايزالون يسيطر بعضهم على وسائل الاعلام في العالم العربي والاسلامي .

أقدم شخصيته وأفكاره من خلال أحداث قصيرة متفرقة ، يتلمسها القارىء دون أن أنبهه اليها .

لم يكن حسن البنا مجرد داعية اسلامي يدعو الى السلفية فحسب ، بل كان مؤسس أمة متآلفة متآخية ، مقتفيا خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أسس أمة المسلمين فى المدينة على أنقاض جاهلية عقيمة ممقوتة .

.. فإلى هؤلاء الذين تلقوا تعاليم الاسلام بطريقة خاطئة ومغرضة ، واقتفوا أثر ما أشيع عن النظام الخاص للاخوان المسلمين من ارهاب نسب الى النظام زورا ...

.. الى أولئك الذين نسوا قول الله تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ... "

.. الى الذين يهاجمون دعوة الاخوان عن جهل أو سوء قصد . والى الذين يهاجمون السلفية وهم لايعرفون معناها ... والذين يريدون أن يحرموا الدعاة الى الاسلام من العمل بالسياسة ، فى حين أن السياسة بمعنى شئون الوطن ، لابد وأن تكون فى أولى اهتمامات كل مواطن ...

الى الذين اخترعوا عبارة " الاسلام السياسى " ليتهموا الاسلاميين باستغلال الدين لصالح السياسة ، وهم لا يعلمون أن الاسلام دين ودولة ، عبادة وحياة .

.. الى الذين يعيبون على الاخوان مطالبتهم بتطبيق شريعة الله التى أنزل فى كتبه السماوية وكانت أساسا قامت عليه الدولة الاسلامية فى أزهى عصورها ...

.. الى الذين يعتقدون أن تطبيق الشريعة يسلب غير المسلمين شيئا من حقوقهم التى كفلها لهم الاسلام ...

.. الى الذين يعتبرون الأصولية سبة على جبين الاسلاميين ، وتناسوا أن معنى الأصولية فى الاسلام هى العودة للقرآن والسنة ، وتأثروا بالفكر الغربى الذى يعتبر الأصولية تطرفا مستمدين ذلك من سلوك راسبوتين ومحاكم التفتيش .

.. والى أولئك الذين يتظاهرون بالعمل على نشر دعوة الاسلام وهم لايفقهون أصولها وفلسفتها ... والى المؤرخين والأدباء الذين أهملوا حسن البنا وأثره فى تاريخ الاسلام الحديث وتناسوا ذكره ...

لكل هؤلاء وأولئك أقدم كتابى هذا لعلنا نفهم مبادىء حسن البنا مجسدة فى فكره وشخصيته .

ولقد بدأت كتابى هذا مسجلا بعض أحداث الفترة التى عايشت فيها الامام الشهيد سواء قبل حل الجماعة على يد الحزب السعدى ، أو أثناء اعتقالات عام ١٩٤٨ / ١٩٤٩ ، وأوضحت ماللنظام الخاص للاخوان المسلمين وماعليه ، مبينا الفلسفة التى قام عليها والهدف من انشائه ، من خلال قصص قصيرة وأحداث لازال النظام يهاجم من خلالها ، ثم بينت ماخفى على الجيل الحالى من أمور تتعلق بصحافة الاخوان ، ثم أوضحت بعض مالايعرفه جيل اليوم من فكر الامام الشهيد ، وأتبعت ذلك ببعض الذكريات عما حدث معى بعد الامام الشهيد ، والتى كنت أتمثل خلقه وسلوكه وأطبق تعليماته أثناءها ، وأنهيت الكتاب بذكريات ماقبل معرفتى بالاخوان ، وما كان ينتابنى وينتاب غيرى من الشباب من ملل مبعثه الفراغ الدينى والنفسى .

أسأل الله أن يثيبنا على قدر نياتنا ، وأن ينفعنا وينفع بنا أمة الاسلام . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مارس ١٩٩٣ — المؤلف

الباب الاول

كنت معه

قال اللواء كمال عبد الرازق وهو على فراش الموت بمستشفى العجوزة لصديق له جالس الى جوار فراشه ، وذلك عندما رآنى أدخل عليه زائرا :

" مامن مرة ذهبنا ونحن طلاب بكلية البوليس للالتقاء بالامام الشهيد ، إلا ووجدنا محمود عساف معه ."

وقال الاستاذ سيف الاسلام البنا يقدمنى الى رئيس الجماعة الاسلامية : (وهى حزب كبير فى باكستان) الدكتور محمود عساف .. كان الوالد يحبه كثيرا ."

الفصل الأول : أحداث متفرقة

الفصل الثانى : طرائف من المعتقلات

الفصل الثالث : مع النظام الخاص

الفصل الرابع : مع صحافة الاخوان

الفصل الخامس: من فكر الامام الشهيد

الفصل الاول

أحداث متفرقة

هذه أحداث عالقة بذاكرتى ، لم أرتبها حسب تواريخها ، فليس القصد من هذا الكتاب أن يروى تاريخ الاخوان ، بل قصدت أن أعرض أحداثا لايكاد يعرفها غيرى . على هيئة قصص قصيرة باسلوب بسيط ، متوخيا الحقائق وحدها .

من هذه الاحداث يستطيع القارىء أن يتعرف على حقيقة دعوة الاخوان المسلمين ، ويستشف فكر وشخصية الامام الشهيد حسن البنا .

سكرتير السفارة الأمريكية

فيليب أيرلاند ، السكرتير الأول للسفارة الأمريكية ، أرسل مبعوثا من قبله للاستاذ الامام كى يحدد له موعدا لمقابلته بدار الاخوان . وافق الاستاذ على المقابلة ، ولكنه فضل أن تكون فى بيت أيرلاند حيث أن المركز العام مراقب من القلم السياسى ، وسوف يؤولون تلك المقابلة ويفسرونها تفسيرا مغلوطا ليس فى صالح الاخوان .

اصطحبنى الاستاذ معه ، كما اصطحب الأخ محمد الحلوجى الذى كان مترجما فوريا ممتازا، وذهبنا الى دار أيرلاند فى شقة عليا بعمارة بالزمالك .

وبعد التحيات دخل أيرلاند فى الموضوع فقال بلغة عربية سليمة ، جعلت الأخ الحلوجى يجلس مستمعا فقط : إن موقفكم من الشيوعية معروف لنا ، ولقد عبرتم كثيرا عن أن الشيوعية الحاد يجب محاربته ، واطلعت على مقال فى جريدتكم اليومية يهاجم الشيوعية باعتبارها مذهبا هداما يحرض على الثورة المسلحة، وتلك هى سبيل الشيوعيين فى كل مكان . وطريقهم معروف، وهو نشر الاباحية التى تستهوى كثيرا من الشباب . ولقد قلتم فى تصريحاتكم العلنية أن الحل لتلافى أخطار الفكر الشيوعى المنحرف هو الاصلاح الاقتصادى وتحديد الملكية الزراعية وزيادة الانتاج القومى والعودة الى تعاليم الاسلام، وأن الأساليب البوليسية لن تجدى فى محاربة الشيوعية ، بل ستزيد الشيوعيين اصرارا وتجعل الناس يتعاطفون معهم باعتبارهم معتدى عليهم .

قال الامام : إن الشيوعية التى بدأت تنتشر فى بلادنا العربية ، تعتبر خطرا كبيرا على شعوب المنطقة شأنها فى ذلك شأن الصهيونية ، بل هى أخطر فى المدى القريب. ولدينا معلومات كثيرة عن التنظيمات الشيوعية فى مصر .

قال ايرلاند : لقد طلبت مقابلتكم حيث خطرت لى فكرة ، وهى لماذا لايتم التعاون بيننا وبينكم فى محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية ؟ أنتم برجالكم ومعلوماتكم ، ونحن بمعلوماتنا وأموالنا .

قال الامام : فكرة التعاون فكرة جيدة ، غير أن الأموال لامحل لها لأننا ندافع عن عقيدتنا ولا نتقاضى أجرا عن ذلك . غير أن هناك نقطة هامة ، وهى أنه إذا كانت مصلحتنا مشتركة فى محاربة الشيوعية ،، فإن أهدافنا مختلفة . أنتم تحاربونها لأسباب مذهبية وسياسية ، ونحن نحاربها لما فيها من الحاد . ولكن لامانع لدينا من مساعدتكم بأن نمدكم بالمعلومات المتوافرة عنها . وحبذا لو فكرتم فى إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية ، فحينئذ نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين فى هذا الأمر ، على أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية ، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائما دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم . ولك أن تتصل بمحمود عساف فهو المختص بهذا الأمر إذا وافقتم على هذه الفكرة . ويجرنى هذا الموضوع الى موضوع أخر ، وهو أنكم تؤيدون الصهيونية ، وهذا أمر يوجد جفوة بيننا وبينكم . وانكم تظنون أن منحكم المال لبعض الأحزاب المصرية سيعينكم على تحقيق مآربكم . لهذا سأكون صريحا معك .. نحن لاتهمنا أموالكم ولا نتقاضى أجرا من أحد عندما نعمل لصالح دعوتنا .

وانفض الاجتماع ، ولم يتصل بى أيرلاند أو غيره بعد ذلك من طرف السفارة الأمريكية .

ملحوظة : وردت هذه الواقعة فى كتاب الاستاذ محسن محمد " من قتل حسن البنا " نقلا عن الخطابات المتبادلة بين السفارة والخارجية الامريكية ، والتى أفرج عنها بعد مرور المدة المقررة ، ولكن بطريقة مغلوطة باعتبار أن الامام البنا هو الذى سعى الى تلك المقابلة . وهذا غير صحيح .

جواسيس الملك

كان للملك أكثر من مكتب للمخابرات الخاصة به ، علاوة على الأجهزة الرسمية التى كانت تمده بالمعلومات كالمخابرات العامة والمخابرات العسكرية والقلم السياسى ومباحث وزارة الداخلية .

وكان من دأبه أن يجمع البيانات من كل مصدر ليقارنها ببيانات المصدر الآخر ، ويتولى هذه المقارنة سمير بك ذو الفقار (من عائلة ذى الفقار أخوال الملكة نازلى) الى جانب الجهاز الذى كان يشرف عليه شخصيا .

كان سمير بك ذو الفقار رئيسا لمجلس إدارة محلات ريفولى للهدايا ، ويعمل معه فى مجلس الادارة مجموعة من الألمان . وتعرفت به فى زيارة لى الى محلات ريفولى ، وعرفته بشركة الاعلانات العربية التى أديرها وطلبت منه أن يزورها. ولم تمض أيام حتى حضر الى زيارتى ، وأبدى اعجابه الشديد بها وبجهود الشباب من الاخوان الذين اقتحموا ميدان الاعلان الذى كان قاصرا على الأجانب واليهود. ونشأت بينى وبينه صداقة ، حيث كان رجلا وطنيا متحمسا .

وعندما قررت حكومة النقراشى حل الاخوان المسلمين استجابة لتعليمات الملك والانجليز ، كان الامام حسن البنا حريصا على مقابلة الملك فاروق بأى وسيلة ولو فى السر . وقال لى إنه إذا تيسر له مقابلة الملك فإنه قادر بعون الله تعالى على قلب الميزان المعوج وجعله فى صالح دعوة الاخوان .

عرضت عليه ان يتقابل مع سمير بك ذو الفقار ، لأنه القادر فى ذلك الوقت على تدبير اللقاء الخاص . ورتبت موعدا فى مكتبى بشركة الاعلانات العربية ، وحضر الاستاذ الامام فى الموعد ، كما حضر سمير بك ذو الفقار

كذلك . عرفتهما ببعضهما ، ثم تركتهما يتحدثان بحرية وخرجت من الغرفة . بعد أن انتهى اجتماعهما عدت اليهما ، فوجدت عينى سمير بك مغرورقة بالدموع . وانصرف واعدا الاستاذ بأنه سيعمل كل مافى وسعه لكى تتم المقابلة المنشودة .

ولكن للأسف كانت الأحداث أسرع مما هو متوقع ، وصدر قرار حل الاخوان بعد يومين من هذا اللقاء .

المكتب الآخر الذى كان يعمل فى خدمة مخابرات الملك ، كانت تديره السيدة سنية قراعة ، التى ذهبت بشجاعة الى دار الاخوان المسلمين وطلبت مقابلة الامام ، فأذن لها ثم اتصل بى هاتفيا وطلب منى الحضور اليه على وجه السرعة . وجدت السيدة سنية قد ارتدت ثوبا أبيض فضفاضا ووضعت على رأسها مايشبه العمامة السماوية اللون وحجابا من ذات اللون .

قدمها الامام لى ، وقال : السيدة سنية مكلفة من السراى بجمع معلومات عن الاخوان ، وقد حضرت الينا متفضلة لتتلقى المعلومات الحقيقية من مصدرها الأصلى . ولهذا أريدك أن تكون على صله بها لتمدها بما تحتاج اليه من معلومات ، وسأقول لك ماتقوله لها فيما بعد .

كان غرض الامام ألا تحضر السيدة سنية الى دار الاخوان مرة أخرى حيث أن باب الدار تحت الرقابة المستمرة ، ويمكن أن تؤوّل زيارتها للامام تأويلات كثيرة . لهذا طلب منى أن أقابلها فى مكتبى بشركة الاعلانات العربية أو بمكتبها فى ميدان سليمان باشا .

حضرت السيدة سنية الى مكتبى بعد ذلك بثلاثة أيام ، وكنت قد

أعددت لها معلومات كافية عن الاخوان ودعوتهم وفكرهم وتشكيلاتهم ومايطالبون به من اصلاحات . وأعطيتها تلك البيانات ، واتفقنا على أن نلتقى المرة القادمة فى مكتبها .

كانت السيدة سنية تملك مكتبا للمعلومات الصحفية يشغل شقة واسعة فى مبنى كبير فى ميدان سليمان باشا فى مواجهة جروبى . ذهبت اليه ، ودخلت من الباب لأجد ردهة كبيرة صفت على جوانبها المقاعد والأرائك ، وعلى بعض المقاعد عدد من النساء الجالسات يتسامرن ويتضاحكن وهن عاريات الأذرع والأكتاف والسيقان . سألتنى واحدة : أى خدمة ؟ فقلت لها : آسف لقد أخطأت العنوان .

وانصرفت ولم أعد للقائها بعد ذلك للغرض المتفق عليه . والمرة الأخيرة التى رأيتها فيها كانت وأنا أعمل مديرا لشركة النصر للتصدير والاستيراد فى عام ١٩٦٨ ، حيث جاءت لزيارتى طالبة معاونتها بنشر اعلان عن الشركة فى مجلة ألوان جديدة التى تصدرها ، والتى هددها زوجها اللواء الدكتور شهدى بأن تغلقها بسبب خسارتها . اعتذرت لها عن عدم إمكانية النشر فى المجلة ، ثم سألتها عن أولئك النسوة اللائى رأيتهن فى ردهة مكتبها ، فقالت إنهن مندوبات أخبار صحفية ، وأنها لم تكن تدقق فى مظهرهن وكان هدفها الأول الحصول بواسطتهن على مايلزم المكتب من معلومات صحفية ومعلومات أخرى تهم السراى .

أما المكتب الثالث الذى كان يمد الملك بالمعلومات والأخبار ، فكان يديره الدكتور يوسف رشاد الذى سمعت عنه لأول مرة من تقرير مرفوع للامام ومحال الىّ للاختصاص ، حيث كان الدكتور يوسف بصحبة زوجته ناهد والملك والأميرة فوزية بعد طلاق الملكة فريدة ، على يخت بالبحر الأحمر . ونزل

الأربعة على شاطىء جزيرة صغيرة تسمى جزيرة الزمرد ، حيث يعيش فيها أحد اليهود ومعه ابنته وعدد من العمال الذين يستخرجون الزمرد ويشحنه اليهودى ليبيعه خارج مصر .

وقد حدثت على هذا اليخت مساخر كثيرة لا محل لذكرها هنا، إلا أنه اتضح من التقرير المرفوع للامام من أحد البحارة العاملين على اليخت ، أن يوسف رشاد على علاقة وثيقة جدا بالملك وأنه يدير جهازا للمخابرات الخاصة به

كان أنور السادات رحمة الله عليه حصيفا حيث كان على علاقة طيبة - قبل الثورة - بيوسف رشاد ، وكان يتلمس منه ماكان يعرفه الملك عن حركة الضباط الأحرار ، كى يتخذ الضباط حذرهم عند اللزوم .

الاخوان والحزب السياسى

من حق كل مصرى أن يعمل بالسياسة . والسياسة التى أعنيها هى العمل الوطنى . وعلى ذلك فمن حق كل مصرى أن يعمل لما فيه مصلحة الوطن . أما السياسة بمعناها الحزبى ، أى مجموعات تلتقى حول أشخاص ببرامج هلامية غير معروفة المعالم ، فهذا يعنى - من وجهة نظرى - حربا بين فئات الشعب تدور حول مصالح كل فئة ، بل أحيانا مصالح أفراد فى الفئة الواحدة .

لهذا كان للامام الشهيد رأيه فى العمل الحزبى . وجه مرة خطابا مفتوحا الى زعماء مصر على صفحات جريدة الاخوان فقال : " نحن معشر الاخوان المسلمين لن نقحم أنفسنا فى مجموعكم (أى لن ننافسكم فى العمل الحزبى) ... إن اجتمعتم وجاهدتم ناصرناكم ، وإن آثرتم ممالأة الأعداء

سنمضى فى سبيل الله والوطن مستشهدين " . (انظر : محسن محمد : من قتل حسن البنا - صفحة ١٤٣) .

وكان الانجليز ينظرون نحو اهتمام الاخوان بالسياسة ، نظرة جادة ، حيث كانوا يرون فى ذلك الوقت أن الاخوان هم القوة التى لايمكن استمالتها بالترغيب أو التهديد ، على خلاف من باقى الحزاب . وقالت جريدة التايمس البريطانية (المصدر السابق صفحة ١٥٠) : " إن احدى المجموعات الرئيسية المعارضة لبريطانيا فى مصر : الاخوان المسلمون . وهم - كما يقول مرشدهم العام - ليسوا سياسيين، بل هم ببساطة وطنيون يعملون لخير مصر ... " .

ويقول الامام الشهيد تحت عنوان وطنية الحزبية (فى رسالة دعوتنا): " إن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة الى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب ... فتلك وطنية زائفة لاخير فيها ... "

ويقول فى رسالة " مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الاسلامى " عن الأحزاب المصرية : " لقد انعقد الاجماع على أن الأحزاب المصرية هى سيئة هذا الوطن الكبرى . وهى أساس الفساد الاجتماعى ... وهى ليست أحزابا حقيقية بالمعنى الذى تعرف به الأحزاب فى بلاد الدنيا ... بل هى سلسلة من الانشقاقات والخلافات الشخصية ... الخ "

لهذا فقد طالب - فى ذات الرسالة - بحل الأحزاب المصرية المفروضة على هذا الشعب الطيب .

سألته ذات مرة : لماذا لانكون حزبا سياسيا كباقى الأحزاب وندخل الانتخابات ببرامج مثلهم ؟ فقال : نحن دعوة . ولسنا جمعية ولا هيئة ولا

حزبا .. ندعو الى الله والى تعاليم الاسلام وتطبيق شريعته . وقد تتفق الاحزاب الأخرى معنا فى هذا الاتجاه وقد تختلف . فمن اتفق معنا صار صديقا لنا ، ومن اختلف فعقابه عند الله . نحن أكبر من الأحزاب . الأحزاب هدفها الوصول الى الحكم ، أما نحن فإننا نبغى حكم الاسلام حتى ولو كان بواسطة غيرنا . يمكن للوفدى أن يكون من الأخوان الى حين .. أى إلى أن يتبين له فساد النظام الحزبى . وكذلك باقى أعضاء الأحزاب . هؤلاء الأعضاء - لاأقول الزعماء - لاشك وطنيون ، ولكن وطنيتهم قاصرة على مصر ، يهتمون بالاستقلال وطرد المستعمر وإصلاح الدستور وما الى ذلك . أما نحن فدعوة وطنية اسلامية لها الصبغة العالمية . وإن كان من اهتماماتنا الأولى اصلاح الأحوال فى مصر ، فإنما ذلك لأن مصر هى قلب العالم الاسلامى النابض ، والكل يقتدى بها .

عجبت لانضمام الاخوان الى حزب العمل . فإن هذا الذوبان فى حزب يعكس مسار الدعوة الى الوراء . وعجبت أكثر حينما تقدموا بطلب لتشكيل حزب سياسى . وحمدت الله أن رفضته لجنة الأحزاب ، بالرغم من أنى لا أتفق معها فى سبب الرفض وهو أن الحزب دينى النزعة ، ففى ألمانيا الحزب الديمقراطى المسيحى ، واسرائيل مليئة بالأحزاب الدينية ، ولكنى فرحت لأن اللجنة حالت دون انحراف الاخوان عن أساس دعوتهم التى هى دعوة الاسلام .

الاخوان والشيوعيون

مساكين هؤلاء الشيوعيون . أخذوا الشيوعية عن مفكرين . نشأوا فى مجتمعات يحكمها رجال الدين المسيحيون ، مثل راسبوتين فى روسيا الذى كانت له سيطرة كاملة على القيصرة كاترين ، ومثل رجال محاكم التفتيش وكلهم من رجال الدين المسيحى الذين كانوا يحكمون على كل من هو

مسيحى غير كاثوليكى بالكفر ويعذبونه عذابا اليما الى أن يعتنق الكثلكة ، ورجال الدين فى فرنسا الذين كانوا يمثلون طبقة تلى طبقة النبلاء فى الجاه والنفوذ والحكم .

ولو أن جوزيف ستالين كان يعرف شيئا عن الاسلام لما قال إن الدين افيون الشعوب . لقد قالها لأن الانجيل يأمر بالتسامح والغفران ، فإذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن. فأدر له الأيسر ... منتهى التسامح الذى لايفهمه ولايعيه أهل عصرنا هذا . لم يعرف جوزيف ستالين أن الاسلام كتب ، فى التوراة " أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص " (المائدة ٤٥) . فذلك حكم الله وعلينا أن نتبعه .

كان لى زميل فى وزارة التجارة عام ١٩٤٤ اسمه عمر أبو الفضل . وكان قد سبقنى فى التخرج من كلية التجارة بسنة . وكان العمل الموكل الينا ضئيلا حيث نقل اختصاصه الى وزارة التموين ، ولم يعطونا بعده عملا آخر . فكنا نقضى الوقت فى المناقشات . هو شيوعى وأنا من الاخوان . وكان من المستحيل أن نلتقى على فكر واحد . وكان يتردد عليه بعض قادة الشيوعيين مثل أحمد الخشاب وعبد المعبود الجبيلى (الذى صار فى عهد عبد الناصر وزيرا للبحث العلمى) من زعماء (حدتو) وهى منظمة شيوعية اسمها الحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى . وما أكثر الحركات الشيوعية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت . فبعضهم كان لينينيا ، والبعض تروتسكيا ، وكانت العداوة شديدة بين الطرفين . وأشد ماكان يميزهم جميعا فى ذلك الوقت ويتفقون عليه ، هو أن محاربة اليهود فى فلسطين أمر غير جائز وأن التقسيم ينبغى أن يكون . ولاعجب فى هذا فقد كان رأس الحركة كلها هنرى كورييل المليونير اليهودى .

كان عمر أبو الفضل يقول : لنا برنامج إصلاحى اقتصادى . فهل لكم برنامج ؟ سألت الامام الشهيد عن ذلك حيث كان الأمر يؤرقنى كثيرا فقال : إن برنامجنا الاقتصادى هو مايقضى به الاسلام وهو العدل . والعدل يمكن أن يتحقق فى الشيوعية وفى الرأسمالية على السواء . لذلك فإن المذاهب السياسية لاتعنينا ، ويمكن أن يطبق الاسلام فى ظل نظام اشتراكى يقوم على العدل، كما يمكن أن يطبق فى نظام رأسمالى يتوخى العدل . ونحن لا نسبق الظروف. وحينما يحين الوقت الملائم الذى لابد أن نقدم فيه برنامجنا فسنفعل . هناك مثلا : الملكية الزراعية التى ينبغى تحديدها ، وهناك الفرص التى يجب أن تمنح للناس للعلم والتملك والعمل . بحيث تكون متكافئة ، وهناك الألقاب التى ينبغى أن تلغى فالناس سواسية كأسنان المشط ... الخ .

ملحوظة : يقول خالد محي الدين فى مذكراته التى نشرت منذ أيام ، أنه انضم للاخوان مع عبد الناصر ، ثم لم يجد عندهم برنامج ، فانضم الى الشيوعيين لذلك السبب !!!

اشتد موقف الشيوعيين ضدنا وهاجمونا فى نشراتهم ، الأمر الذى دفعنا فى عام ١٩٤٦ الى أن نزرع عندهم أحد المتعاطفين مع الاخوان (هو الآن استاذ جامعى) . وكان يتقاضى منى خمسة جنيهات شهريا نظير أن يمدنا بأخبار الشيوعيين . ماكان يصلح منها للنشر فى مجلة الكشكول الجديد - التى كنت صاحبها - نشرناه ، ومثال ذلك المساخر التى كانت تحدث فى فيللا لهم بشارع القصر العينى ويجتمع فيها الأولاد والبنات يسكرون ويعربدون . أما الأخبار الأخرى فكنا نعرض مايهم الدعوة منها على الامام الشهيد ، والباقى كنا نخطر به مدير الأمن العام فوكيل الداخلية المرحوم أحمد مرتضى المراغى ، الذى حاول أن يعرف منى مصدرى فى هذه الأخبار . ولكن هيهات .

مع رجال السياسة

من أهم رجال السياسة الذين اجتمع بهم الامام الشهيد قبيل حل الاخوان : حافظ رمضان باشا واسماعيل صدقى باشا .

مع حافظ رمضان

كان حافظ رمضان رئيسا للحزب الوطنى خلفا لمحمد فريد . وكان صديقا شخصيا للامام ، شأنه فى ذلك شأن صالح حرب (باشا) رئيس جمعية الشبان المسلمين وأعضاء الحزب الوطنى وأعضاء الجمعية ، فقد كان الجميع وطنيين يعملون لصالح مصر .

بعث الىّ الامام بورقة صغيرة مع رسول وأنا فى شركة الاعلانات العربية ، يقول فيها إن حافظ باشا سيأتى الى مكتبى فى الساعة العاشرة والنصف للالتقاء به عندى .

أعددت المكتب لهذا اللقاء ، وقبل الموعد بخمس دقائق ، حضر حافظ باشا ، وجلس ينتظر الامام ، حيث كان الامام دقيقا فى مواعيده لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها .

أخذ حافظ باشا يحكى لى نادرة حصلت له فى صباح ذلك اليوم ، فقال إنه توجه للنادى (نادى التحرير حاليا ، وكان أعضاؤه قبل الثورة من أصحاب الألقاب والوزراء السابقين وكبار الاعيان) وطلب كوبا من الليمون . قال له الخادم (الجرسون) : لامؤاخذة ياباشا ! لقد صدر قرار بالأمس بأن يكون سداد المشروبات نقدا ! ثم علق على ذلك قائلا : أنا لا أحمل معى أية نقود ، وكان النادى معتادا على قيد المشروبات على حساب كل عضو ثم

يطالبه برصيده فى نهاية كل شهر . ثم قال : أخرجت دفتر الشيكات من جيبى ، وكتبت لهم شيكا بثلاثين مليما ... ثم ضحك كثيرا .

عندما حضر الاستاذ الامام ، تركت لهما غرفة مكتبى وجلست فى غرفة حسام لطفى سكرتيرى الخاص ... وبعد نصف ساعة دققت الباب مستأذنا ، وفتحته لكى أسألهما إن كانا يبغيان شيئا ، فوجدت حافظ باشا ممسكا رأس الامام بيديه ويقول : " مخ كبير ... مخ كبير " .

علمت فيما بعد أن المقابلة كانت بشأن انسحاب الاخوان من اللجنة العليا للطلبة ، التى بدأ الشيوعيون يتسللون اليها ويحاولون مع الوفديين السيطرة عليها .

مع اسماعيل صدقى

عندما كلف اسماعيل صدقى بتشكيل الوزارة فى عام ١٩٤٦ ، أخذ يبحث عمن يزيده شعبيا . فلم يجد أحدا . وكان رجلا ذكيا ، فحاول أن يطوى الاخوان المسلمين بما لهم من شعبية تحت جناحه .. زار ابراهيم رشيد زوج ابنة اسماعيل صدقى الاستاذ الامام طالبا تحديد موعد فى ذات اليوم ، ليستقبل فيه الامام اسماعيل صدقى ، بمكتبه بالمركز العام .. وتم تحديد الموعد فى الساعة الحادية عشرة صباحا بعد أن استشار الامام أعضاء مكتب الارشاد تليفونيا .

هاج الاخوان وماجوا ، لما علموا أن اسماعيل صدقى كان فى زيارة الامام ، ذلك بسبب ماهو معروف عنه من أنه لاشعبية له ، وأنه ديكتاتورى الطبع ، كاره للجماهير ويسميهم الغوغاء .

قال الامام لاسماعيل صدقى ، ان تاريخه السياسى لا يشجع للتعامل معه ، بيد أن الاخوان لا يفقدون الأمل . وعد اسماعيل صدقى بتلبية مطالب الاخوان ، وكلها مطالب وطنية تتضمن مقاومة الاستعمار الى أن يقضى عليه ، وتعديل الدستور بما يتفق مع الديموقراطية ، والسماح للاخوان بالنشاط بغير قيد ، وإقامة انتخابات نزيهة ... الخ .

قال اسماعيل صدقى : تستطيع أن تتقدم بهذه المطالب من خلال مجلس الوزراء وأنت وزير للأوقاف .

فهم الامام من هذا أن صدقى يعرض عليه الوزارة ، فقال سنفكر فى الامر .

فى المساء ، وأثناء سيرنا من المركز العام الى منزله ، سألت الامام عن حقيقة مايشاع حول قبولنا الوزارة ، فقال : مارأيك أنت ؟ قلت : لابأس فهى خطوة على الطريق ، غير أن وزارة الأوقاف ليست من مقامنا ونحن القوة الشعبية الوحيدة التى يستند اليها اسماعيل صدقى ، فحبذا لو كانت وزارة المالية مثلا أو إحدى وزارات الدرجة الأولى . أما الأوقاف فهى وزارة من الدرجة الثالثة . (لكى ترفع درجة هذه الوزارة ضم اليها اختصاص شئون الازهر بعد ذلك) .

ضحك الامام وقال : نحن رجال دعوة ولسنا رجال حكم . ألا تعلم أن وزارة الأوقاف تسيطر على مايقرب من عشرة آلاف خطيب مسجد ؟! إن هؤلاء سوف يكونون لسانا للدعوة فى كل مكان إذا تولينا وزارة الأوقاف ... لا للحكم من خلالها ، ولكن لنشر دعوتنا التى هى دعوة الاسلام .

بعد أيام شكلت الوزارة ، ولم يكن الامام من بين أعضائها ، وكانت تلك رحمة من الله حيث حفظت لنا الدعوة ونقاوة سمعة الامام الذى كنا نخشى أن يستغرقه الحكم عن العمل لها . والله لطيف بعباده .

الاخوان ومصر الفتاة

اتخذت جمعية مصر الفتاة مقرا لها قريبا من دار الاخوان المسلمين . وكانت هذه الجمعية تقلد جمعية ايطاليا الفتاة ، واتخذت لها شعارا هو " مصر فوق الجميع " مثلما اتخذت الجمعية الايطالية شعارا هو " إيطاليا فوق الجميع " .

وكان أحمد حسين رئيس الجمعية رجلا وطنيا يتفجر حماسا وحبا لمصر . ولهذا كان تأثيره بالغا على أتباعه .

وكان هناك شبه تفاهم بين الاخوان ومصر الفتاة ، فالاثنان يعملان من أجل مصر ، والاثنان يعاديان الاستعمار ، والاثنان يشجبان تعاون معظم الباشوات المصريين مع السفارة البريطانية ويعملون على كسب رضاها ... طبعا على حساب مصلحة مصر .

غير أن مصر الفتاة لم تتسم بوحدة القيادة - مثلما هو حالها الآن - وكان زعماؤها يعمل كل منهم منفردا وفقا لما يراه صوابا من وجهة نظره .

ونفاجأ فى يوم من الأيام بمقال فى مجلة مُصر الفتاة يقول فيه محرره : " حانت خاتمة الدجل والشعوذة .. الإخوان يتعاونون مع كل الأحزاب بلا مبدأ ويتحالفون مع الكل حتى الإنجليز الذين يسخرونهم لمحاربة الشيوعية

والوطنية ويفتحون لهم الشعب فى السودان وفلسطين ... الخ " . ويبدو أن كاتب هذا المقال كان شيوعيا.

طبعا ذلك كله كان افتراء ، وإن نم عن شيء فإنما ينم عن غيرة وحقد على الاخوان لذيوع انتشارهم السريع ، وإقبال الشباب على الانخراط بجوالة الاخوان وعزوفهم عن القمصان الخضر التابعين لمصر الفتاة . ولست أدرى إن كان ذلك المقال بإيعاز من أحمد حسين أم أن كاتبه كان نشازا على سياسة الجمعية (لم تكن قد سميت بحزب حتى ذلك الوقت) .

وجدنا أنه من بعد النظر أن نعلم ماذا يدور فى أدمغة قادة مصر الفتاة . فكلفنا أحد الاخوان بالانخراط فى الجمعية . هو المرحوم أسعد السيد أحمد ، الذى انضم اليها وبرز فيها سريعا لما كان له من نشاط .

بعد انضمامه بحوالى ثلاثة شهور ، جاءنى على استحياء وقال لى :
" هؤلاء الناس وطنيون ويعملون لصالح مصر ، ولايتلقون تمويلا أو مساعدة من الخارج . وأحس أن ضميرى يؤنبنى لأنهم قوم مسلمون فيهم فتحى رضوان وابراهيم شكرى ومحمد على صبيح وحمادة الناحل وآخرون ، وإذا ماحاولت التعرف على أخبارهم فإنى أكون قد خالفت أوامر الله التى تقول : " ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا " .

قلت : يا أسعد ، مادمت مقتنعا بهم فاذهب واعمل معهم بإخلاص . ويبدو أنه لاتعارض بين العمل معهم فى النشاط الوطنى وبين العمل على نشر دعوة الاسلام من خلال الاخوان المسلمين . فرح أسعد وبدأ يزيد نشاطه فى حزب مصر الفتاة الى أن وصل الى عضوية مجلس الادارة .

بعد اعتقالات الاخوان فى ديسمبر ١٩٤٨ ، والتحقيق مع بعض أعضاء النظام الخاص ، جاء ذكر أسعد السيد أحمد فى التحقيقات . وعلم بذلك أعضاء مصر الفتاة ، فاعتدوا عليه بالضرب ظنا منهم أنه عين عليهم . وأشهد الله أنه كان يعمل معهم مخلصا فى ذلك الوقت ، وبخاصة بعد أن حضر مؤتمرا عقده أحمد حسين عند سفح الهرم الأكبر معاهدا تابعيه على العمل على نصرة مصر .

الأخوان المسيحيون

انتشر الاخوان فى الأربعينات ، وبلغ عددهم مايزيد على ٦٠٠ ألف وذلك بشهادة السفارة البريطانية . وانتشرت الدعوة فى سوريا والعراق والمغرب العربى والسودان . فكان رئيس الاخوان فى سوريا الدكتور مصطفى السباعى ، وهو فقيه وداعية من الطراز الأول ، وفى العراق الشيخ محمد محمود الصواف (عضو مجمع الفقه الاسلامى بمكة المكرمة وتوفى الى رحمة الله حديثا) وفى المغرب الاستاذ الفضيل الورتلانى ، وفى السودان الاستاذ جمال السنهورى (وكان طالبا وقتذاك بحقوق القاهرة) .

وعرف عن الاخوان السماحة وعدم التعصب . بل كان لى ولغيرى أصدقاء من المسيحيين كنت ولا زلت أعتز بصداقتهم حتى الآن .

وبعد المحاضرة التى ألقاها الاستاذ الامام ببنى سويف ، والتى أطفأ بها الفتنة التى اشتعلت هناك بين المسلمين والمسيحيين ، والتى شرح فيها الامام دعوة الاسلام ، وأوضح فيها ماتتصف به الدعوة من سماحة ، وأن المسيحيين اخوة لنا لهم مالنا وعليهم ماعلينا ، وأنهم باعتبارهم أهل الذمة فهم فى ذمة المسلمين وعلى المسلمين رعايتهم والدفاع عنهم . وأشار الى

مايكنه الاسلام للمسيحيين من مودة : " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ... " وذكر الأيات التى تمجد عيسى بن مريم وأمه العذراء ... أخذ الامام يخطب ساعتين - وكنت حاضرا معه - لدرجة أن قسيسا انجيليا كان يجلس فى مواجهته ودموعه تنساب من عينيه ، مالبث حين انتهى الاستاذ من حديثه أن قام له معانقا بشدة .

بعد هذه المحاضرة التى رتب لها الأخ أحمد البساطى رئيس الاخوان ، وعقدها فى نادى البلدية وحضرها سكان بنى سويف جميعا على وجه التقريب ، حضر لزيارة الاستاذ بالمركز العام عدد من قادة المسيحيين أذكر منهم : توفيق (أو وهيب لا أذكر) دوس باشا ، ولويس فانوس ومريت بطرس غالى عضوا مجلس الشيوخ ، وطلبوا من الامام أن ينشىء شعبة باسم : " الاخوان المسيحيون " ، لكى يسهموا مع الاخوان المسلمين فى نشر الايمان بالله والحث على الفضائل . رد عليهم الامام بأن الفكرة طيبة ، ولكن يحول دون تنفيذها أن دعوتنا عالمية ولا تقتصر على مصر وحدها ، وأن نشاطنا فى مصر لايعدو أن يكون جزءا من نشاط الاخوان المسلمين العالمى ، فقد أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم للناس كافة . وعلى هذا لابأس من تكوين " الاخوان المسيحيين" وأؤكد لكم أنه سيكون هناك تعاون تام بيننا وبينكم . فى كافة مجالات عمل الخير والدعوة الى مكارم الأخلاق ومقاومة الالحاد الذى بدأ ينتشر بين شباب المتعلمين .

نشرت مجلة المصور فى ذلك الوقت أن شخصيات غير اسلامية بارزة انضموا الى الاخوان المسلمين ومن بينهم لويس فانوس ومريت بطرس غالى .

بلغ هذا الموضوع مسامع الانجليز ، فأرادوا أن يطوعوا هذه الفرصة لمصالحهم ، فأنشأوا جمعية باسم " اخوان الحرية " اتخذت مقرا لها فى

حى السيدة زينب ، ويرأسها المستر فاى - الذى كان مدرسا لى بكلية التجارة واختفى عند قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، ثم ظهر فى عام ١٩٤٢ ليقود هذه الجماعة المشبوهة ، التى حاولت تجنيد عدد من المسلمين والمسيحيين تحت شعار " الدين لله والوطن للجميع " . وطبعا لم يكن الانجليز حريصين على هذا الوطن ، بل كانوا يحاولون كسر شوكة حسن البنا وإخوانه ، ولكن هيهات ، فقد فشلت جمعيتهم فشلا ذريعا ، لأنها لم تضم بين ظهرانيها إلا كل انتهازى وأفاق ، وتلاشت كما يتلاشى الدخان فى الهواء ، مع تلاشى المال الذى كان مخصصا لها .

الجواسيس

كان بعض الاخوان يغالون فى التشدد - وهم قلة والحمد لله - غير أنى اكتشفت أن أمثال هؤلاء منحرفون عن الدعوة ويتظاهرون بالتشدد ليثق فيهم الآخرون .

وكان الامام إذا اكتشف بعضا ممن يعملون مع القلم السياسى (هو أصل المباحث العامة الحالية) - وكانت له مصادره الخاصة _ فإنه يبعث اليهم تباعا ويجلس مع كل منهم على انفراد ، ثم يقول له : عرفت أنك تعمل لحساب القلم السياسى .. فيرد الآخر طبعا منكرا بشدة . فيقول الامام له : أنا أعلم ذلك يقينا ، ولم أحضرك هنا للتحقيق معك ، بل لأحل لك المال الذى تأخذه من الحكومة . فأنت تتجسس علينا وهذا حرام . وتتقاضى أجرا نظير تجسسك فهذا الأجر حرام . وأنت لاتعلم شيئا ذا قيمة من أخبار الاخوان فتؤلف لرئاستك فى القلم السياسى أية أخبار من عندك ، وهذا كذب وهو حرام . أريد أن أبعدك عن هذا الحرام كله وأسمح لك بأن تتقاضى ماشئت من أجر من الحكومة بشرط أن تبلغهم الأخبار الصحيحة .

إذهب الى محمود عساف مدير شركة الاعلانات العربية (وهى من شركات الاخوان) وهو سيعطيك الاخبار الصحيحة مرتين كل اسبوع .

أبلغنى الامام بهذا الاتفاق . وكان يبعث لى كل يوم بأهم الأخبار فى ظرف مغلق ، أو يبلغها لى فى آخر الليل حين أصحبه الى داره . وكنت أعد أوراقا أكتبها بنفسى على الآلة الكاتبة ، كل منها يحتوى على خمسة أو ستة أخبار ، بحيث يكون هناك خبر مكرر عند كل اثنين ، وذلك لكى يصادق كل منهما على تقرير الآخر المرفوع للقلم السياسى .

كانت تلك الاخبار تتعلق غالبا بالأشخاص الهامين الذين يزورون الاستاذ الامام ، ومايدور معهم من أحاديث ومناقشات ، وبعض أخبار أقسام المركز العام كالجوالة وقسم الطلاب وقسم العمال ، مما كان يهتم به رجال القلم السياسى كثيرا . ولم نكن نؤلف أية أخبار - حيث أن الأخبار الحقيقية كانت كثيرة ومتوافرة - ولم يكن هناك داع اليها لما يحتمل أن يكتشف بعد ذلك من كذب فيها ، وكان من المهم لنا أن ينال هؤلاء الجواسيس ثقة رجال القلم السياسى .

كان الامام يقول : لو أن هؤلاء الناس عرفوا حقيقة دعوتنا ماحاربونا هذه الحرب الضروس ولما عاملتنا الحكومة هذه المعاملة السيئة ، ولما انقلبت علينا الأحزاب ، ولكن الشك يملأ قلوبهم لأنهم لم يعتادوا أن يتعاملوا مع أناس مخلصين لوطنهم ودينهم .

كان عدد هؤلاء الجواسيس سبعة ، منهم ثلاثة يعملون موظفين بالمركز العام . أحدهم كان بوابا ، وعامة الاخوان لايعرفون أنه موظف فكانوا يقولون : إن ... أبو خضرة ، رجل منقطع للدعوة يجلس دائما على

الأريكة الخشبية على باب المركز العام . وهم لم يكونوا يدرون أنه كان عينا على الداخلين والخارجين . وكان الثانى ملتحيا ، ووجهه يشبه وجه النمر ، وعيناه ضيقتان تلمعان . كان يدق على الأبواب المغلقة مناديا على من بداخل الغرف : الصلاة ! الصلاة ! الصلاة ! كان متحمسا جدا ويدق الأبواب قبل حلول وقت الصلاة بربع ساعة لكى يذهب الناس للوضوء . وكان الاخوان يقولون : كم هو ملتزم هذا الأخ ... العشماوى . (هو طبعا غير صالح عشماوى أو حسن العشماوى) ، أما الثالث فكان اسمه توفيق ... ولا أذكر لقبه . كان موظفا بمكتب الاستاذ الامام يحتفظ بصور الخطابات ويعد البريد للتصدير ، وكانت تلك فرصة له لكى يطلع على مكاتبات الاخوان .

قلت للامام يوما : لماذا لانتخلص من هؤلاء ونريح أنفسنا ؟ فقال : ياعبيط ! هؤلاء نعرفهم وإذا تخلصنا منهم سيرسلون الينا غيرهم ممن لانعرفه .

الجندى المجهول

اسمه محمد البنا . وهو لا يمت للاستاذ الامام بصلة قرابة . كنت تراه كل مساء حاملا بيده اليمنى دلوه المملوء بالطلاء ، مرة يكون اسود اللون ومرة أحمر . وفى يده الأخرى عصاه التى يتكىء عليها عند الكتابة ، ومعها فرشاة أو اثنتين للكتابة بهما .

كان يبدأ عمله بعد الساعة ١٢ ليلا والناس نيام والشوارع تكاد تخلو من المارة فى ليالى الشتاء . أما فى ليالى الصيف فكان يبدأ عمله فى الساعة الثانية صباحا ، وينهى عمله صيفا أو شتاء قبيل أذان الفجر .

كان عمله شاقا ، ولم يكن يتقاضى عنه أجرا إلا مرضاة الله تعالى . وهو من إخوان ميت غمر ، وأقام بالقاهرة لايعرف له فيها عنوان محدد ، لأنه يبيت عند أى من الاخوان الذين يعرفهم ويتناول طعامه معه أو مع غيره من الاخوان .

كان يجوب القاهرة يبحث عن الحوائط الممهدة التى يمكن أن يكتب عليها ، فإن كانت عالية إستعان بالأحجار يرتقع عليها مثلما فعله نبى الله ابراهيم عليه السلام عند بنائه للكعبة مع ولده اسماعيل .

ومتى وجد محمد البنا الحائط الملائم فإنه يكتب عليه " الاخوان المسلمون " بخط كبير مرة بالثلث ومرة بالفارسى ومرة بالنسخ ومرة بالرقعة الغليظ ، وتحتها " دعوة الحق والقوة والحرية " بخط أصغر ، غالبا مايكون خطا فارسيا أو ديوانيا . .

طلبته مرة وأنا أعمل مديرا لشركة الاعلانات العربية لكى يعمل معى بالنهار فى كتابة الاعلانات التى كان يعدها القسم الفنى عندنا ، فأجاب معتذرا بأنه لايستطيع أن يكتب على الورق ، بل على الجدران فحسب . تلك موهبة من الله : خط جميل بغير أن يتعلم قواعد الخط العربى .

كان للافتات التى ملأت أرجاء القاهرة والتى كتبها محمد البنا وحده بدون مساعد ، أثرها الكبير فى نفوس الجمهور . وكنا نحن الاخوان نسعد كلما مررنا على لافته عليها لفظ " الاخوان المسلمون" . وكنت إذا أردت أن أرى محمد البنا ، أجده دائما بالقرب من باب مكتب الامام بين المغرب والعشاء .

ترتب على هذه الحملة التى خططها ونفذها محمد البنا وحده ، أن بدأ الناس الذين لايدرون شيئا عن الاخوان المسلمين يتساءلون عما هم ، وبدأ الناس يتوافدون على المركز العام وبخاصة فى أيام الثلاثاء ليستمعوا الى الحديث الأسبوعى للامام ... وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا معاهدين مبايعين على ألا يأتوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ، تائبين من كل عمل يخالف دين الاسلام .

عاصر تلك الحملة تحقيق أجراه الاستاذ محمد التابعى فى آخر ساعة . وكان على صفحة غلافها العنوان التالى : " رهبان الليل وفرسان النهار " ثم تحقيق صحفى يشغل صفحتين من مقاس (التابلويد) عن فكر الاخوان المسلمين . فى الصباح اختفت المجلة من السوق فى ساعاته الأولى ، فأعاد الاستاذ التابعى طباعة المجلة للمرة الثانية . ومالبثت روز اليوسف أن حذت حذو آخر ساعة ، ثم المصور ، والكل يحاول أن يكتب عن الاخوان لكى يزيد التوزيع .

كان لتلك الحملة الصحفية المجانية أثرها فى نشر الدعوة ، لدرجة أن الانجليز قدروا عدد أعضاء الجماعة بستمائة ألف أو يزيدون .

المبيت مع الامام

كنت انتظر الامام الى أن يفرغ من عمله ثم أصحبه الى داره فى طريقى الى دارى . ونتحدث فى الطريق عن شئون الدعوة وعما حدث معه فى ذلك اليوم ومايحتاج اليه من عمل منى .

وصلنا الى داره وحييته مودعا ومقبلا يده ، فقال : أنا الليلة وحيد فى البيت فقد ذهبت زوجتى وأولادى لزيارة خالهم الاستاذ عبد الله الصولى فى

الاسماعيلية . واليوم الخميس وغدا الجمعة ، ولا أظن أن هناك مايمنعك من أن تبيت هذه الليلة معى .

كنت أعيش أعزبا مع أخى علوى واثنين من أولاد عمى . وكانوا معتادين على تغيبى ولايلقون بالا إلى ذلك . فقبلت المبيت معه شاكرا .

البيت بسيط جدا . ومفروش بالحصير . وليس فيه من الكماليات شىء .

قال : عندنا هنا غرفتا نوم . بإحداهما سريران ولكنهما مليئان بالبق . أما الغرفة الثانية فقد نظفت سريرها بنفسى اليوم . فإن شئت ننام سويا على هذا السرير. قبلت طبعا وارتديت احدى بيجاماته التى أحضرها لى ، وكانت قصيرة جدا ومترهلة على .

كان الوقت صيفا ، وتناولنا طعاما خفيفا من الخبز والجبن وكوبا من اللبن الحليب الساخن ، تمددنا على السرير .

كانت ليلة لاتنسى مدى العمر . فالاستاذ الامام مع بساطته له هيبة فى النفس وتقدير عظيم، ولم أكن مصدقا أنى أنام الى جواره على سرير واحد .

مالبث أن استغرق فى النوم فى حين أنى لم أنم لحظة واحدة حتى قبيل صلاة الفجر . كنت أخاف أن أتقلب من جنب الى جنب فأوقظه من سباته العميق . لذلك ظللت طول الليل شاخصا ببصرى الى لاشىء ، أفكر فقط فى أنى الآن فى مكانة لم يبلغها كثير من الاخوان قبلى . ولى أن أفخر بذلك .

نادى علىّ فضيلة الامام قبيل الفجر وأخذنا نتهجد ، ثم صلينا الصبح جماعة ثم قرأنا المأثورات وهى مجموعة من الأدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وبعد الصلاة أخذتنى سنة من النوم ، تيقظت بعدها على أصوات حركة فى الصالة حيث توجد مائدة الطعام ، فقمت وقال : لقد كنت على وشك أن أوقظك . لقد جهزت الافطار .

وجدت على المائدة صحنين من الفول المدمس الساخن بالسمن البلدى وقطعتين من الجبن ورغيفين ساخنين . تناولت معه الافطار حيث كانت الساعة السابعة صباحا . قال : أتعلم أنى لا أنام فى اليوم أكثر من ٥ ساعات ، وفى معظم الأيام لا آكل إلا وجبتين ؟

رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته .

مع الدكتور مصطفى السباعى
ورحلات الامام

كان الدكتور مصطفى السباعى رئيس الاخوان فى سوريا ، إذا حضر الى مصر فإنه يقضى معظم وقته مع الامام الشهيد . وكان الامام يصطحبه معه فى زياراته لشعب الاخوان ، وكذلك كان الشيخ محمد محمود الصواف رئيس الاخوان فى العراق (رحمه الله ، وقد كان عضوا بمجمع الفقه الاسلامى بمكة قبل وفاته حديثا ، وابلغنى قبل وفاته بانه يعد مذكراته عن الاستاذ الامام ، ولا أعرف إن كان قد تم ذلك أم لا) .

فى ذلك الوقت كان الاخوان فى سوريا فى عنفوان قوتهم حيث كانت جماعتهم قد نشأت قبل ذلك بأعوام تحت اسم " جمعية دار الأرقم " . وأذكر

من قادتهم : عمر بهاء الأميرى ، الشاعر العظيم الذى عين وزيرا بعد ذلك ، ومعروف الدواليبى (الذى ترك الاخوان والتحق بحزب الشعب لأسباب سياسية ثم صار رئيسا للوزراء ، والآن هو مستشار الملك فى المملكة السعودية) والشيخ مصطفى الزرقا ، وعبد القادر السبسبى ، وعبد الفتاح أبو غدة ، وعبد الرحمن رأفت الباشا ، وعبد القدوس أبو صالح (وكان أديبا معروفا) وبشير العوف وعصام العطار (رئيس الاخوان بسوريا حاليا) ، ذلك بالاضافة الى مصطفى السباعى .

فى يوم من الأيام حضر الدكتور السباعى الى مكتبى فى شركة الاعلانات العربية ومعه الاستاذ عمر بهاء الاميرى ، وطلبا منى تصميم ترويسة لجريدة المنار (اسم الصحيفة الذى يتصدر صفحتها الأولى) فكلفت المكتب الفنى عندنا ، فأعد ٤ تصميمات تقوم كل منها على كتابة ورسم يلائم معنى المنار . عرضت التصميمات بعد ذلك على الدكتور السباعى ، فاختار أحدها ، وأعددنا له قالبا من النحاس لكى تستخدمه الجريدة عند طباعتها .

دعانى الامام لأسافر بصحبته ومعه الدكتور السباعى . وكان الدكتور السباعى محدثا لبقا خفيف الظل .. ذهبنا الى احدى قرى قليوب لزيارة شعبة الاخوان هناك . وحضرتنا صلاة الظهر ، فتوجهنا لأدائها فى مسجد عتيق شبه مهدم بالبلدة . أبدى الدكتور السباعى رأيه فيه وطلب من الاخوان إصلاحه وصيانته ، فوعدوا بذلك .

أمنا الاستاذ الامام فى الصلاة . وكان جدار القبلة مشروخا . ولما انتهت الصلاة ، قال الدكتور السباعى للامام : لقد حضرتنى نكتة بمناسبة هذا الجدار المشروخ ... فقد وقف اثنان يصليان المغرب أمام قبلة جدارها

مشروع كهذا ، وكان أحدهما إماما والآخر مأموما . قرأ الامام بعد الفاتحة أيات من سورة طه : " قال ألقها ياموسى فالقاها فإذا هى حية تسعى ، قال ... " وتلجلج الامام لأنه رأى حية تبرز من شق جدار القبلة ، فرده المأموم : " ... خذها ولا تخف ... " فرد الإمام بطريقة عفوية : خذها انت !! (يقصد الحية الحقيقية التى برزت له) .

هكذا كانت رحلات الامام فى زياراته لشعب الاخوان مسلية للغاية .

كنا نزرو تلك الشعب لكى يطمئن الامام الى سير أوجه النشاط فيها وكان من أهم مايعنى به : مدارس الجمعة . ذلك أن الاخوان قد ابتدعوا نظاما لمحو الأمية ، تقوم به كل شعبة لخدمة بلدتها أو الحى الذى توجد فيه . فتجند أعضاءها من المدرسين وغيرهم من المتعلمين ، ليعملوا على محو أمية السكان متطوعين بغير أجر ، وذلك لمدة تقرب من ٣ ساعات كل اسبوع . وكان مقر المدرسة هو أحد المساجد ، ويوم الدراسة هو الجمعة حيث يخلو الناس من أعمالهم ويخلدون الى الراحة والتثقف ، فيجتمعون من بعد صلاة العصر الى المغرب ، ثم يصلون المغرب جماعة وينصرفون .

وكانت شعبة الاخوان توزع على الدارسين الألواح والكراسات والاقلام مجانا.

ذلك بالاضافة الى محو أمية النساء ، اذ يعمل على ذلك عضوات من الأخوات المسلمات ، بعد العشاء فى يوم يتفقن عليه كل أسبوع ، وذلك فى بيت احداهن على التتابع .

يذكرنى ذلك برحلة سافرت فيها مع الامام الى قرى الصعيد ، وقطع كل منا اشتراكا كيلومتريا بالسكة الحديدية ، بالدرجة الثانية ، وهى فى الاشتراك بسعر الدرجة الثالثة .

وأثناء ركوبنا القطار قال لى : النصيحة الأولى التى أنصحها لك هى ألا تشبع حينما تأكل . فسوف نستضاف فى الافطار عند أحد الاخوان ، ولعلك تعلم مامعنى ونوع الضيافة فى القرى ، ثم نستضاف فى الغذاء وماسوف يكون فيه من طعام ثقيل عند أخ آخر . وفى العصر سنستضاف على شاى ومعه فطائر عند أخ ثالث ، ونستضاف كذلك فى العشاء عند أخ رابع . وإذا لم تكن حريصا فى كمية الطعام فستصاب بتخمة وأمراض الهضم ، وقد يعطلنا ذلك عن رحلتنا .

فى هذه الرحلة ، أصر الاخوان الضباط فى معسكر منقباد ، على ضيافتنا ليلة لكى يجتمع فيها الامام مع الضباط ويتحدث اليهم الحديث القلبى الذى ينتظرونه منه ... ذهبنا الى الفراش بعد منتصف الليل ، وقمنا لصلاة الفجر ، وطلب الى الاستاذ الامام ألا أنام فعلينا أن نسافر بعد الافطار . بدأت أرتدى ملابسى ، ووضعت قدمى فى الحذاء فأحسست بشىء غريب . أخرجت قدمى بسرعة ونفضت الحذاء ، وإذا به عقرب كان نائما وقت أن وضعت قدمى . وكان هذا من لطف الله ورحمته .

أنور وجدى

فى يوم من أيام صيف عام ١٩٤٥ ، وكان الجو صحوا ونسمة خفيفة تداعب الشجر فى ميدان الحلمية الجديدة . كنت وقتذاك أعمل مديرا عاما وعضوا منتدبا لشركة الاعلانات العربية . ذهبت الى الاستاذ الامام كعادتى كل يوم لأتلقى تعليماته فيما يتصل بالمعلومات ، وكان فى ذلك الوقت غير مشغول بضيوف أو أعمال لها صفة الإستعجال . قال لى : " قم بنا نذهب الى البنك العربى لنفتح حساب للاخوان هناك " (إذ لم يكن للاخوان حساب بأى بنك حتى ذلك الوقت) .

كان البنك العربى حديث النشأة ، وكان مركزه فى القدس الشريف ، ويرأسه عبد المجيد شومان (أو عبد الحميد شومان - لا أذكر) وكان العرب والمسلمون متحمسون للتعامل مع هذا البنك ، فى وقت كانت البنوك فيه أجنبية كاملة أو مصرية فى ظاهرها وأجنبية فى حقيقتها ، بالاضافة الى بنوك فردية أصحابها من اليهود. ذلك فيما عدا بنك مصر الذى كان الانجليز يحاربونه بشتى الطرق ويعملون على إفشاله ، ولكن الله غالب على أمره .

ركبنا الترام من شارع محمد على من أمام مسجد قيسون متوجهين الى العتبة . ومن هناك سرنا على الاقدام الى ميدان الأوبرا الى شارع قصر النيل حيث كان البنك العربى .

توجهنا الى مكتب الرئيس ، وكان يتبع سياسة الباب المفتوح للعملاء ، ويستطيع أى عميل أن يدخل اليه بغير استئذان . دخلنا والقينا السلام ، وجلسنا على أريكة مواجهة للمكتب . وكان هناك رجل جالس على مقعد مجاور للمكتب وظهره منحرف نحونا . وكان يتحدث مع شومان بك . وفى أنتظارنا صامتين الى أن تنتهى تلك المقابلة ، فاجأنا شومان بك بقوله : " أهلا وسهلا " بصوت عال جعل الجالس الى مكتبه ينظر نحونا . وإذ بذلك الجالس ينتفض واقفا ويهتف : " حسن بك ؟ ... أهلا وسهلا ياحسن بك " ثم تقدم نحونا مصافحا الامام ثم إياى . ثم جلس على مقعد مجاور للامام وقال : " أنا أنور وجدى ... المشخصاتى ... يعنى الممثل ... طبعا انتم تنظرون الينا ككفرة نرتكب المعاصى كل يوم فى حين أنى والله أقرأ القرآن وأصلى كلما كان ذلك مستطاعا "

كانت مفاجأة لى ، فلم تكن ننادى الامام أو نشير اليه إلا بقولنا فضيلة الأستاذ . أما حسن بك ، فقد كانت نشازا .

قال له الامام :" يا أخ أنور أنتم لستم كفرة ولا عصاة بحكم عملكم . فالتمثيل ليس حراما فى حد ذاته، ولكنه حرام إذا كان موضوعه حراما . وأنت وإخوانك الممثلون تستطيعون أن تقدموا خدمة عظمى للاسلام إذا عملتم على انتاج أفلام أو مسرحيات تدعو الى مكارم الأخلاق . بل انكم تكونون أكثر قدرة على نشر الدعوة الاسلامية من كثير من الوعاظ وأئمة المساجد " .

إنى أرحب بك وآمل أن تحضر لزيارتنا بدار الاخوان المسلمين بالحلمية الجديدة لنتبادل الرأى حول مايمكن أن تسهموا به فى نشر الفضيلة والدعوة الى الله "

هكذا كان الامام ثاقب النظر بعيد التفكير . ولست أعلم ما إذا كان قد زاره أنور وجدى كما وعد أم شغلته شئون الحياة .

كانت الأفلام المصرية فى ذلك الوقت تتخذ مكانها فى قصور الباشوات الاغنياء المشغولة بالحفلات والتى بكل منها بار ، ويقدمون للضيف الوسكى علامة على الكرم . بعدها رأينا لأنور وجدى " ليلى بنت الفقراء "

صالح قدور

كنت عضوا بكتيبة المركز العام . وكانت الكتائب نظاما تربويا يجعل من الكتيبة عائلة واحدة ، يحس أعضاؤها نحو بعضهم بالتعاطف والمودة . ويتزاورون وتنشأ بينهم صداقة وطيدة لا تنفصم عراها .

وكانت الكتيبة مكونة من ٤٠ فردا ، يجتمعون مرة فى الشهر . وكان موعد كتيبتنا هو الخميس الأول من كل شهر ميلادى . نجتمع بعد

صلاة المغرب ، وكل منا يحضر معه عشاءه وبطانية ومخدة صغيرة ونصلى العشاء جماعة معا ، ثم يجلس بيننا الاستاذ الامام شارحا الآيات التى قرأها فى الصلاة . والعجيب أنه فى كل مرة صلى بنا وشرح ماقرأه ، كنا نجد جديدا فى التفسير لم يكن قد خطر على بالنا قط . وكان ذلك الشرح يطول أو يقصر حسب الأحوال ، ثم كنا نتلقى درسا فى الفقه على الاستاذ حلمى نور الدين (رحمه الله) ثم نجلس للعشاء ويقدم كل منا ما أحضره معه ، بحيث يختلط الطعام من هنا وهناك . وكان البعض يتبارى فى احضار الشاذ من الطعام ، فبعضهم يحضر فخذة ضانى بالفرن ، وآخر يحضر طبق جبنة بالمش وفطيرا مشلتتا ، والبعض حماما محشيا بالفريك ... الى آخر مالذ وطاب .

بعد الطعام كنا نجلس للمسامرة وتبادل الحديث ، فإذا كان عند بعضنا مشكلة عرضها ليتلقى اقتراحات بالحلول من زملائه ثم نقرأ المأثورات . ثم يفرش كل منا بطانيته على الأرض وننام . ثم نصحو للتهجد ، ثم صلاة الصبح يؤمها الامام الشهيد ، ثم شرح للآيات مرة أخرى ، فقراءة للمأثورات ، ثم ينصرف كل منا الى حال سبيله .

كانت تلك وسيلة التربية العملية التى انتهجها اللامام الشهيد . لم يكن يعتمد على الخطب والمقالات فحسب ، بل كان يجمع الناس معه ويكون منهم بنيانا يشد بعضه بعضا . وبهذا انفرد عن جميع المصلحين المحدثين حيث نهج منهاج النبى صلى الله عليه وسلم حينما بدأ فى تكوين المجتمع الاسلامى فى المدينة فآخى بين المهاجرين والأنصار .

فى احدى الليالى حينما ذهبنا الى النوم ، وكنا منتشرين فى قاعات المركز العام (القديم الذى حول الى دار للجريدة فيما بعد) ، كان نصيبى أن

أبيت فى قاعة الاستقبال . وكانت قاعة الاستقبال هذه يرد اليها كل من هب ودب من ريف مصر . لذلك كانت مليئة بالبق ، الذى لم يكد يحس بأنفاس النائمين حتى ينطلق فى صفوف على السجادة نحوهم ليمتص من دمائهم . بتنا نتهرش ، إلا واحدا فقط ، كان مستغرقا فى النوم ... وشخيره ملء السمع . ذلك هو الاستاذ صالح قدور ، المدرس بالمرحلة الثانوية وكبير القلب وخفيف الظل . نظرنا نحوه فوجدنا البق يسير الى حافة بطانيته من كافة الجهات ، ثم لايلبث أن يستدير متراجعا من حيث أتى . أيقظناه وسألناه عن سر المسألة فقال : أنا من أصل مغربى ! ألم تسمعوا عن سيدى قدور بن غبريط (كان مشهورا فى ذلك الوقت وتكتب عنه صحفنا) قلنا " بلى " قال فإنى تعلمت منه أن أعزم (بتشديد الزاى) على البق قبل أن أنام فينصرف عنى .

فألححنا عليه أن يعرفنا بحقيقة الأمر ، فالموضوع جد لا هزل فيه فقال : " ياعبطاء ! اذهبوا الى الغرفة اليمنى السفلية فى الطابق التحتى (البدروم) وستجدوا فيها صفيحة جاز ، اغمسوا فيها قطعة قماش ثم مرروها على حواف البطانيات التى تنامون عليها فينصرف عنها الأكلان " (البق)

تذكرت هذه الواقعة حينما حشرت أنا والاستاذ أنور الجندى فى زنزانة ضيقة فى السجن الحربى عام ١٩٥٤ ، فى الوقت الذى لم يكن لى أو له أى نشاط مع الجماعة .

كان الوقت ظهر أحد أيام شهر يناير القارس البرودة ، وكان مع كل منا بطانية واحدة ، فرشنا البطانيتين وجلسنا عليهما . وكان فى مواجهة الباب نافذة علوية مسحوب قاعها الى أسفل ، ويدخل منها ريح بارد يجمد أطرافنا قبل أن يخرج من تحت عقب الباب المرتفع عن الأرض قليلا .

وفيما نحن نتأمل الجدران التى طليت حديثا بالجير ، وإذا بأسراب البق تنساب فى صفوف منتظمة من شقوق فى السقف ، وتتجه كلها نحونا . خلع كل منا فردة حذاء وأخذنا نتسلى بقتل كل بقة تصل الى الأرض . قضينا فى ذلك أربع ساعات الى أن نودى علينا لنركب عربات النقل الى معتقل العامرية قرب الاسكندرية .

رحم الله صالح قدور رحمة واسعة فقد كان الوحيد من الاخوان الذى اتصل بى ، وأول من هنأنى هاتفيا صبيحة حصولى على الدكتوراه عام ١٩٦٣

الدمـــــور

كان الجو يومئذ حارا لايطاق . وكانت الرطوبة فى القاهرة عالية لدرجة أن الملابس الداخلية كانت تلتصق بالأبدان . وكانت الحياة صعبة بالرغم من رخص المعيشة . فالرخص شىء نسبى إذ كانت الأشياء رخيصة فى حين كان الدخل متدنيا .

كانت البيضة بمليم ، وأحيانا نشترى كل ١٢ بيضة بقرش صاغ . وكان رطل اللحم الضانى بثلاثين مليما والعجالى بخمسة وعشرين . وكان ايجار الشقة يتراوح مابين ٦٠ قرشا و١٢٠ قرشا للشقة الفاخرة ذات الأرضية الباركيه ، وحيثما ذهبت كنت ترى لافتات " للايجار " معلقة على معظم العمارات .

غير أن الدخل كان محدودا . فكان راتب الموظف بالشركات والبنوك يتراوح مابين ٦و١٠ جنيهات . ولم تكن الحكومة تعين أحدا إلا بواسطة قوية جدا ، حيث كانت الدرجات الوظيفية نادرة ، بل منعدمة إلا لمن ابتسم له

الحظ وكان ذا واسطة واصلة ، فكانت الحكومة تعين الحاصل على شهادة عالية بالدرجة السادسة براتب قدره ١٢ جنيها شهريا .

اذكر أن بعضا من زملائى من خريجى التجارة العليا ، اشتغلوا بمخازن الجيش البريطانى بالتل الكبير عام ١٩٤١ ، بمرتب قدره ٣ جنيهات عن المدة . والمدة هى ١٥ يوما . وكانوا سعداء الحظ ، حيث كانت البطالة سائدة والناس يكادون يأكلون بعضا .

كنا نسير الى الجامعة لنوفر ٦ مليمات أجر الترام . بل أذكر أننى مشيت أنا وابن عمى على قدمينا من دوران شبرا - . حيث كنا نزور بيت عمنا - الى مصر القديمة لنوفر ٦ مليمات لكل منا .

كان الدخول العمومى لبعض دور السينما بثلاثة قروش ، وكان قماش البدلة يتكلف المتر منه مابين ٣٠ و٤٠ قرشا حسب نوعه .

وفى ذلك اليوم الحار الذى أسلفت الاشارة اليه ، انتظرت الاستاذ الامام الى أن انتهى من عمله ، وخرجت معه مصاحبا الى منزله القريب .

كان الامام فى العادة لايرتدى زيا واحدا . فأحيانا يضع على رأسه العمامة على الطاقية اليمنية التى أهداه إياها الامام يحي حميد الدين ، وأحيانا يضع الطربوش القصير ، وأحيانا العمامة على الطربوش ، وأحيانا عمامة أخرى بيضاء . كما كان فى بعض الأوقات يرتدى الجلباب وعليه العباءة ، وفى أوقات أخرى يرتدى البدلة الكاملة ورباط الرقبة الملون بلون البدلة .

خرجت مع الامام ولفت نظرى أنه يرتدى حلة (بدلة) لونها سمنى ثم قال لى : " مارأيك فى هذه البدلة ؟ " قلت : جميلة . قال : أتدرى ماقماشها ؟ قلت : لعله سكروته . (وكان السكروته من أغلى الأقمشة الرجالى وتصنع منه القمصان والبدل الصيفية) . فقال لا .. إنها دمور . والقماش الدمور هو أرخص أنواع القماش والذى تصنع منه المراتب والمخدات قبل كسوتها ، وكان المتر منه لايتجاوز ٢٥ مليما وتحتاج البدلة منه الى ٦ أمتار ، أى ١٥ قرشا .

وبعد أيام ذهبت للامام فى مكتبه فى يوم حار كذلك فوجدته مرتديا بدلة عادية . سألته ما بال البدلة الدمور ؟ فقال : لقد طرحتها جانبا . أتدرى لماذا ؟ لأنها كثيرة الكشكشة ، وتتكلف من المكوى أضعاف ثمنها .

إطلاق اللحية

كنت أمينا للمعلومات مع الامام الشهيد حسن البنا - مثلما سبق ذكره - منذ أوائل عام ١٩٤٤ حتى آخر عام ١٩٤٨ . وكنت - وكان جميع من يعملون معه متطوعين - لايتقاضى أحد منهم أجرا إلا الرضا النفسى باعتباره خادما للدعوة الاسلامية .

وكنت انتظر الامام الشهيد كل ليلة حتى يفرغ من عمله بالمركز العام وأصاحبه فى الطريق الى بيته الذى لم يكن يبعد ٣٠٠ مترا . وكنا فى الطريق نتبادل الحديث .

ذات يوم نشرت جريدة الاخوان المسلمين اليومية تعليمات موجزة تقول إنه ممنوع إطلاق اللحية إلا بإذن المرشد العام . وفى مساء ذات اليوم وأنا

معه على الطريق الى منزله سألته عن تلك التعليمات وما إذا كانت تتعارض مع السنة فقال :

* هناك ظاهرة بدأت تتفشى بين الاخوان ، وهى اطلاق اللحية . حتى لمن هم فى سن المراهقة . وللحية تبعاتها . فأولا ينبغى أن تكون مقبولة الشكل تضفى على صاحبها وقارا ، وهذا لايتوافر عند المراهق . ثم إن تصرفات صاحبها يجب أن تتصف بالرزانة مادام يرغب فى أن يلتزم بالسنة . ومابالك بشاب يجلس فى الترام وهو ملتح ، وأمامه امرأة ، ويقع نظره عليها مصادفة ؟ ماذا يقول الناس من حوله ؟ " انظروا الى السنى ابن .... " وهكذا يتسبب فى سب السنيين جميعا .
* أما عن كون إطلاق اللحية من الواجبات الواردة فى السنة ، عملا بالحديث " حفوا الشوارب واعفوا اللحى " ، فإن لهذا الحديث مقدمة ، هى : " خالفوا المشركين " ثم يأتى بعد ذلك إعفاء اللحية وحف الشارب . والمشركون اليوم والملحدون يطلقون لحاهم مثلما فعل لينين وتروتسكى وكثير من اليهود شبابا وكهولا ، بل إن رجال الدين المسيحى يطلقون لحاهم - الا فى بعض مذاهبهم التى تجيز حلق اللحية .

ثم أعطانى درسا فى السنة فقال : " ألا فلتعلم أن السنة نوعان : سنة عادة ، وسنة عبادة . وسنن العبادات لامناقشة فيها . أما سنن العادات فوفقا لظروف الأحوال ، وهى ليست ملزمة . فليس المسلمون ملزمون بأن يقلدوا النبى صلى الله عليه وسلم فيما يأكل ويلبس ، وكيف كان يأكل ، وكيف كان يجلس ، وكيف كان ينام ، وكيف كان يتطهر (بثلاثة أحجار) فهذه كلها وفقا للعادات التى كانت سائدة وقت ذاك ، والعالم تغير اليوم وأوجد الله فيه الكثير من المخترعات لخدمة عبيده ، وعلينا أن نستفيد منها وإلا نكون قد كفرنا بنعمة الله " .

وها أنت ترى كثيرا من أعضاء مكتب الارشاد وأعضاء الهيئة التأسيسية للجماعة غير ملتحين ولا اعتراض على ذلك "

قال لى الشيخ مصطفى العالم فى لقاء معه فى ٦ يناير ١٩٩٣ فى جدة ، أنه بالرغم مما نشر فى الجريدة فى ذلك الوقت من منع لاطلاق اللحية إلا بإذن من المرشد العام ، فإنه أطلق لحيته . ثم التقى الامام بإخوان ميت غمر وعلى رأسهم مصطفى العالم ، فقال له الامام بغضب شديد : " لماذا أطلقت لحيتك يامصطفى بغير إذن ؟ " فقلبها مصطفى العالم الى فكاهة ليمتص غضب الامام فقال : " لقد أتعبنى إخوان ميت غمر يافضيلة المرشد فهددتهم وقلت لهم : والله لأطلقن لكم لحيتى ! " فضحك الامام والاخوة الحاضرون .

كتبت هذا الموضوع وأنا أعجب لاولئك الشباب الذين لايرون فى الاسلام إلا إطلاق اللحى ولبس الجلباب القصير ، والأكل بثلاثة أصابع ، وإجبار نسائهم على تغطية وجوههن إلا من ثقبين صغيرين ليرين من خلالهما أو من خلال غلالة سوداء ، فتكون الحياة كلها سوادا فى سواد فى أنظارهن . والشرع لايلزمهن بذلك .

زيارة الى حارة اليهود

أحس اليهود المصريون بسماحة الاخوان وانهم يدعون الى الله بغير تعصب . فجاء وفد من طرف حاييم ناحوم أفندى حاخام اليهود لزيارة الاستاذ الامام ودعوته الى زيارة حارة اليهود ليرى بنفسه كيف أنهم لايفرقون فى أعمالهم الخيرية بين يهود ومسيحيين ومسلمين . أحال الاستاذ الامام هذا الموضوع لى وللاستاذ أمين اسماعيل الذى كان يعمل وقتئذ مديرا لتحرير مجلة الكشكول الجديد التى كنت صاحب امتيازها . حددوا لنا موعدا فى مكان

فى شارع عبد الخالق ثروت . كان ذلك المكان متجرا للخمور بالجملة . انتظرنا فى الشارع بالقرب من الباب ، وإذا بصاحب هذا المتجر - وكان من ضمن الوفد الذى ذهب لزيارة الاستاذ الامام - وبصحبته سيدة فى حوالى الخمسين من عمرها ، وقال ستصحبكم مسز (لاأذكر اسمها) الى زيارة لحارة اليهود . كانت هناك عربة تنتظرنا ركبناها . جلسنا فى المقعد الخلفى وجلست السيدة الى جوار السائق . ويبدو أنه كان شخصية يهودية هامة لأنه صحبنا أثناء الزيارة . توقفت السيارة بالقرب من مدخل الحارة من جهة شارع الموسكى ، ونزلنا . وجدناها حارة نظيفة للغاية . ويبدو أنهم كانوا قد رتبوا الأمر للزيارة حيث لم نجد بائعا جائلا أو كناسا فى الطريق أو أناسا يتسكعون كما هى العادة فى الحوارى المجاورة .

دخلنا بيتا أثريا قديما يحافظون عليه جدا ، هو بيت موسى بن ميمون ، الذى كان وزيرا للحاكم بأمر الله الفاطمى . تفقدنا المنزل ذى الأرض الرخامية والاعمدة وبعض القباب ، وقادتنا السيدة الى حمام رخامى فاخر ، به إناء من رخام وابريق من نحاس أصفر ، وقالت هنا كان موسى يتوضأ . (من المعروف أنه كان يتظاهر بالاسلام ، ولذلك فإن اليهود يقدرونه أعظم التقدير ، وكان يقدم لليهود فى مصر خدمات عظيمة باعتباره وزيرا للحاكم) .

خرجنا من دار موسى لندخل الى جمعية خيرية هى الجمعية الخيرية المصرية . وقالوا لنا إنها لخدمة سكان حارة اليهود والحوارى المجاورة من يهود ومسيحيين ومسلمين . وكان أهم مكان فى هذه الجمعية هو المطعم حيث قادونا اليه ، وفيه الطعام الذى يعده الطهاة ساخنا ذا نكهة تسيل اللعاب ، ويتكون من الخضار واللحم والمكرونة والحلويات ، وبالمطعم قاعة للطعام بها مناضد رخامية نظيفة ، جلس اليها مجموعة من الرجال والنساء ، بعضهم

شكله يهودى . وسألت السيدة المصاحبة لنا البعض الآخر عن دينه ، فكان منهم المسيحى ومنهم المسلم .

كانت السيدة فى غاية السعادة حيث استطاعت أن تقنعنا أن اليهود غير متعصبين ، وأن اليهودية شىء والصهيونية شىء آخر . ولكن خاب فألها ، فإذا بنا ونحن على الباب لمغادرة المكان ، تقبل علينا امرأة يهودية عجوز من سكان الحارة ، تقول فى هياج شديد : ماهذا الذى تفعلون ؟ لقد حبستمونا فى البيوت وحرمتم علينا الخروج ، وأتيتم بالغرباء ليأكلوا أكلنا... أهذا عدل ؟ إن هذا المطعم قد أنشىء لنا وحرمتمونا اليوم من حقنا .

زعقت فيها المرأة المصاحبة لنا ، وقالت لمرافقيها : أبعدوا هذه المجنونة . ثم التفتت الينا وقالت لاتعيراها التفاتا فإنها مجنونة .

أدب الرافعى

سألت الامام الشهيد ذات يوم عن الطريقة التى أستطيع بها أن أحسن أسلوبى فى الكتابة فقال : اقرأ لمصطفى صادق الرافعى . ذهبت من فورى واشتريت كتب الرافعى المتاحة فى ذلك الوقت وهى : اعجاز القرآن ، ووحى القلم ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد .

قدم كتاب " اعجاز القرآن " الزعيم سعد زغلول قائلا : " كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم "

وكان كتاب " وحى القلم " تجميعا لمقالات نشرها مصطفى صادق الرافعى فى المجلات الأدبية فى ذلك الوقت ومن أهمها " الرسالة " التى كان

يصدرها احمد حسن الزيات ونشرت بها مقالاته منذ عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٧ . وقد قدم الكتاب الامام محمد عبده برسالة مؤرخة فى ٥ شوال عام ١٣٢١ هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٠٣ م .

يقول الرافعى فى بعض مواضع الكتاب : " قيل لأرض جدبة : من تختارين زوجك لو كنت امرأة ؟ قالت : الفأس .. الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين ."

وفى موضع آخر يقول : ايجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه ... كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم ايديكم ... كانوا يرمون بأنفسهم فى سبيل الله غير مكترثين ، فارموا أنتم فى سبيل الحق بالدنانير والدراهم ... لماذا كانت القبلة فى الاسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول الى الجهة الواحدة ؟ لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت بالحق ؟

أيها المسلمون ! كونوا هناك . كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعانى ...

كان ذلك بمناسبة الحرب بين الفلسطينيين والعصابات الصهيونية ، إذ يقول فى نهاية المقال : كل قرش يبذله المسلم لفلسطين ، يتكلم يوم الحساب يقول : ياربّ ، أنا إيمان فلان !

مما أعجبنى فى وحى القلم : " قصة الأيدى المتوضئة " التى تحكى كيف كان شباب الاخوان المسلمين يجمعون التبرعات لفلسطين فى أحد المساجد ، وكيف كان رد الفعل عند المشايخ من رجال الدين بعكس ماكان

عند البسطاء من العامة ، وذلك بأسلوب رقيق ساخر ... يقول عن رجال الدين : والعجيبُ أن هذا الذى لايجهلُه أحدٌ من أهل الدين ، يعرفهُ بعضُ علماءِ الدين على وجهٍ آخر ، فتراه فى المسجد يمشى مختالاً ، قد تحلّى بحلْيته ، وتكلّف لزَهوِه ، فلبس الجبةَ تَسَعُ اثنين ، وتَطاوَلَ كأنه المِئذَنة ، وتَصَدَّر كأنه القِبْلة ، وانتفخ كأنه ممتلىءُ بالفُروق بينه وبين الناس ؛ وهو بعد كل هذا لو كشفَ اللّه تمويهَهُ لانكشف عن تاجرِ علمٍ بعضُ شروطِه على الفضيلة أن يأكلَ بها ، فلا يجدُ دنيا ذاتِه إلا فى المسجد ، فهو نوعٌ من كَذبِ العالمِ الدينىِّ على دينه .

ويقول عن الشبان الذين يجمعون التبرعات : ولما قُضِيَتْ الصلاةُ ماج الناسُ وفيهم جماعةٌ من الشبان يصيحون بهم يستوقفونهم ليخطبوهم ؛ ثم قام أحدُهم فخطب ، فذكر فلسطين وما نزل بها ، وتغيُّرَ أحوالِ أهلها، ونكبتَهم وجهادَهم واختلالَ أمرِهم ، ثم استنجد واستعان ، ودعا المُوسِرَ والمُخِفَّ إلى البذلِ والتبرع وإقراضِ الله تعالى ؛ وتقدم أصحابُه بصناديقَ مختومة ، فطافوا بها على الناس يجمعون فيها القليلَ والأقلَّ من دراهمَ هى فى هذه الحال دراهمُ أصحابها وضمائرُهم ... وقعت الصيحة فى المكان ؛ فجاء أحدُ الخطباء ووقف يفعلُ مايفعله الرعد : لايكرر إلا زمجرةً واحدة ؛ وكان الشيوخ الأجلاَّء قد سمعوا كلَّ ماقيل ، فأطرقوا يسمعونه مرةً رابعة أو خامسة ؛ وفرغ الشباب من هديره فتحول إليهم وجلس بين أيديهم متأدبا متخشّعا ووضع الصندوق المختوم . فقال أحد الشيوخ : ممن أنت يابنىَ ؟ قال : من جماعة الاخوان المسلمين . قال الشيخ : لم يخفَ علينا مكانُك ، وقد بذلتم مااستطعتم ؛ فبارك اللّه فيك وفى أصحابك .

قال الراوى : وكان الى جانبى رجل قروى من هؤلاء الفلاحين الذين نعرف الخير فى وجوههم ، والصبر فى أجسامهم ، والقناعة فى نفوسهم ،

والفضل فى سجاياهم ؛ إذ امتزجت بهم روح الطبيعة الخصبة فتخرج من أرضهم زروعا ومن أنفسهم زروعا أخرى - فقال لرجل كان معه : إن هذا الخطيب - خطيب المسجد - قد غشنا وهؤلاء الشبان قد فضحوه ؛ فما ينبغى أن تكون خطبة المسلمين إلا فى أخص أحوال المسلمين .

قال : ونبّهنى هذا الرجل الساذج الى معنى دقيق فى حكمة هذه المنابر الاسلامية ؛ فما يريد الاسلام إلا أن تكون كمحطات الاذاعة ، يلتقط كل منبر أخبار الجهات الاخرى ويُذيعها فى صيغة الخطاب الى الروح والعقل والقلب ، فتكون خطبة الجمعة هى الكلمة الاسبوعية فى سياسة الاسبوع أو مسئلة الاسبوع ؛ وبهذا لايجىء الكلام على المنابر إلا حيًّا بحياة الوقت ، فيصبح الخطيب ينتظره الناس فى كل جمعة انتظار الشىء الجديد ؛ ومن ثم يستطيع المنبر أن يكون بينه وبين الحياة عمل ...

قال : وأخرج القروى كيسه فعزل منه دراهم وقال : هذه لطعام أتبلّغ به ولأوبتى الى البلد ، ثم أفرغ الباقى فى صناديق الجماعة ؛ واقتديت أنا به فلم أخرج من المسجد حتى وضعت فى صناديق الجماعة كلّ مامعى ! ولقد حسبت أنه لو بقى لى درهم واحد لمضى يسبُّنى مادام معى الى أن يخرج عنى .

ويقول عن خطيب المسجد وسيفه الخشبى : وصعد الخطيب المنبر وفى يده سيفه الخشبى يتوكأ عليه ؛ فما استقر فى الذّروة حتى خُيل إلىّ أن الرجل قد دخل فى سر هذه الخشبة ، فهو يبدو كالمريض تُقيمه عصاه ، وكالهرم يُمسكه مايتوكأ عليه ؛ ونظرتُ فإذا هو كذِب صريح على الاسلام والمسلمين ، كهيئة سيفِه الخشبى فى كذبها على السيوف ومعدنها وأعمالها ...

أفى سيف من الخشب معنوية غير معنى الهزل والسخافة ، وبلاهة

العقل وذلة الحياة ، ومسخ التاريخ الفاتح المنتصر ، والرمزِ لخضوع الكلمة وصبيانية الارادة ؟

قال : وكان تمام الهزْءِ بهذا السيف الخشبى الذى صنعته وزارة أوقاف المسلمين ، أنه فى طول صَمصَامةِ عمرو بن معديكرب الزُّبيدى فارس الجاهلية والاسلام ، فكان الى صدر الخطيب ، ولولا أنه فى يده لظهر مقبضه فى صدر الرجل كأنه وِسام من الخشب ....

ويقول عن أصحاب اللحى : ... فإذا هناك رجال من علماء المسلمين ، اثنان أو ثلاثة (الشك فى ثالثهم لأنه حليق اللحية) . ثم توافد اليهم آخرون فتموا سبعة : ورأيتهم قد خلطوا بأنفسهم صاحب (اللالحية) ، فعلمت أنه منهم على المذهب الشائع فى بعض العصريين من العلماء والقضاة الشرعيين ، أحسبهم يحتجون بقوله تعالى : " ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم " ؛ وكل امرىء فإنما تُبَصِّره مرآته كيف يظهر فى أحسن تقويم ، أبلحيةٍ أم بلا لحية ... ؟

وأدرت عينى فى وجوههم ، فإذا وقار وسمت ونور لم أر منها شيئا فى وجه صاحب (اللالحية) ؛ وأنا ما أبصرت قط لحية رجل عالم أو عابد أو فيلسوف أو شاعر أو كاتب أو ذى فن عظيم ، إلا ذكرت هذا المعنى الشعرى البديع الذى ورد فى بعض الاخبار ، من أن للهّ (تعالى) ملائكة يُقْسِمون : والذى زيَّن بنى آدم باللحى .

وكان من السبعة رجل ترك لحيته عافية على طبيعتها ؛ فامتدت وعظمت حتى نشرت حولها جوا روحانيا من الهيبة تشعر النفس الرقيقة بتياره على بعد ...

ويقول عن مدى الاستجابة للتبرع ووضع شئ من النقود فى صندوق جمع التبرعات : ... وسكت الشاب ، وسكت الشيوخ ، وسكت الصندوق أيضا ... ثم تحركت النفس بوحى الحالة ؛ فمد أولهم يده الى جيبه ، ثم دسها فيه ، ثم عبث فيه (أى بحث بأصابعه) ؛ ثم ... ثم أخرج الساعة ينظر فيها .

وانتقلت العدوى الى الباقين ، فأخرج أحدهم منديله يتمخط فيه ، وظهرت فى يد الثالث سبحة طويلة ، وأخرج الرابع سواكا فمر به على أسنانه ، وجر الخامس كراسة كانت فى قبائه ، ومد صاحب اللحية العريضة أصابعة الى لحيته يخللها ؛ أما السابع صاحب (اللالحية) ، فثبتت يده فى جيبه ولم تخرج ، كأن فيها شيئا يستحى إذا هو أظهره ، أو يخشى إذا هو أظهره من تخجيل الجماعة .

وسكت الشاب ، وسكت الشيوخ ، وسكت الصندوق أيضا ...

سألت الاستاذ فهمى هويدى الكاتب والمفكر الاسلامى المعروف ، وكان ذلك فى لقاء عابر أثناء أحد المؤتمرات : ألاحظ أن اسلوبك يشبه اسلوب مصطفى صادق الرافعى ، فهل قرأت له ؟ قال نعم .. كل كتبه .

كان الاسلوب الذى تعلمناه من الرافعى بناء على توصية الامام الشهيد ، يتميز بالجزالة مع البساطة والصدق فى التعبير ووضع اللفظ فى مكانه بحيث لاتحتمل الجملة إضافة كلمة أو يمكن أن تحذف منها كلمة .

السيكا والسكسوكة والهردبيسة

ذهبت مع المرحوم الدكتور حسين كمال الدين لزيارة معسكر لجوالة الاخوان أقيم فى حلوان . وكان الغرض من هذا المعسكر هو تدريب افراد

الجوالة ليجتازوا اختبار الكشاف الراقى وكان عددهم ١٢٠ فردا . ذلك أن فرق جوالة الاخوان كانت مسجلة بجمعية الكشافة الأهلية المصرية التى كانت تحت رعاية الملك ، وكان يرأسها الاستاذ محمد حسنين زهير . وكان كل عضو فى الجوالة يحمل بطاقة عليها خاتم الجمعية (المعترف بها من الدولة) توضح بياناته الشخصية ورتبته الكشفية ، ونداء من وزير الداخلية يرجو تسهيل مهمة الكشاف . وكان نظام الكشافة يبدأ بالكشاف الحديث ، ثم الكشاف الراقى ، ثم الجوال . وكنت أنا فى رتبة جوال فى ذلك الوقت . ومعنى الجوال أنه الشخص الذى يضع نفسه فى خدمة المجتمع ، وشعاره : لايستحق أن يولد من عاش لنفسه فقط " .

كان نظام جوالة الاخوان تربويا ورياضيا ، رئيسه الدكتور حسن كمال الدين ، يعاونه محمد سعد الدين الوليلى وعبد الغنى عابدين . وكان هذا النظام هو نواة النظام العسكرى الذى حارب فى فلسطين عام ١٩٤٨ وانتصر فى كثير من المعارك بقيادة محمود عبده وغيره من ضباط الاخوان .

وكان لابد لعضو الجوالة أن يرقى من كشاف حديث الى كشاف راق الى جوال ، عن طريق اختبارات تشمل أنواع العقد الملائمة للأغراض المختلفة والاسعافات الأولية وانقاذ الغرقى وإغاثة الملهوف ... الخ .

ولما ذهبنا الى ذلك المعسكر لاختبار الاخوان لينتقلوا من رتبة كشاف حديث الى كشاف راق ، قسمناهم الى مجموعات يختبر كل منها كشاف راق على الأقل .

ولما حل موعد الغذاء - وكان الشيخ مصطفى العالم رئيس الاخوان بميت غمر هو المشرف على المطبخ - قدم لنا الطعام . كانت الوجبة عبارة

عن رغيف من الخبز وبعض من الأرز وصحن من الخضار المطبوخ . كان الطعام لذيذا وله شمخة خاصة تثير الشهية . سألنا الشيخ مصطفى عن كنه ذلك الطعام ، فقال إنه شيء يسمى سيكا . ولم يفصح لنا عن سره .

أما الحلو فكان شيئا شبيها بالمهلبية فيها طعم فاكهة لم نتبين نوعها. وسألنا الشيخ مصطفى عن نوع ذلك الحلو فقال إن اسمه "سكسوكة "

في المساء حضر الاستاذ الامام لتفقد أحوال ذلك المعسكر ، وصلى بنا المغرب ، وسأل عن أحوال جوالة الاخوان - وكان معنا مندوبون عن جمعية الكشافة الاهلية المصرية كمراقبين للامتحانات .

لما علم الامام بموضوع السيكا والسكسوكة ، سأل الشيخ مصطفى العالم عن سرهما ، فلم يملك الشيخ مصطفى إلا أن يبوح بسره .

أما السيكا ، فإنه بعث أحد الاخوان ليشتري بريال طعمية ، وعشرة أرطال طماطم بخمسة قروش وثلاث أقات بصل بقرش ونصف وبقرشين زيت ، وحمر البصل في الزيت وأضاف اليهما الطماطم مقطعة قطعا صغيرة ، ثم أضاف الى ذلك الطعمية بعد أن هرس أقراصها لتختلط تماما بالصلصة ، مضيفا الى كل ذلك قليلا من الملح.

سألناه عن سبب تسمية هذه الوجبة بالسيكا ، فقال إنها كلمة لا معنى لها تتفق مع نوع الطعام الذى لامعنى له . فأسميناها " هردبيسة ". لأنها تمثل نوعا من اللخبطة مابين هرس للطعمية الى تخديعة الصلصلة التى تشبه الدبس (العصير المركز) فى شكلها .

أما السكسوكة ، فقد شرح الشيخ مصطفى كنهها ، بأنه عندما نقع الأرز فى الماء استخسر أن يلقى بذلك الماء فى الأرض . وكان الماء مليئا بالنشا المتخلف عن الارز المنقوع . ثم بعث أحد الاخوان ليشترى بخمسة قروش تين شوكى ، ثم غسله وهرسه ليفصل البذور عن لحم التين ، ورمى البذور ، وألقى بعجينة التين الى الماء وأضاف بعضا من السكر ووضع ماء الأرز بعجين التين بالسكر على النار الى أن صارت النتيجة شيئا شبيها بالمهلبية .

ضحك الاستاذ الامام كثيرا على تصرف الشيخ مصطفى العالم ، الذى أنجز وجبة غذاء لمائة وعشرين فردا بمبلغ ٣٥ قرشا ونصف القرش .

قابلت الشيخ مصطفى العالم - بارك الله فى عمره - بعد هذه الواقعة بخمسة وأربعين عاما في حفل قران ابن الأخ الاستاذ بهجت خليل فى جدة ، وصرنا نتسامر ونضحك على ماكان يخالط نشاط الدعوة من تصرفات فكهة تبعث على الابتسام .

قال لى الشيخ مصطفى العالم - وهو العالم اسما والعالم الفقيه حقا وصدقا - أنه حينما جاء الى السعودية فى الخمسينات ومعه بعض الاخوان ، رحب بهم الملك سعود رحمه الله . ثم لما تولى الملك فيصل الأمر ، لم يقربه اليه إلا بعد واقعة ... هى أن الشيخ مصطفى ذهب اليه وقال له عندى ملحوظة أرجو ابلاغها إياك .. وهى أنه فى المكان الفلانى ترتكب أعمال فاحشة لايحس بها رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث يقف الشباب من أصحاب السيارات ليلتقطوا النساء . قال الملك فيصل : النصيحة لمن ياشيخ مصطفى ؟ فقال : " لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" فقال الملك : بارك الله فيك . وما أسرع استجابة الملك فيصل للنصيحة ، حيث

ذهب الشيخ مصطفى الى ذلك الموضع فى عصر ذات اليوم فلم يجد سيارة واحدة ، ووجد جنودا يقتادون من يرد بسيارته ويقف هناك الى مركز الشرطة ليتلقى جزاءه .

قدمه جلالة الملك فيصل الى بعض الأمراء ورجال الدين - وكان معه الشيخ عشماوى - قائلا : لم يأت هؤلاء الاخوان الينا هربا من عبد الناصر فحسب ، ولكن ليصححوا لنا عقيدتنا السلفية .

ومنذ ذلك اليوم والشيخ مصطفى يعتبر مستشارا للملك بغير منصب رسمى .

لقد تعلم مصطفى العالم من الامام الشهيد وسار على نهجه ، لذلك نال ثقة الحكام والمحكومين فى المملكة العربية السعودية ، التى استضافت كثيرا من الاخوان ورعتهم . والفضل فى ذلك يرجع الى ماكان بين الملك عبد العزيز آل سعود والامام حسن البنا من روابط وثيقة ، منبعها العمل على نصرة دين الله وتطبيق شريعته السمحة الصالحة لكل زمان ومكان .

الفتوات

كان لفكر الاخوان المسلمين ودعوتهم الأثر الاكبر على النفوس التى ضلت سواء السبيل . لهذا ليس عجيبا أن تجد اخوانا كانوا من قبل من الخارجين على القانون الى ان هداهم الله فصاروا قدوة طيبة يقتدى بها الرجال .

كان الاخ احمد نار - كما قال لى - قاطع طريق . وكان من قرية من قرى منيا القمح بالشرقية . وكان قويا يهابه الناس جميعا ، وله أتباع يأتمرون بأمره .

حضر محاضرة للاستاذ الامام بمنيا القمح ، فأصابه شعاع من نور ... ثم التقى بالامام بعد المحاضرة ، وجلس يتحدث معه . ثم زاره فى المركز العام ، وتكررت الزيارات ، فإذا بأحمد نار يصير من أعظم الدعاة الى الاسلام الحق والاهتداء بشريعته ، وطوع الله لسانه للخطابة فصار خطيبا يأسر الناس بروحانيته العالية .

كان يتقن التحطيب (اللعب بالعصا) بحكم سابق خبرته ، فصار يعلمنا التحطيب فى معسكرات فرق الجوالة بالشرقية .

رحمه الله رحمة واسعة ، حيث كان مصابا بحصى فى الكليتين ، وتوفاه الله فى السجن الذى وضع فيه مظلوما .

كذلك فإن من الشخصيات الملفته للنظر فى الاخوان : الاخ ابراهيم كروم . كان فتوة السبتية ، وكان يفرض على المتاجر هناك اتاوات لحمايتها من المخربين واللصوص . وكان يقطع شارع السبتية راكبا حصانا ابيض وبيده النبوت الشهير ، وخلفه الاتباع راجلين .

فى أحد الأيام دعا إخوان شعبة السبتية الاستاذ الامام ليلقى كلمة على أهل الحى ، وجمعوا من انفسهم تبرعات لاتكاد تكفى لاقامة سرادق صغير .

علم ابراهيم كروم بالامر فأخذته النخوة المشهورة عن الفتوات ، وذهب بنفسه الى اصحاب المتاجر يجمع منهم التبرعات التى فرضها على كل منهم . وفى المساء حضر الاستاذ الامام الى السرادق ، وحكوا له ماقدمه

ابراهيم كروم من مساعدة ، فقربه الامام اليه وصار يؤثره بالحديث قبل الخطبة وبعدها .

ذهب ابراهيم كروم يزور الامام فى دار الاخوان المسلمين بالحلمية الجديدة ، ثم حضر حديث الثلاثاء ، واستمع الى كلام عن الاسلام لم يسمعه من احد من قبل . فتعلق قلبه بالامام ، ومن ثم بدعوة الاخوان ، التى وجد فيها الى جانب الدعوة الى الايمان ، الحث على الفضائل والشهامة والاستعداد بالقوة . وأخذ ينظر الى شعار الاخوان المكون من سيفين بينهما مصحف ، وتحتهما كلمة " وأعدوا " ، ويستمع الى هتاف الاخوان : الله غايتنا ... والرسول زعيمنا ... والقرآن دستورنا ... والجهاد سبيلنا ... والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا . فوجد فى دعوة الاخوان مايشبع نفسه المؤمنه بالسليقة وما يفى بحاجته الى استخدام القوة مع الاعداء .

آخر مرة التقيت فيها بابراهيم كروم ، كانت فى معتقل الطور عام ١٩٤٩ ، كان يسير فى الفناء شامخا نوره يسعى بين يديه .

اختبارات

كان الامام الشهيد إذا وقع اختياره على شخص ما ليكون مساعدا له أو أمينا على سر من أسرار الدعوة ، يختبره أولا فى اخلاصه وصدقه ، ثم يتبين له بالتجربة معه ماإذا كان صالحا أو غير صالح للعمل الذى يوكل اليه ، فإذا نجح يختبره مرة أخرى ليتعرف على قدرته على تحمل المسئولية وعلى الاخلاص والصدق فى النصيحة .

· من حيث الاخلاص ، كان يسأل الشخص المرشح سؤالا : هل إذا حدث انقلاب فى الاخوان وأبعد حسن البنا ، هل تظل تعمل فى الجماعة ؟

كان هذا السؤال يلح عليه ، حيث انشق بعض الاخوان من قبل معارضين فكر الجماعة ، مثل شباب محمد وغيرهم ، الذين لم يعجبهم اسلوب حسن البنا فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويرون فى العنف وتغيير المنكر باليد وسيلة للاصلاح . ولم يحس أمثال هؤلاء بمدى تجسيد الدعوة فى شخص حسن البنا ومااتسم به خلقه الرفيع وسلوكه السوى المتزن ، ومن كان مثلهم فإنه يجيب بأن الدعوة باقية ، وحسن البنا زائل ولعل هذا يكون ردا معقولا لصاحب التفكير السطحى . فيقول له الامام : وماذا لو حدث ذلك فى حياة حسن البنا؟

حدث ذلك معى قبل أن أعمل معه أمينا للمعلومات ومطلعا على أسرار النظام الخاص . فقلت له إن دعوة الاخوان المسلمين بغير حسن البنا ، ستكون شيئا آخر غير دعوة الاخوان التى تعلمناها وعرفناها وتربينا فيها . قال لى : انظر يامحمود ! .. إن الايمان بالاسلام يقوم على شهادتين : ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله . ولا تصلح الشهادة الأولى وحدها ليصير الشخص مسلما . ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم يتجسد الاسلام فى شخصه ، ويمكن الاحساس به فى خلقه وسلوكه صلى الله عليه وسلم .

فإذا آمن الشخص بألا إله إلا الله ، ولم يؤمن بأن محمدا رسول الله ، فهو كأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله فقط ، ولايعترفون برسول الله صلى الله عليه وسلم .

يجب أن يكون الايمان بالفكرة وصاحبها معا . فلسنا جمعية ولا تشكيلا اجتماعيا . إن كنا كذلك فلا أهمية للقائد ، ويمكن أن يكون أيا من أعضاء الجماعة أو الجمعية أو التشكيل . اما ونحن دعوة فلا بد من الايمان بها والسير على نهج داعيتها والعمل على تطبيق أفكاره متى اقتنعنا به

عن رضا . ولا تظنن أن طاعة القائد واجبة فى كافة الظروف ، ولكنها تقتصر فقط على اقتناعنا الخاص وثقتنا فى القائد بالدرجة التى تبعد الشك به أو سوء الظن به .

كان للامام سحره النابع من إخلاصه ، والاخلاص ينتقل كالعدوى . لذلك كان كل معاونيه من الصادقين المخلصين .

كان هذا أحد الاختبارات . أما الاختبار الثانى فكان لصغار المعاونين حيث يستلزم الأمر الشجاعة والاخلاص فى العمل والأمانة فى الحفاظ على الأسرار . كان يكلف رئيس القسم المختص بالمركز العام ، فيرشح لى من يراه ملائما من الاخوان العاملين أو المترددين على القسم . كنت أقول له إذهب الى مكان كذا ... (ميدان السيدة زينب مثلا) وستجد شخصا واقفا تحت الساعة فى الميدان وفى يده كتاب جلدته خضراء ... قل له : السلام عليكم . فيقول لك : سلام . فإذا قال وعليك السلام فإنه يكون غير الشخص المقصود وحينئذ اسأله عن عنوان ما وانصرف . أما إذا رد عليك بالشفرة المتفق عليها ، فقل له أين الأمانة ؟ سيعطيك شيئا تحمله الى شخص مافى مكان آخر . نفذ تعليماته .

وبالفعل يذهب المرشح للمكان ويتلقى من الشخص المقصود لفافة فيها قطعة حجر ، ويقول له : هذا مسدس ، خذه وأعطه لفلان الواقف على محطة الترام أمام باب المسجد وهو يرتدى حلة زرقاء اللون . فإذا تبين له أن المرشح قد انزعج وأظهر الخوف ، فإنه يقول له : لاتخف ، لقد نجحت فى امتحان إطاعة الأوامر ، ثم يصرفه . أما إذا أظهر شجاعة ونفذ التعليمات فإنه يكون قد نجح بالفعل وحينئذ ينضم الى الفئة العاملة المخلصة الحافظة للسر .

أما الاختبار الثالث فهويكون لكبار المعاونين للامام ، حيث يجتمع بهم فرادى ، ويعرض على الواحد منهم رأيا يعلم فضيلته أنه سخيف ولا وزن له فى الحقيقة ، فإذا أبدى الشخص إعجابا بالرأى وحماسا له باعتباره رأى الأمام ، وصار يقرظه متملقا إياه ، فإن الامام يعلم عن هذا الشخص النفاق وعدم الاخلاص ، فيضعه في ذهنه ضمن أولئك الذين لايعتمد عليهم فى رأى أو نصيحة . أما الذى ينجح فى هذا الاختبار فهو الانسان الصادق الذى يعارض الرأى ويظهر عيوبه .

ليت رجال الأعمال من رؤساء مجالس الادارات والمديرين العامين يتبعون هذا الاسلوب في الاختبار لكى يقيّموا مستشاريهم ومعاونيهم ويتعرفوا على مدى الصدق فيما يشيرون به .

مشروع زواج

أذكر أنى التحقت بكلية التجارة عام ١٩٣٨ على كره منى . فقد كنت أتمنى الالتحاق بالهندسة لاتفاقها مع هواياتى فى الرسم (حصلت على ١٩ من ٢٠ فى الرسم الهندسى فى الثانوية العامة) .

وكان مجموع المواد الرياضية المؤهل لدخول كلية الهندسة يتضمن ١٣٠ درجة للهندسة الفراغية والجبر وحساب المثلثات والتحليل الرياضى والميكانيكا والرسم الهندسى ، كما كان يتضمن ١٠٠ درجة للطبيعة والكيمياء . وفى حين أنى حصلت على ١٢٥ درجة من ال١٣٠ الأولى، لم أحصل فى الطبيعة والكيمياء الا على ٤٠ درجة وهى الحد الأدنى للنجاح . فلم أقبل بكلية الهندسة .

وأنا داخل من باب كلية التجارة - وكانت آنذاك فى المنيرة محل معهد التعاون الان - وإذا بمظاهرة ضخمة يقودها المرحوم فؤاد الجنزورى الطالب

بالسنة الرابعة ، تهتف ضد الحكومة . وعجبت لأمر هذه المظاهرة حيث لم تكن هناك أحداث سياسية تدعو اليها ، غير أنى عرفت فيما بعد أنها بسبب أن الحكومة عينت بعض خريجى العام الماضى بخمسة جنيهات ونصف شهريا على سبيل المكافأة ، حيث لاتوجد درجات .

كانت تلك صدمة قاتلة لزملائى بوجه عام ، ولى على وجه خاص لأنى دخلت هذه الكلية على كره منى ، فزادت تلك المظاهرة وأسبابها الطين بلة . وأصبحت البلوى بلوتين .

بقينا فى مبنى الكلية ذاك لمدة عام واحد . ثم احتاج الجيش البريطانى اليه عام ١٩٣٩ بعد أن بدأت الحرب العالمية الثانية ، فأجلونا منه الى ملحق تم بناؤه لكلية العلوم فى جامعة القاهرة بالجيزة .

كنت أسكن فى مصر القديمة ثم فى حى الروضة ، وأسير يوميا من هناك الى القصر العينى فالمنيرة لأوفر ٦ مليمات هى أجر الترام ، ثم تحول ذلك الى سير آخر مضن الى الجيزة . وكان لنا استاذ للقانون (الدكتور محمد هيبة) كثيرا ماكنت القاه فى الطريق الى الجامعة ونتسلى معا بتبادل الحديث حتى نصل الى الكلية .

فى عام ١٩٣٩ تقدمت للالتحاق بالكلية الحربية وبكلية البوليس . ونجحت فى الكشف الطبى فى الاثنتين ، ثم رسبت فى كشف الهيئة فى الاثنتين كذلك ، بالرغم من أنى لم أدع لمقابلة لجنة الامتحان فى أى منهما ، فى حين أنى كنت واقفا مع غيرى على الباب ، إذ خرج لنا ضابط وقال : اذهبوا وسنستدعيكم إذا لزم الأمر . معنى هذا أنه لم تكن لى أو لزملائى واسطة . وكان هذا أمرا شائعا فى دخول الحربية والبوليس .

كان كشف الهيئة هذا وبالا على إذ كان فى يوم امتحان الرياضة فى الكلية ، الأمر الذى أدى الى أن أرسب فى ذلك العام .

كنت فى الكلية عضوا بشعبة الاخوان المسلمين منذ عام ١٩٤١ وكان رئيسها زميلى محمد يونس الأنصارى (شقيق اللواء محمود يونس الانصارى) الذى دعانى لزيارة المركز العام . ذهبت معه والتقينا بالامام الشهيد . وكانت تلك أول مرة أجلس معه وتتبادل الحديث . سألنى عن أحوالى وعما إذا كنت أفكر فى الزواج ، فأخبرته أنى لم أجد بعد ما يوافقنى . فقال ابحث بين الأقارب . فقلت : لى ابنة خال ولكنها صغيرة فى السن ، فقال انتظرها وتوكل على الله .

انتظرتها.. وبعد عام سألنى عنها كيف هى ؟ فقلت : بخير. قال أتحبها ؟ قلت : نعم . قال اتحبك ؟ قلت : أعتقد ذلك . قال أفصح لها عن حبك .

علمت منه يومها أن ابنته وفاء يتنافس عليها اثنان من الاخوان هما سعد الوليلى وسعيد رمضان ، ولكنه أبى أن يعطى أيا منهما كلمة الى أن تكبر ويكون لها الرأى النهائى فيمن تتزوج . وكانت فى النهاية من نصيب سعيد رمضان .

عند زواجى فى ١٩٤٨/١١/١١ ، أوفد الامام الشهيد نيابة عنه الاستاذ عبد الحكيم عابدين ليعقد القران . وحضر فريق التمثيل بشعبة السيدة عائشة وأحيا حفل الزواج . وكانت ليلة لم تر لها قريتنا مثيلا من قبل .

جهزنا لهم مكانا للمبيت بدوار العائلة وكان معهم موظفو شركة الاعلانات العربية ، فنهضوا لصلاة الفجر ، وأرادوا ارتداء أحذيتهم تمهيدا

للانصراف ، فوجدوا الأحذية وقد ربطت كل فردة منها مع فردة حذاء آخر ، وصار كل منهم يبحث عن حذائه .

كان سعد تاج الدين رئيس حسابات الشركة قد قام فى الليل بمزج الأحذية وربطها من باب الدعابة ... وكانت دعابة مقبولة من الجميع ، وصاروا يتندرون بها لأيام بعد ذلك .

البنك الاهلى المصرى

تخرجت من كلية التجارة عام ١٩٤٣ وكنت السادس فى الترتيب . وكانت دفعتى التى تخرجت ، مكونة من ٤٣ طالبا على مستوى المملكة المصرية ، فلم تكن جامعة فاروق الأول بالاسكندرية قد خرجت أحدا بعد . وطلب البنك الأهلى المصرى من الكلية - مستجيبا لحركة التمصير - أن ترشح له العشرة الأول ليلتحقوا بالبنك . وأرسلوا لنا بموعد امتحان سيتم فى الجامعة الامريكية فى موعد محدد . فرحت كثيرا وذهبت الى الامتحان فى موعده ظانا أننا عشرة فقط . فإذا بطالبى الوظائف يزيد عددهم على السبعين : فتيان وفتيات ، يونانيون وأرمن وإيطاليون ويهود ، بعضهم لايحمل أية شهادات ، وليس منهم من يحمل مؤهلا عاليا . وجلسنا للامتحان وأنا أظن أنهم سيختبروننا فى المحاسبة التى حصلت فيا على ١٨ درجة من ٢٠ فى البكالوريوس . فوجئنا بأن الامتحان كالآتى : موضوع إنشاء عربى ، وموضوع إنشاء انجليزى ومسألة حساب بسيطة وسؤال عن جغرافية وادى النيل وسؤال عن أهم أعمال رمسيس الثانى وقطعة ترجمة بسيطة من الانجليزية للعربية . احتقر ٩ من زملائى ذلك الامتحان وغادروا القاعة ، ولكنى بقيت وأتممته لحاجتى للوظيفة .

عينت فى فرع البنك الأهلى بالزقازيق براتب قدره ٨ جنيهات + جنيهين بدل أرياف ، فكانت تلك نعمة من الله ، لأنى عشت مع والدى الذى كان مهندسا بمساحة الزقازيق .

كان مدير فرع البنك الأهلى اسكتلنديا ، والباشكاتب (مسيو ليفى) يهوديا ، وكبير المحاسبين (مسيو زونانا) يهوديا (بعد ذلك صار مديرا لمراقبة النقد) . وكان باقى العاملين ٥ من المصريين ، من بينهم متولى الجمل الذى صار عميدا لتجارة القاهرة بعد ذلك بسبعة وعشرين عاما .

وكانت المعاملة قاسية وسيئة للغاية ، وكل يوم نجد فيها منغصات من اليهود ومن المدير الذى ينصاع اليهما . وكنا نعمل من ٧٫٣٠ صباحا الى ٨٫٣٠ مساء مع راحة لمدة ساعة لتناول الغذاء فى المنزل . أى كنا نعمل ١٢ ساعة صافية يوميا . ويوم الأحد (أى يوم الأجازة) نعمل من ١٠ صباحا الى ٣ عصرا .

ذهبت الى الاستاذ الامام حسن البنا استفتيه فى العمل فى البنك هل هو حلال أم حرام ؟

سألته فى ذلك باعتبار أن البنك يتعامل بالربا . فسألنى : " هل إذا تركت البنك ستجد عملا آخر لتنفق على نفسك واهلك؟ " قلت : " عسير جدا بل شبه مستحيل " . قال : " إذا استقلت من البنك ألا يستفيد من شغل الوظيفة يهودى أو إيطالى أو يونانى ؟ " قلت : " طبعا " قال : " أهذا فى مصلحة الاسلام ؟ ثم هل كل أعمال البنك يداخلها الربا ؟ " فقلت : " لا . هناك عمليات القطن وفتح الاعتمادات وإصدار الشيكات

وغير ذلك مما لايداخله الربا . " فقال : " إذن مال البنك قد اختلط حلاله بحرامه . ومايدريك أنت أنك تحصل على راتبك من الجانب الحرام ؟ عد الى عملك فإنك تحصل على أجر عن عمل تؤديه أنت ، وهو عمل حلال "
وقد كنت فى البنك استلم البريد الوارد وأقيده وأعرضه على المدير وأتابع تأشيراته ، وأتولى البريد الصادر وآخذ صورا منه وأضعها فى الملفات الملائمة ، كما كانت عندى عهدة الأدوات المكتبية ، وأقيد الحسابات .

كان من اختصاصى أن أعد كشوف فرع الخرطوم . وهى كشوف تقيد بها جميع عمليات البنك كل أسبوع ، ونبعث بها الى فرع الخرطوم البعيد عن أخطار الحرب ، حتى إذا ضُرب أحد فروع البنك بقنبلة ، لاتضيع حساباته مع ما يضيع من سجلات وموجودات .

لقد استفدت من عملى بالبنك - على قسوته وصعوبته - فائدة عظمى ، كنت أكره الأرقام فصرت أحبها ، تعلمت الدقة المتناهية حيث كنت أعيد جميع القيود فى كشوف فرع الخرطوم إذا لم يتفق مجموع الأرصدة مع ماهو وارد فى الدفاتر . كذلك تعلمت الصبر ، والكياسة فى المعاملة ، وتحمل سوء أخلاق الرؤساء .

الاستقالة من البنك الاهلى

فى البنك الأهلى بالزقازيق كنا خمسة موظفين ، ونقوم بعمل ٣٠ موظفا . ولم تكن لنا أيام راحة أو أجازات . وفى ليلة عيد الفطر - أى فى آخر رمضان - كنت أعمل بالبنك حتى الساعة الحادية عشرة مساء . جاء مسيو زونانا (رئيس الحسابات اليهودى) فوجدنى منهمكا فى العمل . قال : مسيو عساف .. بكرة عندكم عيد ... تقدر تحضر للبنك الساعة ١٠

صباحا . قلت له : يوم العيد عندى ارتباطات عائلية فى البلد . قال : نحن لايهمنا هذه الارتباطات . أنت موظف هنا ولم تثّبت بعد ، وسأكتب تقريرا ليس فى صالحك ! ... ثرت عليه وتركت البنك غاضبا . ومن شدة غضبى والكبت الذى حدث لى أصبت بمرض لا أعرفه . عرضت نفسى على طبيب صحة أبو حماد الذى منحنى أجازة مرضية لمدة ١٥ يوما . بعثت بها بخطاب مسجل الى البنك .

بعد أيام العيد ، توجهت أبحث عن عمل بالقاهرة .. من الأماكن التى بحثت فيها : ديوان المحاسبة (الجهاز المركزى للمحاسبات اليوم) ووجدت هناك أحد زملائى وكان الأخير فى الدفعة ، يعمل هناك فى الدرجة السادسة بمرتب ١٣ جنيها و٣٠ قرشا . وهو مبلغ كبير نسبيا إذا قورن براتبى البالغ ٨ جنيهات بالاضافة الى جنيهين بدل الأرياف ، وكان زوننا يسعى لالغائها باعتبارى من أهل المنطقة ... لم أوفق لشىء فى ديوان المحاسبة فقد كان الأمر يحتاج الى واسطة كبيرة . لاتقل عن مستوى البطريرك .

توجهت الى إدارة الخبراء بوزراة العدل ، ووجدت هناك زميلين من دفعتى . وجدتهما مع بعض أصدقائهما يتشمسون فى الشتاء فى فناء الادارة حول فسقية تضخ الماء ، ويشربون عصير القصب ، فى استرخاء على كراسى من الخشب والقماش مما يستخدم فى المصايف . هذا المنظر لايغيب عن ذاكرتى أبدا .

توجهت لمقابلة عبد الله بك أباظة ، وكان نائب بلدنا وصديقا لخالى ، وعرضت عليه الأمر فحاول أن يثنينى عن ترك البنك باعتبار أن المستقبل فيه ، فأفهمته أنى لا أستطيع تحمل سلوك اليهود تجاهى ، وأننى مرهق جدا بالعمل الذى هو فوق الطاقة .

كنت بعد أن ينتهى عملى فى البنك فى الساعة الثامنة مساء فى العادة ، أتوجه الى دار الاخوان المسلمين بالزقازيق ، حيث كنت نائبا لرئيس الجوالة لمنطقة القناة والشرقية ، لشئون الشرقية ، وكنت أعمل على تكوين فرق الجوالة بمدن الشرقية وقراها وأرتب المؤتمرات الكشفية وأقيم معسكراتها حتى وصل عدد جوالة الشرقية الى حوالى خمسة آلاف ، شاركوا فى الاستعراض الكشفى الذى استعرضه الملك عبد العزيز آل سعود حين أقام ضيفا على مصر فى قصر الزعفران ، وكان الامام الشهيد يقف الى جواره أثناء الاستعراض الذى اشترك فيه حوالى ١٥ الف جوال . وكنت حاضرا هناك .

وافق عبد الله بك أباظة - وكيل وزارة التجارة آنذاك - على تعيينى بمكتبه بمكافأة قدرها عشرة جنيها، كنت سعيدا بها . وبعد فترة نقلت الى الدرجة السادسة براتب قدرة ١٢ جنيها تضاف عليها علاوة الغلاء ، وقدرها ١٣٠ قرشا .

حينئذ أرسلت استقالتى الى مدير البنك الأهلى بالزقازيق . وحتى الآن فالبنك مدين لى براتب الشهر الأخير الذى اشتغلته فيه .

أتاح لى عملى بالقاهرة أن أعمل متطوعا بالمركز العام للاخوان المسلمين ، وأن أكون قريبا من الأمام ، الذى عهد الى فيما بعد ، بأمانة المعلومات .

حلوانى الوحدة العربية

بينما كنت أعمل مفتشا بإدارة الشكاوى بوزارة التموين ، وردت شكوى الى مكتب الوزير موقعا عليها من الشاكى (حيث لم نكن ننظر

للشكاوى المجهلة) يقول فيها إن حلوانى الوحدة العربية بشارع الساحة يتاجر بمقررات التموين المخصصة له ، فى السوق السوداء .

لم أكن أعرف مقدار تلك المقررات ، فذهبت الى مراقب تموين القاهرة بشارع القصر العينى ، وطلبت منه تكليف أحد مفتشيه لمصاحبتى فى تحقيق تلك الشكوى .

انتدب المراقب : حسن ... أفندى ، وهو مفتش قديم . توجهت معه الى حلوانى الوحدة العربية ، وكان محله عبارة عن مترين عرضا فى أربعة أمتار طولا ، وقد عرض صوانى البسبوسة والكنافة والقطايف والبقلاوة فى جانب من المتجر ، وفى الجانب الآخر رص طاولات ٤٠ فى ٤٠ سم وعلى جانبى كل طاولة كرسيان . جلسنا وحضر صاحب المحل قائلا : أهلا وسهلا يابكوات . قلنا نحن مفتشان من التموين . وفتحنا محضرا سجلنا فيه مقرراته التموينية الشهرية من الزيت والسمن والسكر والدقيق ، وسألناه عن مخزنه ، فأشار اليه وكان فى أسفل عمارة فى الجانب الآخر من الشارع . ذهبنا لمعاينة هذا المخزن ، فوجدنا أن مابه من مواد يعتبر معقولا . وانصرفنا على أن نذهب لنستوفى من الشاكى تفاصيل شكواه .

وفى طريقنا لعنوانه فى أحد ميادين الجيزة تحت رقم ٢٥ ، قال حسن أفندى : استأذنك فى المرور على مكتبى بمراقبة تموين القاهرة ... ذهبنا سويا ، وإذا بنا ونحن على الباب الخارجى ، وكان الى جواره مكتب مدير مباحث التموين ، أن اعترضنا هذا المدير ، وكان ضابط بوليس برتبة اميرالاى (عميد) وقال : ماذا ياحسن أفندى ؟ لقد أزعجتم فلان صاحب حلوانى الوحدة العربية فى حين أنه رجل طيب ولايستحق هذه البهدلة . ضحك حسن أفندى وقال : يافلان بك ، إنه لم يذيقنا الصنف ، وهل هذا يصح ؟ وضحكنا من هذه النكتة .

ذهبنا الى الشاكى ، وعبرنا النيل فى قارب ودفع كل منا خمسة مليمات أجرا للعبور ، حيث كان كوبرى عباس مفتوحا بسبب المظاهرات التى قامت فى الجامعة فى ذلك الوقت . ذهبنا الى العنوان المذكور بالشكوى ، وبحثنا عن الاسم الوارد فيها ، فأفادنا أحد أصحاب المحلات من المسنين ، بأن هذا الشخص كان موجودا فعلا ، ولكنه مات من ٢٥ سنة . عرفنا حينئذ أن الشكوى كيدية .

توجهنا فى اليوم التالى لمحل الحلوانى لكى نختم المحضر ونؤشر عليه بالحفظ . دخلنا المحل وجلسنا ، وإذا بصاحبه يقدم لنا صينية كنافة بالسمن البلدى (النادر فى ذلك الوقت) والفستق وعسل النحل . ثرت فى وجهه ... فقال حسن أفندى له : اسمع يارجل إما أن نأكلها بالثمن أو نحرر لك محضر رشوة . فقال الرجل : أردت فقط أن تتذوقوا الصنف ! (نفس العبارة التى قالها حسن أفندى لمدير مباحث التموين) ثم أتبع ذلك : كلوها بالثمن .

قال حسن أفندى : كل يامحمود أفندى ... أخذنا نأكل ، ولم أستطع أن أتناول إلا لقيمات قلائل لشدة حلاوة الكنافة ، فى حين أن حسن أفندى أجهز عليها .

قمنا للخروج ، وسألت حسن أفندى كم سندفع فيها ، فقال انتظر حتى أحاسبه . ثم وضع فى يد صاحب المحل نقودا . وانصرفنا ... قلت له كم أنا مدين لك به ؟ قال : ٢٥ مليما ! ذهلت حيث أن الصينية تساوى خمسين قرشا على الأقل ، وليس خمسة قروش . قال حسن أفندى موضحا : إن هذه الخمسة قروش سوف تسبب لصاحب المحل ضيقا شديدا . ففى تقديره إنه لو قبلناها رشوة ، فإن هذا سيسعده ، أما أن ندفع فيها أقل

من تكلفتها فإن ذلك سيغيظه على أساس أننا دفعنا فيها ثمنا !!

لم أشأ أن أحكى هذه القصة للامام الشهيد ، بيد أن أحداثها ظلت عالقة بذهنى ، وبخاصة فيما يتعلق بمباحث التموين .

أقمشة الاغاثة

تولى الحزب السعدى الحكم بعد حزب الوفد فى عام ١٩٤٥ . وكان الناس فى عهد الوفد يعيشون أزمة طاحنة بسبب نقص أقمشة الملابس وارتفاع ثمنها - وبخاصة فى ريف مصر . فاستولت حكومة السعديين على جميع انتاج مصانع النسيج ، وقررت توزيعه فى الارياف بواقع خمسة امتار لكل أسرة . طبعا خمسة أمتار لاتغنى من الحر أو البرد شيئا لأسرة تتكون من خمسة أفراد على الأقل ، ولكن كان هذا بمثابة انقاذ مايمكن انقاذه .

وضعت الحكومة خطة محكمة للتوزيع ، إذ أرسلت الى القرى عن طريق مراكز الشرطة ومديريات التموين ، لكى تعد كل قرية بيانا بأسماء أرباب الأسر فيها ، ويوقع العمدة والصراف وشيخ الخفر وشيخ البلد على البيان ، ثم قسمت القطر الى مناطق ، كل منها تحتوى على عدد من تلك القرى ، ثم اختارت عددا من موظفى الدولة ليشرف كل منهم على عدد من القرى ، ومنحت هؤلاء الموظفين صفة الضبطية القضائية .

كنت وقتئذ مفتشا بمكتب الشكاوى التابع لوزير التموين ، وخصصت لى ثمان قرى تابعة لمركز دسوق . وكانت أول قرية تدعى " البكاتوش " . جلست بها حوالى اسبوع فى انتظار ورود الأقمشة . كان عمدتها الشيخ محمد حرفوش رجلا كريما وأصيلا. وكنا نجلس للمسامرة مساء كل يوم بحديقة داره .

كان غائبا فى احدى الليالى ، وجاء أحد أقربائه لكى نتسامر كالعادة . كانوا يسموننى محمد أفندى لأن الاشارة التى جاءتهم من المركز ذكرت اسم محمد بدلا من محمود . ولم أجد غضاضة فى أن ينادونى بأى اسم .. قال ذلك القريب : يامحمد أفندى .. انت مرهق نفسك كل هذا الارهاق فى انتظار وصول القماش من المركز ، وكذلك التاجر الذى سوف يبيعه للناس .. وانت تنتظر كذلك حتى تحصل على توقيع اصحاب الاسر عندنا أمام أسمائهم الواردة فى ابيان المسلم اليك من المركز ... مارأيك فى أن نحصل لك على تواقيع أصحاب الاسر مصدق عليها من العمدة والصراف وشيخ البلد وشيخ الخفراء ، وتأخذ لك ٥٠٠ جنيه وتذهب الى حال سبيلك ؟

كانت مفاجأة مفجعة لى ، فهو يريد رشوتى بخمسمائة جنيه ، وقت أن كان فدان الأرض بمائة جنيه (هو الان بحوالى خمسة وثلاثين الفا) . فغضبت غضبا شديدا ، ووجهت اليه سبابا يتناسب مع تطاوله معى ، وقلت له إنى تربيت فى الاخوان المسلمين على العفة والقناعة والنزاهة والامانة فى العمل ... فوجىء هو الآخر بموقفى الغاضب ، فقال : هل غضبت هكذا ! إنما كنت أمزح معك !

حين حضر العمدة ، شكوت له قريبه هذا فعنفه هو أيضا .

وصلت الأقمشة فى اليوم التالى ، وكان من بينها صوف العسكرى ورمش العين والدمور ... الخ ، وأحسست أن الناس محتاجون الى الدمور أكثر من غيره لصلاحيته للتنجيد . فأعددت أوراقا صغيرة بعدد أصناف القماش ، وكتبت على كل ورقة صنفا ، ثم وضعت الورق فى طربوشى بعد أن قلبته ، وجلست أمام شباك فى غرفة التليفون بالدوار ، فيجيىء المنتفع الوارد اسمه

فى الدفتر ويوقع أمام اسمه ويصادق شيخ البلد الجالس الى جوارى على أنه هو الشخص المعنى ، ثم يسحب ورقة ، ويسدد الثمن فى ش ـك آخر ويتسلم مايخصه من قماش. وكنت قد علقت لوحة على ذلك الشباك تبين ثمن الأمتار الخمسة من كل صنف من القماش .

سارت العملية سيرا منتظما على أحسن مايكون . وماجاء وقت صلاة المغرب حتى كان القماش قد تم توزيعه ، والكل وقع على البيان الوارد بالدفتر الذى فى حوزتى . ثم حرزت القماش الباقى وسجلت به محضرا بعثت به الى مفتش التموين ليعيد توزيعه بمعرفته على المستحقين بقرى أخرى .

غادرت البكاتوش فى ضحى اليوم التالى متجها الى قرية تبعد حوالى خمسة كيلومترات . فاستأجرت حمارا بخمسة قروش ، وتوجهت الى تلك البلدة، وإذا بى أجد على الطريق. حوالى عشرة أشخاص قادمين نحوى ، وأنا على مسافة نصف كيلومتر من البلدة . قال أحدهم : محمد أفندى ؟ قلت : نعم . قال إن سيرتك قد سبقتك الينا ، فأردنا أن نحتفى بك ونستقبلك . أهلا وسهلا. كانت هذه أكبر مكافأة لى، فهى تزيد كثيرا على الخمسمائة جنيه .

كان التوزيع ناجحا فى جميع القرى ، فيما عدا قرية تسمى منشاة الشاذلى ، حيث اضطرت للمبيت بمضيفة العمدة لليلة كانت من اسوأ ليالى حياتى ، إذ لم تتركنى البراغيث أنام لحظة ، فضلا عن أنى كنت أحس بجوع شديد .

فى الصباح بدأنا التوزيع ... وإذا بشيخ الخفر يحضر ويسر لى أن العمدة يحتاج الى عشر قطع لنفسه . قلت له : هذا ممنوع والتوزيع قاصر على الأسماء الواردة بالدفتر . فقال : إن العمدة هو شقيق عبد السلام الشاذلى

باشا ، وقد يضرك . قلت : لا أحد يستطيع أن يضرنى مادام الله معى . (تذكرت دعاء من المأثورات التى كنا نقرأها كل ليلة : " بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم " .) تطاول شيخ الخفر على بالقول فذهبت الى عامل التليفون وطلبت منه ارسال إشارة الى مأمور المركز لوقف شيخ الخفر عن عمله ، وذلك بصفتى من رجال الضبطية القضائية . تحرك العمدة وجاءنى مهرولا وراجيا ، وجاء شيخ الخفر معتذرا وآسفا . فأنهيت الموضوع عند ذلك الحد .

بعد أن عدت الى القاهرة ، قدمت تقريرى وكشوف الأسماء الموقع عليها والتى كانت بحوزتى ، وحررت استمارة لبدل السفر والانتقال ... فوجئت حينما ذهبت لأقبض المبلغ ، أن بدل السفر لاتغير فيه فإنه محسوب على أساس عدد الليالى . أما مصروفات الانتقال فقد خفضت الى النصف ، بالرغم من أنى تحريت الدقة التامة فى قيدها بالكشف بما يطابق الحقيقة تماما . سألت فى حسابات الوزارة عن سبب التخفيض ، فقالوا إن قلم الشطب قد خفض النفقات الى النصف لأن عندك استمارات سفر وكان يمكنك أن تركب بها القطار . حاولت إفهامهم أنه لاتوجد مواصلات بين هذه القرى إلا بالحمير . قالوا كان ينبغى أن تحصل على ايصالات من أصحاب الحمير ! قلت : وكيف تتثبتون من أن التوقيع على الايصال هو توقيع صاحب الحمار ؟ سكتوا وقالوا لامجال للتغيير بعد قرار قلم الشطب .

كان المبلغ المشطوب ضئيلا ، ولكنه ضايقنى . فالمسألة مسألة مبدأ وليس قيمة المبلغ .

بعد ذلك بأسبوع كلفت بالاشراف على توزيع أقمشة الاغاثة فى ست قرى بالشرقية ، وطلبت من القائم على التوزيع ألا يعطينى بلدى (القطاوية) من بينها ، حتى لا اتعرض لضغوط الاقارب والأصدقاء .

وفى بلد اسمها " بنى جرى " حضر تاجر القماش من المركز " ابو حماد " . وكان صديقا لوالدى . قلت له نوزع فى الغد . ووضعت الترتيبات التى سبق أن وضعتها لقرى مركز دسوق . وذهبت للمبيت بدار اسرتى التى تبعد كيلو مترين عن " بنى جرى " . وتوجهت فى الصباح الى مركز التوزيع بالقرية ، وهو دوار العمدة ، فوجدت أناسا صادفتهم فى الطريق وكل منهم يحمل قطعة قماش ، سألتهم عن الثمن الذى اشتروا به فوجدته يزيدعلى التسعيرة المقررة بما يتراوح بين ثلاثة وستة قروش .

توجهت الى الدوار ، واصطحبت شيخ الخفراء ، ووضعت يدى على النقود التى جمعها التاجر ، وحرزتها فى منديل سلمته لشيخ الخفراء ، وأخذت الأقمشة الباقية والمقسمة الى قطع كل منها ٥ أمتار . وذهبت بذلك الى المضيفة ، وفتحت محضرا اثبت فيه الواقعة.

صار التاجر يرتجف ... وتدخل عمدة البلدة قائلا إنهم على أبواب الانتخابات ، وهذا الموقف قد يضرهم كثيرا عند أهالى أبو حماد .. وقال لى افعل ماتشاء ولكن لاتقدم التاجر الى النيابة لمخالفته للتسعيرة .

وجدت حلا ملائما ، وعرضته على العمدة فوافق عليه . وهو أن يبعث مناديا ينادى كل من اشترى قماشا فى صباح ذلك اليوم ومعه القطعة التى اشتراها ... حدث ذلك وأوقفت المشترين صفا ، وأغلقت أحد بوابتى الدوار حتى لا يتكرر دخول أحد المشترين منها . وصرت أسأل الشخص عن الثمن الذى اشترى به القماش ، ثم أرد اليه الفرق بين ذلك الثمن والثمن المقرر بالتسعيرة ، والتاجر الى جوارى يسدد للناس حقوقهم وفقا لأقوالهم حتى ولو كان بعضهم مبالغا .

فى المساء ذهبت الى بلدتى ، وحضر والدى من أبو حماد ، وقال لى : لماذا عمك احمد ... (التاجر) عضبان منك ؟ فرويت له الحادثة ، وقرر على اثرها مقاطعته نهائيا .

عندما عدت الى القاهرة ، حكيت هذه القصة فى احدى الليالى الاستاذ الامام ونحن فى الطريق الى منزله ، فدعا لى بالخير قائلا : بارك الله فيك .

شركة الاعلانات العربية

من المعروف أن وسائل الاعلام لايمكن لها أن تستمر فى حياتها ، إلا إذا اعتمدت على الاعلان كمصدر رئيسى لايراداتها - إلا فى حالة الوسائل التى تنفق عليها الحكومة ، فيكون ايراد الاعلان فيها عاملا على تحسين أحوالها .

ولقد فطن الأجانب الى ذلك منذ القرن الثامن عشر ، فأخذوا يغزون مصر بالاعلان ، الى جانب غزوهم العسكرى واحتلالهم للأرض وسيطرتهم على الناس ، وعملهم على تفريق الأمة بين أحزاب متناحرة كل منها يسعى الى الحكم متنافسا مع غيره فى ممالأة المستعمر .

فى الأربعينات كان فى مصر وكالات وشركات اعلان ، كلها أجنبية . كانت وكالة " لند" للاعلان يملكها مستر لند وهو انجليزى ويملك امتياز الاعلان عن كثير من السلع المستوردة من بريطانيا . وكانت هناك وكالة " ويلسون " التى تملكها مسز ويلسون الأمريكية والتى تتلقى تعليماتها من السفارة الأمريكية . كما كانت هناك وكالة " ماجيار " التى

يملكها الأخوان ماجيار الفرنسيان فى الأصل ، واللذان كانا يتلقيان تعليماتهما من السفارة الفرنسية . وفضلا عن ذلك كانت فى مصر وكالة اعلان اسمها : " اسبرنت " مركزها الرئيس فى تل أبيب . والمصيبة الكبرى كانت فى " شركة الاعلانات الشرقية " التى يملكها ويديرها اليهود ، وغيروا اسمها عام ١٩٤٩ لتصير " شركة الاعلانات المصرية " يديرها مصريون شكلا ، ويسيطر عليها اليهود فى حقيقة الأمر .

أذكر وأنا أصدر مجلة الكشكول الجديد ، وكانت حرب فلسطين على أشدها بين المجاهدين من الاخوان والجيش المصرى بأسلحته الضعيفة والجيوش العربية الهزيلة من جهة ، واليهود من جهة أخرى ، أن كنا نهاجم اليهود ، وبخاصة أولئك الذين يتبرعون بأرباحهم التى يحصلون عليها من مصر لصالح العصابات الصهيونية . طلبنى مسيو " حاييم " رئيس مجلس إدارة شركة الاعلانات الشرقية وقتذاك (والذى حللت مكانه عام ١٩٥٥ لكى أمصر هذه الشركة) .. قال : مسيو عساف ! أنت تعرف أن العملاء الكبار للاعلانات هم اليهود : شيكوريل ، وأريكو ، وعمر أفندى ، وداود عدس ، وبنزايون ، غير المحلات الصغيرة الكثيرة . وقد طلبوا منى عدم نشر أى إعلان فى مجلتك إن لم تتوقف عن مهاجمة اليهود .

عرضت الأمر على الامام الشهيد فقال : " نحن أصحاب رسالة . والصحافة من وسائلنا وليست غاية لنا . لاتستمع اليهم وليكن مايكون " ولم تمض ٤ أشهر بعد ذلك إلا وكنت قد أغلقت المجلة لكثرة خسائرها .

فكرنا فى عام ١٩٤٥ أن تنشىء شركة اعلانات وطنية ، وعرض الامام الشهيد هذه الفكرة على عدد من رجال الأعمال المسلمين ، فوافق عليها محمد سالم سالم (صاحب شركات الأوتوبيس) ومحمد عبد المنعم

ابراهيم ، ومحمد على امام تاجر الجملة وعضو حزب الكتلة . وأسسنا الشركة برأسمال قدره عشرة آلاف جنيه دفع منها الربع فقط .

وبعد نجاح الشركة وتمصيرها لمهنة المندوبين الذين كان معظمهم يهود أو غير متعلمين ، اتجهت الأنظار اليها لوقف نشاطها . اتصل بالامام الشهيد جابرييل أنكيرى وهو مارونى لبنانى وثيق الصلة بالهامى حسين زوج الأميرة شويكار ، وقال له إن الهامى باشا يتابع نشاط شركتكم وهو يرغب فى توسيعها والاشتراك معكم فيها . كان نصيب جريدة الأخوان فى الشركة ١٠٠٠ جنيه مدفوع منها الربع . تقدم للمشاركة عدد كبير من زعماء الأحزاب (فيما عدا الوفد) وأقيم حفل الافتتاح بفندق الكونتيننتال ، وافتتحه الهامى حسين بكلمة باللغة الفرنسية (لأنه لا يعرف العربية) . وعين أنكيرى مديرا عاما وابنه سكرتيرا ، وأنا نائبا للمدير العام . مالبثت الشركة أن خسرت نصف رأسمالها فى شهور ، ثم انسلخنا وعدنا الى شركتنا وحدنا الى الى أن صفتها الحكومية عام ١٩٥٠ وأنشأ أنكيرى وشركاه شركة إعلانات الشرق الأوسط ، التى لم تلبث أن أفلست عام ١٩٥١ .

اليمن السعيد
والطشت والابريق

صديقى أ. ز. كان مدرسا باليمن ١٩٤٦ موفدا من الحكومة المصرية. وصنعاء العاصمة ليس فيها إلا مدرسة واحدة ابتدائية ، يهتم بها الامام يحيى حميد الدين شخصيا. فكان يزورها كل حين وآخر . دخل مرة الى الفصل الذى يدرس فيه صديقى مادة التاريخ، فسألة الامام : ويا استاذ (أ.) هل هذا التاريخ يساعدهم على أكل العيش؟ فقال : لا ولكنه يمدهم بالثقافة العامة التى لابد منها لكل عربى ومسلم. فقال الإمام: لاتدرس لهم التاريخ ، بل اقصروا التدريس

على الكتابة والقراءة والحساب . (أى مثل ماكان يتعلمه الصبية فى الكتاتيب فى القرى المصرية قبل دخول المدارس النظامية) .

قال لى أ. ز. أن اليمن من أكثر بلاد الله تخلفا ، إن لم تكن أكثرها على الاطلاق . كذلك فإنها بلد فقير لدرجة آن البيت الذى فيه امرأتان أو ثلاثة ، تجدهن لا يملكن إلا رداء واحدا للخروج ، لذلك لايمكن أن يخرجن من البيت كلهن ، حيث ينبغى أن تخرج الواحدة ، وغيرها وتنتظر الى أن تعود لترتدى الجلباب بدورها .

ولم تكن صنابير الماء لها وجود ، ولايوجد مكان للاستحمام ، فلا بد من استخدام الطشت والكوز .

وكان الامام يحيى محتكرا النحاس باعتباره معدنا ثمينا ، وكذلك أجهزة الراديو . ولايستطيع أحد أن يحصل على إناء نحاس أو جهاز راديو إلا بتصريح من الامام .

وكانت محطة الاذاعة اليمنية هى عبارة عن سيارة لاسلكى من السيارات المتخلفة عن حاجة الجيش الانجليزى بعدن (وكانت مستعمرة بريطانية) اشترتها حكومة اليمن . ولم يستطيع خبراؤها أن يفككوا الأجهزة ويعيدوا تركيبها فى مبنى ما ، فوضعوا السيارة على الأرض ثم بنوا حولها حائطا له باب ثم وضعوا السقف بعد ذلك .

احتاج صديقى أ. ز. الى طشت لكى يستحم فيه ، والى جهاز راديو ليتسلى به هو وزملاؤه ، ولكن الامام يحيى لم يوافق على التصريح .

كان من عادة ذلك الامام أن يفتح جميع البريد الصادر والوارد ويطلع عليه . وكان عدد الرسائل محدودا جدا ، وكان فى الاطلاع عليه تسلية للامام .

خطرت على بال صديقى فكرة نيرة وجريئة ، فكتب رسالة وجهها الى جلالة الملك فاروق الأول ملك مصر ، يبلغه فيها أنه يعمل فى اليمن السعيد ، ويسأله أن ينقل تحياته الى الوالدة العزيزة الملكة نازلى والى الأخوات الكريمات فايزة وفتحية وفوزية - وكأنه قريب للأسرة المالكة - وفى اسفل الخطاب كتب ملحوظة تقول: أرجو ارسال طشت وراديو لشدة حاجتى اليهما. وكان فى تقديره أن هذا الخطاب أن وصل الى السراى فسيمزقونه باعتباره صادرا من معتوه .

بعد يومين اتصل به الامام يحيى يسأل عن حاله ، وقال له ألا تريد شيئا ؟ قال : لا والحمد لله . قال : كيف تستحم ؟ قال : على الأرض . قال : ألا يوجد عندك طشت ؟ قال : لا . قال : كيف تقضى وقتك ؟ قال : نتبادل الحديث أنا وأصدقائى . قال : لا . لابد لك من طشت وراديو وأمر بصرف ذلك اليه .

الأمير احمد والنمران

كان للأمير احمد - الذى يطلق عليه الامام يحيى : الولد أحمد ، وهو ولى العهد - نمران ، كان يربطهما الى يمين وشمال باب المسجد ، ويذهب يصلى الجمعة ، ثم يطلق النمرين وهو خارج فيصيح الناس ويعدون هربا ، والولد أحمد يضحك مسرورا بهذا المنظر .

يحكى " محمود " - خادم الأمير الخاص لرجال الجامعة العربية حين ذهبوا الى هناك للتحقيق بعد قيام ثورة ابن الوزير - ان الأمير ذهب مرة

الى الصلاة وهو جنب . فقال له محمود : مولاى ! ألا تتطهرون ؟ فرد قائلا : " نحن طاهرون مطهرون آل البيت " مشيرا الى قوله تعالى : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . ذلك أن آل حميد الدين ينتسبون ليزيد بن على بن أبى طالب من أم غير فاطمة الزهراء . والامام يحيى لقب بالامام باعتباره رأس الطائفة الزيدية والمذهب الزيدى ، وهو مذهب شيعى ، وهو السائد فى اليمن .

ثروة الامام يحيى

كان الامام يحيى حميد الدين محتكرا لبيع الأوانى المصنوعة من النحاس وأجهزة الراديو ، مثلما أسلفنا ذكره ، الى جانب زراعة وبيع القات ، الذى فرض على كل أسرة أن تشترى منه اسبوعيا ماقيمته ريال يمنى . فكان يجمع ثروة طائلة ، يضخمها ماكان يرد اليه من رسوم الميناء وماكان يفرض على التجار من أتاوات .

ولم تكن للدولة نفقات تذكر ، سوى بعض الموظفين البدائيين والجنود ، لدرجة أن الدولة لم تكن ملتزمة بنفقات اطعام المساجين ، حيث كان الجندى يصحب صف المساجين المصفدين مع بعضهم ، ويطوف بهم الشوارع يشحذون طعامهم وطعام الجندى الذى يحرسهم . كذلك لم تكن الدولة تنفق شيئا على تعبيد الطرق ، والمعاونة التى كانت تقدمها للسكان لم تتمثل إلا فى شق قناة بواسطة المساجين فى منتصف الطريق لتتجمع بها المياه المتخلفة عن الأمطار أو التى يلقيها السكان فى الشارع ، حيث لم تكن توجد شبكة للمجارى .

كان الامام يحيى كلما جمع مبلغا من المال يعتدبه ، فإنه يحوله الى ذهب ، ثم يكلف أثنين من العبيد بحمله ، وينقلانه بصحبته الى الجبل

حيث يوجد هناك مكان خفى لاخفائه ، لايعلمه إلا الامام يحيى والعبدان . وبعد اخفاء المال وتكديسه مع ماسبقه ، يعود الامام مع العبدين ، ثم يكلف أحدهما سرا أثناء طريق العودة ، بأن يقتل الآخر بالخنجر الذى يحمله اليمنيون عادة . وبعد ذلك يتولى هو قتل العبد الباقى .

وبذلك لايعرف مكان الكنز إلا الامام. وقد قتل الامام ومات وسره معه

كان الامام يحيى يحترم ويقدر الامام الشهيد حسن البنا ، وتقديرا له أهداه عمامة يمنية ، كان الامام الشهيد يرتديها كثيرا . ولم نكن حتى ذلك الوقت نعلم شيئا عن أحوال اليمن السعيد ، الى أن قامت ثورة بن الوزير ففضحت ماكان مستورا .

التاجر اليمنى

مما كشفته ثورة احمد بن الوزير بعد قتل الامام يحيى ، وجود رجل فى جب تحت الأرض ، وله فى هذا الجب عددا من السنين لايعرفه أحد . كان الجب مسقوفا وفيه فتحة علوية ، منها يدلون له إناء فيه ماء وإناء فيه ذرة جافة . وبعد أن يأكل الرجل ويشرب يسحبون الاناءين . كشف رجال الثورة عن هذا الرجل ، فإذا له لحية طويلة بيضاء اللون ، وشعرا أبيض كذلك قد وصل طوله الى نصف ظهره . سألوه عن حكايته ، فقال إنه تاجر يمنى ، بعث بابنته لتتعلم فى انجلترا على حسابه ، فتعلمت والتحقت بإحدى كليات الطب . ولما تخرجت عُرض عليها أن تعمل هناك ، فرفضت وقالت إنها تريد أن تخدم بلدها . وعادت الى اليمن .

رآها الأمير أحمد بن الامام يحيى وولى العهد ، فاعجب بها ، وطلب من والده خطبتها له . أستدعى الأمام أبا الفتاة ؟ وقال له إن الولد

أحمد يرغب فى تشريفه بالمصاهرة . قال الرجل : ولكن الأمير متزوج بأربعة . فقال الامام يحيى : سيطلق واحدة ... أسقط فى يد الرجل ، ثم قال للامام : اعطنى فرصة لافاتح ابنتى فى الامر . فوجئت الفتاة ، ورفضت أن تكون واحدة من حريم الآمير ، وهرّبها أبوها الى انجلترا فى ذات الليلة حيث أرسلها بقارب الى ميناء بورسودان القريب ، ومنها الى انجلترا .

علم الامام يحيى بأن الفتاة هربت ، فوضع أباها فى السجن الى أن اكتشفه الثوار مصادفة وهو فى حال يرثى لها ، وقد فقد بصره من طول مدة بقائه فى الظلام .

نشرت هذه الأحداث جميعا فى مجلة الكشكول الجديد فى أعداد متتالية ، وإذا باتصال من وزارة الداخلية يبلغوننى فيه أن سفير اليمن بالقاهرة آنذاك قد قدم شكوى ضد الكشكول الجديد الى السراى ، التى طلبت من رئيس الوزراء فوزير الداخلية التوقف عن النشر والاعتذار للسفارة اليمنية .

كانت ثورة بن الوزير قد أجهضت ، وعاد الحكم الملكى الى اليمن وعلى رأسه البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين ، الى أن قامت ثورة عبد الله السلال .

طبعا لم نتوقف ولم نعتذر ، ولكن توقفنا قسرا لتوقف المجلة ذاتها قبيل حل الاخوان .

<u>مؤتمر التأمين</u>

كان الامام الشهيد مجتهدا عظيما وسابقا لعصره فى تفيكره ... وجد شركات التأمين تنشط فى مصر ، وعلماء أفاضل يعتبرون التأمين حراما ، فى حين أن رجال التأمين يعتقدون أنه حلال . وكان العلماء الذين يفتون

بحرمة التأمين بغضهم يحرم كل أنواعه ، والبعض الآخر يحرم بعض تلك الأنواع ويحل ألاخرى ، والاثنان ينظران اليه باعتباره بيع غرر ، حيث أن شركة التأمين تبيع للمستأمن وثيقة بموجبها تدفع له مبلغا نظير حادث قد يقع أو لايقع ، وإن كان لابد من وقوعه (كالموت فى تأمين الحياة) فإنه غير معروف الزمان . ذلك فى حين أن رجال التأمين ينفون عنه الغرر ، بل البيع ذاته ، حيث أن شركة التأمين لاتبيع شيئا ، ولكنها تتوسط بين المستأمنين بعضهم والبعض .

رأى الامام أنه لابد من مواجهة بين هؤلاء وأولئك ، وليدلى كل من الطرفين بوجهة نظره ، ويقارعوا الحجة بالحجة ، الى أن يصلوا الى فتوى تريح المسلمين من عناء الشك .

دعا الامام نخبة من العلماء فى عام ١٩٤٥ ، أذكر منهم الشيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ على الخفيف ، والشيخ محمود شلتوت ... ، كما دعا رجال التأمين وعلى رأسهم الاستاذ احمد عنان (رئيس مجلس إدارة شركة مصر للتأمين فى ذلك الوقت) .

كان موضوع التأمين قد تعددت فيه البحوث والدراسات منذ عام ١٩٠٣ غير أن تلك الدراسات كانت متضاربة وينقصها الوعى الكامل بنظرية التأمين .

اجتمع العلماء ورجال التأمين فى فناء المركز العام مساء فى الصيف ، وبدأ كل منهم يشرح ماتوصل اليه من رأى .

ذهب الشيخ على الخفيف الى حل أنواع التأمين جميعا باعتبارها تعاونا على البر والتقوى ، بعد أن شرح الاستاذ أحمد عنان نظرية التأمين .

قال أحمد عنان إن التأمين هو عبارة عن نوع من التعاون ، وهذه هى صورتة الأصلية ، حيث يتكافل الناس مع بعضهم البعض ، ويدفع كل منهم مبلغا من المال ، فإذا وقع الخطر لأحدهم (حريق أو سرقة أو تلف أو وفاة ... الخ) عوضه زملاؤه أو عوضوا ورثته مما جمع من الجميع . وهذا لاشك أمر مشروع . ولما اتسع النشاط الاقتصادى وكثرت انواع المعاملات وكبر حجم المجتمعات ، فكر البعض فى تكوين منشآت اقتصادية تقوم بدور الوساطة بين المتسأمنين ، فتتلقى هى اشتراكات كل منهم ، ثم تسدد لمن وقع له الخطر المبلغ المتفق عليه لمواجهة كل نوع من المخاطر . وهذا الشكل بصورته البسيطة لا تشريب عليه - فى رأى المؤلف _ إذا كان دور شركة التأمين هو الوساطة وليس تحقيق الربح لنفسها مع الاجحاف بصالح بعض المستأمنين . وقد كانت الصيغة التى قدمها المستر هورروسل مدير شركة ميوتوال ليف الامريكية الى الامام محمد عبده ، على هذه الصورة التى تندرج تحت عقود المضاربة الاسلامية ، فأفتى الامام بصحة هذا النوع من العقود .

ذلك فضلا عن أن اشتراكات المستأمنين (أى الأقساط) تحدد قيمتها بحسابات " اكتوارية " تقوم على التنبؤ العلمى الدقيق بنسبة وقوع كل نوع من الأخطار خلال العام .

وقد انتهى المجتمعون الى مايأتى :

١- التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها مايحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢- نظام المعاشات الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول أخرى : كل هذه من الأعمال الجائزة .

٣- أما أنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بمسئولية المستأمن ، والتأمين الخاص بما يقع على المستأمن من غيره ، والتأمين الخاص بالحوادث التى لا مسئول فيها ، والتأمين على الحياة وما فى حكمه ، فقد قرر المجتمعون الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين واجتماعيين ، مع الوقوف قبل ابداء الرأى - على أراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .

وللأسف الشديد ، عقدت مؤتمرات فى دمشق عام ١٩٦٠ وفى عام ١٩٦٥ ، ولم ينته المؤتمرون الى رأى قاطع يحل التأمين أو يحرمه . بيد أن بعض العلماء اتسم بالشجاعة فحذا حذو الشيخ على الخفيف وأفتى بحل جميع أنواع التأمين ، مثل الشيخ مصطفى الزرقا - من الأردن حاليا وهو من مؤسسى الاخوان فى سوريا منذ الأربعينات - الذى وضع كتابا قيما فى هذا الموضوع .

تلك أحداث متفرقة أسعفتنى بها الذاكرة ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على مايأتى :

١- أن الامام الشهيد كان سابقا لعصره فى تفكيره وتوقعاته ، مجتهدا فى تفسيره لأمور الشريعة ، مع التزامه الكامل بأحكامها الثابتة بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة .

٢- أنه كان يعمل على تكوين مجتمع اسلامى ، يبدأ بالفرد فالأسرة ثم المجتمع ، ثم العالم أجمع ، حيث أن دعوة الاخوان دعوة عالمية .

٣- أنه كان قوى الذاكرة الى حد يعجز عنه الوصف . عرفته بوالدى ذات مرة فى المركز العام بعد حديث الثلاثاء ، وحينما ذهب الامام زائرا لبلدتنا (القطاوية) وذهب والدى يسلم عليه ، قال له :" أهلا ياابراهيم أفندى" ، ولم يكن قد قابله إلا مرة واحدة

٤- أنه كان شديد الذكاء ، بشهادة حافظ رمضان باشا وغيره من السياسيين.

٥- أنه كان ضد العنف سبيلا لنشر الدعوة ، بل كان يؤمن بالتطور البطىء ، مع الحكمة والموعظة الحسنة .

٦- ثم أنى لم أكن أراه فى الأحوال العادية إلا وأجده مبتسما . لدرجة أن جميع صوره كانت باسمة ، الأمر الذى يدل على الرضى والتفاؤل .

الفصل الثانى

طرائف من المعتقلات

هذه هى الأخرى أحداث متفرقة ، حدثت فى فترة الاعتقال بالطور وهاكستب ، فيها من الطرافة مايبعث على الابتسام ، إلا الموضوع الأخير .

عباس عسكر

" يا أولادي ! كنت أظن الاخوان مجموعة من الرعاع مثلما أفهمتنى الداخلية ، غير أنى وجدت فيكم الصحفى والأديب واستاذ الجامعة والعالم الدينى وحامل الدكتوراه والمهندس ... وغيرهم . لهذا فلتعلموا أنى معتقل مثلكم ، وهم لم يرسلونى الى هنا رضاء عنى ، بل غضبا على " .

هكذا بدأ اللواء عباس عسكر حديثه معنا ، فى الأيام الأولى منذ نقلنا من معسكر هاكستب الى معتقل الطور .

كنا لجنة مكونة من : مصطفى مؤمن (مهندس تخرج حديثا) ، وأحمد عبد العزيز جلال (مدرس بدار العلوم) ، وأنور الجندى (كاتب وأديب) أطال الله عمره ، وأحمد أنس الحجاجى (صحفى) ومحمد البنا (شقيق الامام الشهيد ومدير مجلة الشئون الاجتماعية) ... اختارتنا إدارة المعتقل لنكون لجنة اتصال مع القومندان ، ننقل اليه مطالبنا وننقل عنه تعليماته .

كان رجلا جادا وشريفا ، على خلاف مايصفه به كثير من الاخوان الذين لم يروا فيه إلا جانب الشدة فحسب .

فى يوم من الايام استدعانا القومندان وقال : ياأولادى أنتم اعتقلتم هنا ، ليس لتتريضوا أو تلعبوا الكرة فى فسحة الحذاء (المكان المحاط بسياج من السلك الشائك، وكان معتقل الطور مكون من ٦ حذاءات) كما تعلمون ، ولكنكم جئتم هنا لكى نكدركم . وأنا لم أفعل هذا . انما ستأتى غدا صباحا باخرة عليها دفعة جديدة من الاخوان المعتقلين ، ويصحبهم عدد من ضباط القلم السياسى . وسوف يكتبون تقريرا عنكم . لهذا أطلب منكم ألا تلعبوا

الكرة غدا ، وسنغلق عليكم بوابة الحذاء ، عندما يمر طابور المعتقلين الجدد ، فأرجو ألا تهتفوا هتافكم المعهود ، حتى يمر هذا اليوم على خير . وبعد أن ترجع السفينة وعليها الضباط سنعود سيرتنا الأولى ونسمح لكم بالخروج من الأسوار .

نقلنا هذه الرغبة الى الادارة الداخلية عندنا . فانبرى أحدهم هائجا وقال : ماهذا الضعف؟ اسيكممون أفواهنا ؟ قلت له : من الافضل أن نتعاون مع إدارة المعتقل لما فيه الخير لنا . قال : أنت لا تتسم بالشجاعة الأدبية . ماذا سيفعلون بنا أكثر من هذا ؟ قلت : إن مايمكن أن يفعلوه كثير .

جاء اليوم التالى والوجوم يسيطر على الاخوان فى الحذاء رقم ٥ ، ثم فى الساعة الحادية عشرة ظهرا رأينا طابور المعتقلين الجدد يقطع الطريق من الميناء الى الحذاء رقم ٢ مارا من أمامنا ، وإذا بالاخوان عندنا يجأرون بالهتاف : الله أكبر ولله الحمد ... الخ ، ثم زاد الحماس شيئا فشيئا ، فهجم " محمود هـ " . " ونحلة " (وهو يعمل بمبوطيا بالسويس وليس من الاخوان) على البوابة فكسراها وبدأ الاخوان يتجمهرون بعاطفية لا عقلانية فيها خارج بوابة المعتقل .

أدخل الاخوان الجدد الى حذائهم ، ثم فوجئنا بطابور قادم إلينا : عساكر البيادة المدججون بالسلاح ثم الهجانة ومعهم الكرابيج ثم سيارات النصف نقل وبها جنود وضباط مسلحون بالمدافع الرشاشة . تجمعوا أمام الباب ، فدخل الاخوان الى داخل الحذاء ، ثم تقدم اللواء عباس عسكر ووزع الهجانة فى الفناء ضاربين بالكرابيج كل من يجدونه أمامهم . وكان الأخ الذى اعترض على تعليمات القومندان فى الغرفة التى بجوارنا . قد خرج من الباب مناديا

بصوت عال : ياسعادة القومندان ... ياسعادة القومندان ... فقال القومندان : اضرب ياعسكرى . فنال الأخ سوطٌ جعله يقفز ويدخل غرفتنا . قلت له : أين الشجاعة الأدبية ؟!!

الأخ المسيحى والأخ الشيوعى

فى أحد أيام الشتاء عام ١٩٤٨ ، دخل علينا فى معتقل هاكستب شاب غريب على الاخوان . سألوه عن اسمه والى أى شعبة ينتمى ، فأجاب بأنه لاينتمى الى أى شعبة .

كان الغرض من سؤاله أن يتعرفوا عما إذا كان من الاخوان أم كان جاسوسا بعث به القلم السياسى . وعندما أجاب بأنه ليس من الاخوان بدأت معاملة المعتقلين له تشتد وتعنف ، ثم بدأوا يتجنبوه .

أحس الشاب بالعزلة وصار مكتئبا . طلبت منه أن يأتى بسريره الى جوارى، فجاء به وصرنا نتبادل الحديث . اسمه أ. الوزان، وهو شيوعى . أتى به لخلاف بينه وبين أحد الضباط فوضع اسمه فى قوائم الاخوان المسلمين . حاولت أن أجعله يندمج مع الجماعة بأن يقوم للوضوء والصلاة ، ولكنى فشلت معه . فيبدو أنه كان شيوعيا عريقا ممن لايؤمنون بالله ، ويعتقدون أن المادة هى أساس كل شىء مثلما وردفى النظرية المادية الجدلية لجوزيف ستالين.

كانت تسليته الوحيده هى أن يدندن بنشيد حزين ألفه الشيوعيون فى المعتقلات يقول :

يارفاقى .. يارفاقى .. طال بى عهد الفراق
ففؤادى فى اشتيـاق .. حبـذا هـذا التلاقى
بين جدران السجون

بعد أيام قدم طلبا للنقل الى عنبر الشيوعيين ، فنقل اليه ، ولم أره بعد ذلك إلا فى معتقل الطور عندما زرت حذاء الشيوعيين .

قرب نهاية المعتقلات ، فى شهر سبتمبر ١٩٥٠ (قبل غلق المعتقلات في يناير ١٩٥١) سيق الينا شاب يبكى ، ويقول : لست من الاخوان . لقد قبضوا على ظلما . أنا مسيحى . وهذا هو الدليل : صليب موشوم على ساعده الأيمن . قربته إلى وطيبت خاطره وسألته عن حكايته فقال : قد طلب اليه ضابط المباحث أن يعترف على زميل له بأنه كان يوزع منشورات ضد الحكومة ، فأبى أن يشهد زورا . وهددوه كثيرا فلم يستجب لهم . فأقسم الضابط ليضعنه فى المعتقل الى أجل غير مسمى . فكان نصيبه أن وضع مع الاخوان .

ومن المعروف أن الاخوان لايتعصبون ضد المسيحيين . إذ بدأنا نعطف عليه ونقدر مصيبته . ثم خطرت لى فكرة ...

كان من ضمن طاقم الحراسه كونستابل نوبى لا أذكر اسمه . انما كان هو الذى قبض بشجاعة على قتلة اللورد موين الانجليزى ، وهم يهود أرسلوا لمصر لهذا الغرض لكى يتهم المصريون بقتله . وكان هذا الكونستابل يقدم لنا خدمات لاتقدر بثمن ، مثل ارسال الخطابات بالبريد لأهالينا واحضار ملابس من بيت من بليت ملابسه ، واحضار خطابات لنا ... الخ حدثته فى موضوع هذا الشاب المسيحى . وكنت قد أعددت خطابا على لسانه لنيافة بطريرك الأقباط . وطلبت من الكونستابل أن يرمى ذلك الخطاب بيده فى صندوق البريد .

بعد أيام قرأنا فى الجرائد المهربة الينا أن البطريرك قابل ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء . فأطلعت الشاب على هذا الخبر ، وقلت له لعل فى

الأمر خيرا له . وقد كان .. فبعد يومين طلب الشاب لمقابلة القومندان ، وأن يأخذ معه ملابسه . ودعناه عند البوابة ونحن نتمنى له الخير فى حياة الحرية .

بعد أيام ذهبت الى مكتب القومندان لاتسلم خطابا بالبريد ، وإذ بى أجد ذلك الشاب هناك . سألته : ألم يفرجوا عنك ؟ قال : لا .. لقد نقلونى الى عنبر الشيوعيين وأنا هنا اليوم لأتظلم عند القومندان وأطلب منه إعادتى الى عنبر الاخوان .

أكل السمك النيىء

فى ديسمبر ١٩٤٨ ، كنا فى معتقل هاكستب ، وكان العدد حوالى المائة . وكان متعهد الطعام يورد لنا خروفا مذبوحا ومسلوخا كل يومين ، ومقسوما بالطول الى نصفين ، نطبخ نصفه فى اليوم الأول ، والنصف الثانى فى اليوم التالى . وكان الوقت شتاء والبرد قارسا لى ، فكنا نعلق نصف الخروف طول الليل فى الهواء الطلق حتى لايفسد .

فى صباح كل يوم كنا نجد فجوة فى فخذ الخروف ، أى أنه مأخوذ من الفخذ قطعة لحم هى من أجود مافيه . تساءلنا ، من منا يطبخ وحده ؟ لا أحد إلا الاستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الامام ، وكان مريضا بالقلب ويأكل نصيبه كل يوم مشويا. وكان نصيبه هذا شريحة صغيرة من اللحم

استمر هذا اللغز قائما ، إلى أن نقلنا الى معتقل الطور ، وكان مسموحا لنا بالتجول خارج أسوار المعتقل حتى المغرب ، ثم نتأكد بأنفسنا أن أحدا منا ليس بغائب ، وفقا لوعدنا لقومندان المعتقل اللواء عباس عسكر ، حيث كان عبد العزيز أحمد يتمم على المعتقلين مغرب كل يوم .

كنا نذهب أنا والاساتذة محمد البنا وعبد الباسط البنا وأنس الحجاجى وأنور الجندى ، لنتجول فى وادى مدين القريب من الطور لنأكل الفجل الطازج والطماطم والفلفل لأخضر ، وهى الأشياء التى كنا محرومين منها حوالى الشهرين . قابلنا أحد الأعراب . سألناه إن كان يحفظ فاتحة الكتاب ، فقال نعم . قلنا اقرأها . فقال " بسم الله الرحمن الرحيم . ولا الضالين آمين " ... قلنا من هو نبيك ؟ قال موسى ، ثم تردد وقال : لا . شعيب " ... الى هذا الحد كان الجهل بالدين .

وفى يوم من الأيام كنا نتريض فى الميناء عند الرصيف الذى ترسو عليه السفن . فوجدنا شابا بدويا قد ألقى شبكته فى الماء ، وربطها من جانبيها فى مرسى السفن ، وتركها مدلاة فى الماء فوق القنطرة الخشبية التى تنتصف الرصيف والتى كان الماء يمر من تحتها . فكان السمك الصغير يجتاز الشبكة من جانب الى آخر ، والكبير يصطدم بها فيرجع على أعقابه ، أما السمك الذى يعادل سمكه فتحات الشبكة فإنه يظل معلقا فى فتحاتها حيث تمنعه زعانفه من الحركة ذهابا أو عودة . ثم يستخرج الأعرابى الشبكة وهى مرشقة بالسمك ذى الحجم الواحد ، ومعظمه من سمك البورى ... باع الأعرابى شبكته أمامنا لأحد اليهود بثلاثين مليما . طلبنا منه القاء شبكة أخرى فأبى ، وقال : الثلاثة قروش تكفى اليوم . تعالوا بكرة ..

ونحن وقوف على رصيف الميناء ، حدثت واقعتان : الأولى أن أحد الاخوان حاول أن يدفع يهوديا الى الماء من فوق الرصيف ، وهو مكان غائر جدا لأنه مرسى للسفن الكبيرة . لحقته فى آخر لحظة ويداه ممدودتان فى اتجاه ظهر اليهودى . قلت له غاضبا : ماذا تفعل ، أترتكب جريمة ؟ قال : " إنى حضرت مع دفعة المعتقلين فى الاسبوع الماضى ، وكنت أحارب اليهود فى فلسطين ، وكان إخوانى يتساقطون شهداء الى جوارى . سافرت فى

أجازة فاعتقلونى فى رفح ، ونقلونى الى الطور مباشرة . أأحضر هنا لأجد اليهود الذين نقاتلهم ويقاتلونا ، متمتعين هانئين على شاطىء البحر الحمر؟ !! هذا مالم أستطيع أن أتحمله . هدأت خاطره وخاطبته بالعقل وأوضحت له أن القتل فى الميدان شىء وفى وقت السلم شىء آخر ، وكلنا هنا معتقلون ومعتدى علينا معا .

الواقعة الثانية ، هى أنى وجدت " محمود هـ " . الذى سبقت الاشارة اليه من قبل ، يصطاد بسنارة ، فأخرجت السنارة له سمكة كبيرة تقفز فى الهواء . أمسكها بمنديل معه ، وأخرج من جيبه سكينا من مخلفات الجيش الانجليزى (مطواة ذات منافع متعددة) . فتح السكين ونظف بها السمكة من قشورها ، وقطع رأسها وزعانفها وسلخها ، ثم وضعها فى فمه ولم يخرج منها إلا سلسلة شوكها ، وقال بصوته الأجش : ياسلام ياسلام زى الزبدة . لقد أكل السمكة نيئة .

حينئذ عرفنا يقينا من كان يسرق قطعة اللحم من نصف الخروف فى هاكستب ويأكلها دون أن يطبخها .

كان الأعراب يصطادون اللؤلؤ من البحر ، وهو يوجد فى نوع معين من المحار ذى الشكل الدائرى ، وكان مدير مكتب البريد ببلدة الطور يشترى منهم اللؤلؤ بعشرة قروش . حاولت أن أشترى شيئا من اللؤلؤ الحقيقى الحر ، فلم أستطع ، حيث كان مدير البريد محتكرا لشرائه .

الغضاريف الأدمية

كان الجو مشمسا فى ميناء الطور فى يوم من أيام يناير ١٩٤٩ . وكنا ونحن معتقلين نذهب الى الميناء ، ونجلس على المقهى الصغير والوحيد

هناك ، نستمتع بدفء شمس الشتاء ، وذلك قبل أن تشتد الأمور ونمنع من الخروج من أسوار المعتقل .

وكان قد نمى الى علمنا من قبل أن أحد المعتقلين من مدينة السويس : محمود هـ. قد تقدم لشيخ مسجد الطور يخطب ابنته . وكان هذا أمرا شاذا . فالمعتقل لايجوز له أن يتزوج لأنه لايعرف أين سيكون غدا ، ثم من أين ينفق على زوجته ، ثم إنه متزوج من اثنتين أخريين بمدينة السويس .

كان محمود هـ . من انصار السنة المحمدية ، وهم يؤمنون بأن التعدد هو الأصل فى الزواج ، والاستثناء هو الواحدة ؟

فوجئنا فى يوم من الأيام بنسخة مهربة لنا من صحيفة أخبار اليوم ، ومن أخبارها الرئيسية أن أحد المعتقلين يتزوج فى الطور .

ما الذى نفعله لكى نوقف هذه المأساة، بل المهزلة، ونمنعها قبل وقوعها ؟

لو أننا ذهبنا الى شيخ المسجد وحذرناه فلعله يظن أننا حاسدون للشيخ محمود هـ . الوقور المنظر ذى العباءة السوداء والشارب الحليق .

جلسنا نتداول فى الأمر : أنا ، ومحمد البنا (رحمة الله عليه) شقيق الامام ، وعبد الباسط البنا الشقيق الثانى للامام والذى كان يعمل ضابطا بالشرطة واعتقل وأحيل الى الاستيداع ثم أعادته الثورة الى وظيفته ثم أحالوه للاستيداع مرة أخرى . وكان معنا الاستاذ أنور الجندى .

قال عبد الباسط البنا : عندى فكرة لافساد هذا الزواج . فلنجلس الى الطاولة المجاورة لتلك التى اعتاد شيخ المسجد أن يجلس اليها . وسأحكى لكم حكاية فأظهروا الاندهاش فقط

مالبث شيخ المسجد أن حضر ، وجلس الى طاولته ، وطلب فنجانا من القهوة . وإذا بعبد الباسط يقول بصوت مسموع للجالسين الى جوارنا : " حاولنا أن نمنعه ، ولكن جهودنا ذهبت هباء ، فقد كان ممسكا بأذن ابراهيم بأسنانه لايريد فكاكا . وفى نهاية الامر ضربته على رأسه فتركها وهى تنزف دما ... " قال الشيخ : " ماهذا ؟ أهى حادثة فى المعتقل ؟ " أجاب عبد الباسط : " إنه شخص عندنا مريض يأكل الغضاريف الآدمية كالأذن والأنف " قال الشيخ : " أعوذ بالله ... " قال عبد الباسط : " لعله تعرفه فهو مطلق لحيته وحالق شاربه ويضع عباءة سوداء . " قال الشيخ : " أهو محمود هـ . " قال عبد الباسط : " نعم " . فقال الشيخ : " ولكنه يزورنى ويتحدث الى ولم ألاحظ عليه شيئا " . قال عبد الباسط : " ألم تلاحظ أنه يميل نحوك كأنه يهمس اليك " قال : " نعم " . قال " فاحترس لأن تلك اللحظات التى يتظاهر فيها بالهمس فى أذنك ، يراوده فيها شيطانه أن يقضمها . وهكذا فشلت الزيجة بغير عناء .

مع ألبير مزراحى

كان البير مزراحى يهوديا يعمل صحفيا . وكان يزورنى وأنا مدير لشركة الاعلانات العربية ، وبعد أن صرت عضوا بنقابة الصحفيين بأعتبارى صاحب امتياز مجلة الكشكول الجديد ، كنت ألقاه فى النقابة فى كل مرة أزورها .

فى معتقل هاكستب جاءنى أحد الجنود حاملا علبة فيها ٦ قطع جاتوه ، وقال إنها من ألبير مزراحى . وكان الجاتوه فى المعتقل شيئا شاذا ، فرح به زملائى فى الغرفة ، وكنا ستة أشخاص من بينهم الاستاذان أنور الجندى ومحمد البنا .

بعد أن أفرج عنا فى يناير ١٩٥١ - أى بعد اعتقال امتد على مدى ١٣ شهرا ، ذهبت أزور البير مزراحى فى مقر جريدة التسعيرة بأوائل شارع عماد الدين من ناحية شارع الملكة نازلى (رمسيس حاليا) أخذنى فى جولة داخل مقره ، الذى كان فيه مكتبه ومطبعة تعمل باليد وغرفة لجمع الحروف .

كانت جريدة التسعيرة تصدر كل يوم ، وكان إصدارها سهلا حيث كان يقتضى تغيير الأرقام التى تدل على الأثمان فقط دون أى تغيير فى الكتابة . وكان عنده عاملان فى المطبعة يعملان فى المساء فقط ، أحدهما لادارة آلة الطباعة والآخر لجمع الأرقام التى تغيرت .

وكان الناس يقبلون على شراء تلك الجريدة لحاجتهم الى معرفة الأسعار ، حيث كانت وزارة التموين تسيطر عليها لتمنع جشع التجار . أى أن الجريدة كانت توزع ثلاثة آلاف نسخة ، وهو رقم محترم فى ذلك الوقت الذى كانت فيه جريدة المصرى توزع ٢٥ ألفا .

قال لى وهو يرينى آلة الطباعة ، إنها هدية من فؤاد باشا سراج الدين بمناسبة خروجى من المعتقل ، وقد كانت خاصة بجريدة النداء الأسبوعية التى يملكها ياسين سراج الدين ، واستغنوا عنها بسبب شراء آلة جديدة .

ونحن جالسان نحتسى القهوة ، حضر شقيق ألبير . وحيانا وجلس . ثم قال لألبير : أريدك فى موضوع خاص ، فتركتهما وانتظرت فى صالة الاستقبال الى أن ينتهيا من حديثهما .

فجأة سمعت ألبير يزعق بصوت عال وبغضب شديد قائلا لأخيه : يابن ال (سبه سبا يعف عنه اللسان) ثم نادانى وقال تعالى واسمع هذا ال ... !!

انظر ... وأرانى كشفا قدمه له أخوه فيه بيان بمصروفات أنفقها عليه وهو بالمعتقل ، من أهمها تذكرة سفر بالقطار الى هاكستب والعودة ، وثمن دستة جاتوه .

أحسست بخجل شديد لأنى أخذت نصف هذه الدستة وتمنيت لو استطعت أن أسدد ثمنها لهذا الأخ الشقيق ... ولكن تلك هى طباع اليهود .

غادر ألبير مزراحى مصر عام ١٩٥٦ حينما طردت الحكومة جميع اليهود من فاقدى الجنسية أو أصحاب الجنسيات الأجنبية ، ذلك بالرغم من أن ألبير كان مصريا صميما ويحب مصر كما كان يبدو لى ، ويتكلم بالسوء عن الصهيونية . والقلوب يعلمها الله وحده . سافر الى كندا وحصل على الجنسية الكندية وصار يدافع فى الصحافة الكندية عن القضايا العربية .

علمت بعد ذلك فى عام ١٩٧٦ أنه عاد الى مصر فى زيارة ليستعيد ذكرياته فيها ، وسأل عنى ، ولكنى كنت فى زيارة لعدد من الجامعات الأمريكية فى ذلك الوقت .

عساف يؤوى اليه الجواسيس

ليس كل رجل دعوة يصلح أن يكون قائدا ، فللقائد صفات وخصائص ولرجل الدعوة صفات وخصائص أخرى . وقد لايشتركان إلا فى كون كل منهما ينبغى أن يكون قدوة . وذلك مثلما أنه ليس كل حامل للدكتوراه يصلح أن يكون مديرا أو وزيرا . فالدكتوراه تعنى أن صاحبها قادر على البحث العلمى ، وهى رخصة له ليمارس البحث ونقل العلم . بل إن كثيرا من حملة الدكتوراه لايتقنون نقل العلم ... فما بالنا بشئون الادارة والحكم ؟

لم نكن داخل المعتقلات بقادرين على أن نحكم أنفسنا ، فهل نصلح لحكم الآخرين ؟ إن للحكم رجاله المتمرسون عليه والقادرون على أعبائه . لهذا يخطىء من يظن أن حكم الاسلام يعنى حكم رجال الدين مثلما هو حادث فى ايران . فايران تتبع المذهب الشيعى الذى يقضى بعصمة الامام . أما مذهبنا السنى فلا عصمة لأحد فيه ...

أيها القراء : لاتؤاخذونى على هذا الاستطراد ، فقد حدث فى صيف عام ١٩٤٩ أن وفد الينا فى الطور أعداد كبيرة من المعتقلين الجدد . وكان من بين من وفدوا الدكتور علام . والدكتور علام هذا كان مدرسا للكيمياء لى الكلية الحربية . وكان له باع كبير فى تركيب المتفجرات التى استخدمت فى حرب فلسطين . وكانوا قد اعتقلوه فى آخر الشهر ، ولم يكن قد قبض راتبه بعد . وأخذ من الكلية الحربية الى قسم البوليس الى القلم السياسى الى المعتقل ، دون أن يتمكن من تدبير أمور بيته ، حيث ترك زوجته وحماته وحدهما بغير نقود ، وهما تركيتان غريبتان لاتعرفان أحدا . طمأنته وأجريت بعض الاتصالات السرية التى كنا نتقنها ، .وجاءت الأخبار لنا أنهما بخير ، وأرسل الاخوان ممن فى خارج المعتقل لهما نقودا . (سمى هذا فيما بعد بتمويل الارهاب فى عهد عبد الناصر) .

قال لى الدكتور علام إنه يتقن الطبخ لأنه عود زوجته على أن يعطيها أجازة من الطبخ يوم الجمعة ، ويتولى هو ذلك الأمر ، تحت إشرف حماته التركية . لذلك فهو يتمنى لو أشرف على مطبخ المعتقل . (ملحوظة : تعلمت منه ذلك فكنت أتولى اعداد طعامم أسرتى كل يوم جمعة) . أخذته الى الشيخ ... رئيس المعتقل وعرفته به - ولم أبلغه بحقيقة أمره ومكانته فى الدعوة - فقبل أن يشرف على المطبخ .

كان اليوم التالى هو أول يوم فى رمضان ، فطلب الدكتور علام من.
لجنة الكانتين (التى تحضر من الكانتين الذى يملكه المتعهد مواد الطبخ)
أن يستبدلوا أشياء بأشياء أخرى ، وفوجئنا به يقدم لنا على الافطار أرزا
بالشيكولاته المحلاة بالسكر كنوع من الحلوى .

فى اليوم التالى طلب علام من اللجنة احضار أشياء عينها لهم ،
فجاءوه بأشياء أخرى . فغضب وذهب يشكوهم الى رئيس المعتقل الذى قال له :
شوف يادكتور ! انت عليك الطبخ فقط . فان جاؤوك بـ ... (كلمة بذيئة)
فعليك بطبخه ، غضب علام وقال له : .... فى وجهك ياقليل الأدب ،
وصارت مشادة ... كان فيها علام هو الخاسر ، لأن الاخوان فى الغرفة التى
كان ينام فيها اضطهدوه لأنه سب القيادة . كان هؤلاء من البسطاء غير
المتعلمين الذين ينقادون بغير تفكير . ولما ضاقت الحال بعلام ، طلب أن
ينتقل الى غرفتنا حيث كانت تضم مجموعة من المثقفين . فأحضر خشبته
التى ينام عليها (كل منا كان له لوح خشبى يرفعه على قوالب من الطوب
ويفرش عليه بطانيته وينام عليه . وكان ذلك اللوح لايلين أبدا مهما وضعت
عليه من طيات البطاطين) .

هاجمنى الاخوان لأنى آويت الدكتور علام الذى كان وزنه عند الله
كوزن مائة منهم ، وقالوا: عساف يؤوى اليه الجواسيس . طبعا هذا لايهم .
وقد حكيت هذه القصة للمرحوم الاستاذ عمر التلمسانى حين كان فى زيارة جدة
وأنا استاذ بجامعة الملك عبد العزيز فضحك مقهقها وصار يحكى تلك القصة
لغيرة من الاخوان .

فى أقسام البوليس

يوم أن صدر قرار حل الاخوان المسلمين فى ديسمبر عام ١٩٤٨ ،
حضرت قو" من الشرطة الى مقر شركة الاعلانات العربية برقم ٥٣ شارع ابراهيم

باشا ، واقتادتنى مع جميع موظفى الشركة الى قسم الازبكية . وضعنا هناك فى الحجز من الصباح حتى صباح اليوم التالى . حدثت فى هذه الساعات الاربع والعشرين أحداث طريفة :

- حشروا معنا فى الحجز ، وهو مكان مسور بدرابزين ، أحد المساجين المحالين الى النيابة للتحقيق . سألناه عن أمره فقال أنه قاتل امتثال فوزى . وامتثال فوزى هذه كانت راقصة تعمل فى ملاهى شارع عماد الدين ، وكان هو فتوة المنطقة الذى يفرض حمايته على المتاجر والملاهى الموجودة بها نظير جعل يحصل عليه من كل منها . رفضت امتثال فوزى الامتثال الى اراداته وقاومت سلطته ونفوذه وأظهرت التمرد ، فما كان منه إلا أن شرب الخمر وسكر ، وتناول زجاجة قصف عنقها ، ثم ذبحها بالجزء الحاد الحواف الباقى من الزجاجة . وحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة . وكان لتلك الحادثة صدى كبير على الرأى العام وقت أن كنت فى السابعة عشرة من عمرى وأنا طالب فى السنة الاولى بكلية التجارة .

سألته : مالذى جاء بك الى القسم ، فقال : أنا رجل محكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ، أى ٢٥ عاما ، قضيت منها بالسجن عشرة أعوام ، فاعتدت على حياة السجن . وأنا أقوم بتسلية فيه عن طريق الاتجار بالممنوعات . ولايتيسر لى ذلك إلا إذا خرجت من السجن لأشترى السجاير والحشيش ، ثم أعود اليه لأبيعها للمساجين بأضعاف ثمنها . فمثلا السيجارة بعشرين مليما (نصف فرنك) فى حين أن ثمنها هو مليم ونصف ، وكذلك الحشيش أبيعه بعشرة أمثال ثمنه . قلت له وكيف تخرج من السجن ثم تعود اليه ؟ قال : أضرب أحد الضباط لأى سبب أفتعله ، فيرسلون بى الى النيابة للتحقيق ، ثم أتصالح مع الضابط وينتهى الأمر . ويتكرر ذلك كل شهرين مرة أو كلما بعث مخزونى من

المهربات . قلت له وكيف تدخل بها الى السجن ؟ فقال أضغط كل عشرة سجائر فى غطاء العلبة بحيث تصير فى شكل اسطوانى وأعبئها فى بالونه وألبسها من أسفل ، وأدخل السجن وليس معى فى الظاهر شيء .

بعد المغرب أتى ضابط شرطة ومعه امرأة تتحلى بعقود وأساور من ذهب تغطى جيدها وصدرها وذراعيها . ثم قذفوا بها الى غرفة النساء اللائى رحبن بها بالزغاريد . سألنا عنها فقيل لنا إنها المعلمة !! رئيسة العاهرات فى المكان المخصص للنسوة السقطات فى شارع كلوت بك قرب التقائه مع ميدان الخزندار .

بعد ساعة حضر الباشجاويش ، وناداها من خارج الباب بأدب جم : ياست يامعلمة ، لازمك شيء ؟

فقالت لا. فذهب وعاد بصينية عليها براد شاى ساخن وأدخله اليها.

وفى منتصف الليل اقتاد الباشجاويش فتاة ساقطة ، وأدخلها الى غرفة النساء ، وأخرج المعلمة التى شيعت الى الخارج بمزيد من الاحترام . وفى الساعة السابعة صباحا أتوا بالمعلمة وأدخلوها سجن الحريم وأخرجوا المرأة البديلة .

سألنا عن هذه الظاهرة فقالوا لنا إن المعلمة كبيرة القدر ولا ينبغى أن تسجن طول الليل ، والبديلة التى أحضروها هى أحدى فتيات المعلمة ، جاءت تقوم بالواجب ، حتى إذا حضر أحد مفتشى الداخلية ونادى على أسماء السجينات فجأة ، فإنه يجد العدد كاملا .

قرب الظهر أدخل علينا شاب سورى ، تبادلنا الحديث معه فقال إنه يعمل فى تهريب المخدرات الى مصر ، وأخذ يحكى لنا ماتقوم به عصابات

التهريب من خدع فى نقل المخدرات داخل الاطارات الداخلية للسيارات عبر البحر الأبيض المتوسط من موانى سوريا ولبنان الى شواطىء مصر . وقال إنهم يعملون فى النور ، ويدفعون رواتب الى عدد كبير من ضباط حرس الحدود ؛ غير أنهم فوجئوا بنقل ضابط جديد الى الحرس لم يكن قد اتفقوا معه بعد ، فبض عليهم وهم الآن هو وزملاؤه - رهن التحقيق .

- فى ذات الوقت قبض على شاب من الاخوان صغير السن ، وأودع فى قسم الخليفة . جاء أبوه ليطمئن عليه ، فنادى عليه من خارج شباك زنزانة الحجز : ولد يافلان ! رد الولد : نعم يابه ! قال الأب : مش عايز حاجة ياوله . فرد الابن : عايز مصحف يابه . فرد الأب مستنكرا لأنه يعرف عقاب حمل المصحف : " مصحف ؟ قول هات زجاجة بيرة ياابن ال .. وكأنه بذلك يدرأ شبهة التدين عن الولد ، ولعلهم بذلك يفرجون عنه .

فى عام ١٩٥٤ حين كنت مديرا عاما لشركة النيل للاعلان ، قبض على وأنا فى منزلى ، واقتادوتى الى قسم قصر النيل وكان فى حى الزمالك . وأودعت فى زنزانة فى الدور تحت الأرضى . وفى المغرب جاء الحارس وفتح الباب وأدخل لى طبقا ملفوفا فى ورق الألمنيوم ، به فرخة محشوة بالفريك وأرز بالخلطة ، وتركها وأغلق الباب .

لم أكن قادرا على تناول أى طعام ، حيث لم أكن أعلم لماذا قبضوا على ، فى حين لم يكن لى أى نشاط مع الجماعة . وفى منتصف الليل قذفوا الى الزنزانه بشاب صغير السن لايتجاوز عمره الست عشرة سنة . دخل فى الظلام وجلس يسب الثورة ورجالها ورئيسها ومناصريها . هدأت من باله ، وعرضت عليه الدجاجة ، فالتهمها ولم يبق منها أو من الأرز شيئا .

وبعد ساعتين سمعت المأمور يسأل الحارس من هنا ومن هناك فى باقى الزنازين ؟ ولما علم بأن شابا آخر وضع فى زنزانتى ثار غاضبا وقال : ألا تعلمون أن من بهذه الزنزانه شديد الخطورة ويجب أن يكون حبسه انفراديا ؟ .. فتحوا الباب وأخرجوا الشاب ، وفقدت فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، جاء الحارس وطلب منى الخروج ومعى أشيائى التى كنت قد أحضرتها من المنزل ، وقادنى الى غرفة المأمور ، الذى قام مرحبا بى ومعتذرا عن سوء المعاملة .

وجدت معه الاستاذ صلاح عبد الجيد الصديق الصحفى رحمة الله عليه ، ومحيى ترك صديقى ، ومحمد هلال مدير مكتب السيد / وجيه أباظة رئيس مجلس إدارة الشركة التى أديرها .

قال لى محمد هلال ، إن قائد الجناح وجيه أباظة اتصل بعلى صبرى مدير مكتب عبد الناصر ، وأبلغه أنه إذا تم حبسى أكثر من ذلك فإن الشركة سوف تتعرض للفشل ثم الى التصفية . بعد دقائق دق جرس التليفون ورد عليه المأمور ، ثم قال : حاضر ياأفندم . ثم قام يعانقنى ويودعنى بسلامة الله . سألته : ولكن لماذا قلت ليلة الأمس أن بالزنزانة شخص خطر جدا ؟ فقال : لقد التبس على الأمر فقد كان فى الزنزانة المواجهة محمد حلمى مراد وظننته فى زنزانتك !!

محمد حلمى مراد عين بعد ذلك بفترة قصيرة وزيرا للمعارف فى وزارة رأسها عبد الناصر بنفسه .

ضابط القلم السياسى

اعتقلت فى صباح ٨ ديسمبر ١٩٤٨ - يوم حل الاخوان . ثم افرج عنى فى اليوم التالى ثم قبض على مرة أخرى يوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ وأودعت

فى المعتقل لأخرج منه فى أواخر يناير ١٩٥٠ ، أى لمدة ١٣ شهرا بدأت فى اليوم الثامن والعشرين لزواجى الذى تم فى ١٩٤٨/١١/١١ وعقد فيه العقد الاستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الاخوان نيابة عن المرشد العام .

اعتقلت للمرة الثانية بعد يومين من الافراج ، لأنى كنت أقطن بفيلا بشارع الأصبغ بحلمية الزيتون ، تقرب من فيلا استأجرها المهندس سعد جبر نجل الشيخ محمد جبر التميمى عضو الهيئة التأسيسية للاخوان . وكانت هذه الفيلا مقرا لمحطة إذاعة أنشأها سعد جبر لحساب الهيئة العليا لفلسطين بزعامة الحاج أمين الحسينى. وتصور رجل القلم السياسى - كما هو دأبهم دائما - أن هذه المحطة تابعة للنظام السرى للاخوان ، بالرغم من أنها لم تذع رسالة واحدة تتعلق بالاخوان أو مشاكلهم مع الحكومة .

بعد اعتقالى أودعت بقسم الزيتون لمدة يوم ثم رحلت الى معتقل هاكستب ، ثم الى معتقل الطور . وعندما تم نقلنا الى الطور أحس خالى (والد زوجتى) بأنه لا أمل فى الافراج القريب ، فتوجه مع زوجتى الى منزلنا فى الزيتون ليحضروا ملابس الصيف حيث اعتقلت فى الشتاء ، ووقتئذ كان الصيف على الأبواب . وجدا باب المنزل مشمعا بالشمع الأحمر ولا يوجد أى حارس هناك . دفعا الباب ودخلا .

بعد دقائق جاء جندى الحراسة حيث كان يقضى حاجة ، وأخذ يشتد فى كلامه مع خالى لأنه دخل رغم الشمع الأحمر . أفهمه خالى الوضع ولكن الجندى أصر على اصطحابهما الى القسم . وكان مأمور قسم الزيتون رجلا مهذبا ، شرح الأمر لخالى موضحا أن رجال البوليس السياسى داهموا الفيلا التى كنت أقطنها لكى يفتشوها وهى خالية ، وخافوا أن يكسروا الأبواب المغلقة بالمفاتيح فتكون ملغمة (كما يبالغون دائما) ، لذلك نشروا الأبواب

من أسف ليروا ماوراءها ، ثم كسروها . وخوفا من أن يتركوا الباب الرئيسى بغير قفل - حيث كسر قفله - فإنهم شمعوه ووضعوا حراسة عليه حفاظا على موجودات المنزل ، وأن مفتاح المنزل بالقلم السياسى طرف الضابط (فلان) . .

ذهب خالى وزوجتى بصحبة أحد ضباط القسم الى القلم السياسى . دخلا مكتب (فلان) الذى رحب بهما ترحيبا شديدا لايليق بالتوتر الذى كانا يحسان به . ثم سأل خالى : لماذا ناسبت محمود عساف وهو رجل خطير وأنت تعرف أن هؤلاء لاخلاق لهم ؟ أجاب خالى : لاتنسى أنه ابن اختى وهو لاخطير ولا حاجة وأنا لاأعرف من أين استقيتم معلوماتكم عنه ! .. قال الرجل : لو أنك تعاونت معنا ودلتنا على مكان الأسلحة التى يحتفظ بها محمود عساف فإنى أعدك وعد شرف أن أفرج لك عنه فورا . قال خالى : يا (فلان بك) والله هذا كلام عيب !! انت تكلم رجلا كبيرا فى السن والمقام والخبرة بالحياة . كيف تدعى أن لدى محمود عساف أسلحة ؟ وكيف توصلت الى هذه المعلومة ؟ انه ابن اختى وأنا أدرى الناس به وهو ليس من الارهابيين الذين تتصورهم .

غضب (فلان) غضبا شديدا ، ثم قال لخالى : وكيف أعرف أنك محمد حلمى ، وأن التى معك هى زوجة محمود عساف وابنتك ؟ عليك أن تثبت لى ذلك .

لم تكن هناك فى ذلك الوقت بطاقات الاثبات الشخصية . فأخرج خالى بطاقة زيارة من حافظة نقوده وقدمها (لفلان) الذى قال له : لعلك تكون طبعتها قبل أن تحضر لنا ، وأنك أنت الآخر من الارهابيين . ستظل هنا فى ضيافتنا فى سجن المحافظة الى أن تثبت من أنت !!

أسقط فى يد خالى ، ثم خطرت بباله فكرة ، فقال (لفلان) : هل يمكن أن استخدم التليفون لأتصل بلسوقى باشا أباظة وزير المواصلات ليقول لك من أنا ؟ قال (فلان) : آسف فالتليفون هنا للأعمال المصلحية فقط .

وفى حين كان خالى وزوجتى فى شدة الضيق من هذا الموقف ، فإذا بزائر يدخل على (فلان) ويتحدث معه حديثا قصيرا ثم يتوجه للخروج ، فوقع بصره على خالى ، فقال : محمد بك ؟ ماالذى جاء بك الى هنا . قال خالى : قل لهذا الرجل من أكون . كان ذلك إمام بك عبدون عضو مجلس الشيوخ عن دائرة فاقوس . فسأل إمام بك (فلان هذا) عن سبب احتجاز خالى ، فقال الرجل : لاشىء ياافندم اتفضل يامحمد بك مفتاح المنزل ومع السلامة .

ومرت الأيام ... وفى الفترة من ١٩٦٥ وحتى آخر ١٩٦٧ انتدبت للتدريس بكلية تجارة القاهرة ، لطلاب البكالوريوس والدراسات العليا . وكنت أدرس للدراسات العليا مادة الاعلان لطلاب دبلوم التسويق ، وكان ذلك فى الفترة من ٥ الى ٨ مساء . وكنت اكتب أسماء الطلاب الحاضرين كل يوم لكى أبلغ إدارة الكلية عمن لايحققون نسبة الحضور المقررة . وجدت أحد الطلاب باسم (فلان) .

بعد المحاضرة الأولى ، تأخر عن زملائه فى الانصراف ، ثم صحبنى وأنا خارج من الكلية عارضا على أن يوصلنى الى منزلى حيث كانت سيارتى معطلة فى ذلك اليوم . وفى الطريق قال لى : إن اسم " عساف " ليس بغريب علىّ ! هل كان أبوك معتقلا فى عام ١٩٤٩ ؟ فقلت نعم كنت أنا وأخى معتقلين ، والذى يعلق بذاكرتك هو أنا ، وذكرته بقصته مع خالى

وزوجتى . فقال : هل أنا كنت رديئا الى هذه الدرجة ؟ قلت نعم وأكثر . فقال : لقد فعلت اشياء سيئة كثيرة ، غير أنى كنت مأمور بها . قلت له : إن تطبيقك للأوامر كان عنيفا بوازع من نفسك . فقال : " أسأل الله أن يغفر لى " .

أسأل الله أنا الآخر أن يغفر له مافعله من سيئات مع الاخوان وأسرهم التى قطعوا عنها الرزق وحاولوا أن يجيعوها ، لولا تكاتف من بقى من الاخوان خارج المعتقلات فى ذلك الوقت .

الخواجه خريستو

فى عام ١٩٤٢ رشح الامام الشهيد نفسه لمجلسس النواب عن دائرة الأسماعيلية ، فى ظل الاسلام وتحت راية القرآن . وكان الكل بما فيهم الانجليز - يتوقعون أنه لو فاز فسيكون زعيم المعارضة لا محالة . لهذا صدرت تعليماتهم لكى ينسحب من الانتخابات . استدعاه النحاس باشا وطلب منه التنازل لأن البلد فى حالة حرب وليس من مصلحتها فوز حسن البنا . أجاب الأمام بأن هذا غاية الظلم . فخطواته مقيدة ولا يستطيع السفر خارج القاهرة إلا بإذن من الداخلية ، أفيستكثرون عليه استعمال حقه الدستورى كمواطن فى هذا البلد ؟

قال النحاس إنه إذا قبل التنازل فسيرفع عنه حظر السفر . اشترط الامام شرطان لقبول التنازل : الأول هو اتاحة الحرية للجماعة لتمارس نشاطها على نطاق شامل ، وأن تعمل الحكومة على منع الدعارة وحظر الخمور انتاجا وبيعا. قبل النحاس ذلك . ومالبث أن منع ممارسة الدعارة (قانونا فقط) وأمر بإغلاق المواخير وحظر بيع الخمر فى شهر رمضان وفى الأعياد الدينية ،

وسمح باستئناف الجماعة لبعض أنشطتها مثل إصدار المطبوعات وعقد الاجتماعات .

وحينما سئل الامام الشهيد عن السبب فى تنازله قال : " لم نرد من الترشيح إلا أن نجد منبرا نعلن فيه عن دعوتنا ، فإذا تيسر لنا ذلك فى حدود الظروف القائمه دون اصطدام مع السلطة فيكون ذلك أحسن الحلول " (انظر محسن محمد : من قتل حسن البنا صفحة ٤٩) .

فى نوفمبر ١٩٤٤ حل أحمد ماهر رئيس الوزراء مجلس النواب ، وأعلن عن انتخابات جديدة فى يناير ١٩٤٥ . رشح الامام الشهيد نفسه عن دائرة الاسماعيلية ، كما رشح خمسة آخرون من الاخوان أنفسهم . وقال الامام وقتئذ : " ليس البرلمان وقفا على أصوات دعاة السياسة الحزبية ، ولكنه منبر الأمة تسمع من فوقه كل فكرة صالحة ، ويصدر عنه كل توجيه سليم يعبر عن رغبات الشعب "

وبالرغم من أن أحمد ماهر كان وطنيا متطرفا فى شبابه ، فإن السلطة تخدر الأعصاب الثائرة ، والجاه والسلطان يغريان على نسيان المبادىء . وبدلا من أن يطلب الى الامام عدم ترشيح نفسه ، تركه يخوض المعركة .

الاسماعيلية حصن دعوة الاخوان ، ففيها نشأت وازدهرت ، و٨٠٪ من سكانها من الاخوان المسلمين . وأقام الاخوان هناك على نفقتهم ٦٠ سرادقا للدعاية الانتخابية ، وتوافد على الاسماعيلية الآلاف من اخوان البلاد الخرى تأييدا للامام .

كان من المتوقع أن يفوز الامام فى الجولة الأولى. ولكن أعيدت الانتخابات بينه وبين منافسه الدكتور سليمان عيد متعهد توريد الأغذية للجيش البريطانى

فى الاعادة تدخل الانجليز والحكومة بشكل سافر، وكنا نرى (حيث كنت بالاسماعيلية فى ذلك الوقت) مئات من سيارات اللورى المليئة بعمال المعسكرات البريطانية ومعظمهم من صعيد مصر ، تجوب طرقات الاسماعيلية هتافا لسليمان عيد، ثم تتوقف أمام لجان الانتخابات ليدخل هؤلاء وينتخبون .

احتج عبد القادر عودة على التزوير ، وكان يعمل قاضيا ورئيسا لاحدى اللجان ، فصدر أمر وزير العدل بنقله فورا من الاسماعيلية : فأبى عبد القادر عودة هذه الاهانة واستقال من القضاء . وكانت تلك باكورة صلته بالامام الشهيد وبالاخوان المسلمين الذين صار وكيلا لهم فيما بعد قبل أن يغتاله نظام الحكم شنقا .

كانت الأصوات التى حصل عليها الامام محدودة جدا فى كل اللجان ، فقد بدلت الصناديق بغيرها ، إلا لجنة واحدة كانت منسية ، حصل فيها الأمام على ١٠٠٪ من الأصوات . تلك كانت لجنة الطور حيث كان وكيل الامام فيها الخواجة خريستو صاحب محل البقالة الوحيد هنا .

عندما اعتقلنا فى الطور توجهت لزيارة خريستو اليونانى السمح البدين الأصلع ، الذى هاجر الى الطور من اليونان ، وعاش هناك مع أسرته وتطبع بطباع المصريين ثم حصل على الجنسية المصرية . كنت سعيدا بلقياه .

الرجعيون يهزمون التقدميين

فى أوائل يناير ١٩٥٠ ، عندما وصلنا الى معتقل الطور وكان عددنا حوالى ٥٠٠ معتقل من الاخوان ، حشرنا فى الحذاء رقم ٥ . والحذء هو عبارة عن صفين من الغرف على اليمين وعلى اليسار ، وبينهما ساحة

واسعة ، وبين كل مجموعة من الغرف دورة مياه ، ويوجد مكان مخصص للمطبخ الجماعى ، ويحيط بالجميع سور من الأسلاك الشائكة .

وفى ذات اليوم الذى وصلنا فيه الى الطور على الباخرة عايدة ، كان معنا حوالى ١٠٠ من اليهود، هم على السطح ونحن داخل عنبر سفلى كبير ، ونقلوهم فور وصولهم الى الحذاء رقم ٦. وكان بين الحذاء والآخر أرض فضاء واسعة . وبعد أيام جاء الشيوعيون المعتقلون ، واحتلوا الحذاء رقم ٧ ، وكان عددهم حوالى ٢٠٠ شيوعى .

اختارنى الاخوان كضابط اتصال مع الشيوعيين واليهود ، حيث كنت أعرف بعض هؤلاء وأولئك ، وذلك بغرض تنسيق المطالب التى نتقدم بها لادارة المعتقل ، بحيث يكون مانطلبه من الادارة مؤيدا من الأطراف الثلاثة .

ذهبت لليهود لأتعرف عليهم . كان حذاؤهم نظيفا . وكانوا يشغلون وقتهم فى صنع (فازات) من القواقع التى يجمعونها من شاطىء البحر الأحمر ، وهو غنى بأنواع القواقع الزاهية الألوان والمتباينة الأنواع . وكان عندهم ديك هندى جميل الشكل ، اشتروه من أحد الأعراب ، كنا نسمع صياحه كل يوم قبيل الفجر .

وكان من بين اليهود : ايلى عدس شقيق داود عدس صاحب المتجر الكبير الشهير باسمه ، والبير مزراحى الصحفى اليهودى والذى كان يصدر جريدة التسعيرة ، وله تأثير كبير فى نقابة الصحفيين . تدارست معهما ومع زملائهما فكرة التعاون لما فيه المصلحة ، واتفقنا على ذلك .

بعد هذا ذهبت لزيارة الشيوعيين ، وكنت أعرف بعضهم معرفة سطحية . رأيت حذاءهم فى غاية القذارة وتنبعث منه روائح كريهة ، وعلمت

أنهم لايستحمون إلا نادرا ، فلم تكن بهم حاجة الى غسل الجمعة مثلا أو الوضوء خمس مرات فى اليوم .

قال لى أحدهم : سمعنا أنك تلعب الشطرنج بمهارة . فقلت : إنى أتعلم !! وفى الحقيقة أنى وأنا طالب بكلية التجارة كنت رئيسا لفريق الشطرنج ، وكان الرئيس ينتخب باعتباره أمهر اللاعبين ، وحصلنا على كأس الجامعة خمس سنوات متوالية لدرجة أن ثبت عندنا الكأس . وكنا نتدرب يوميا على يد استاذ الجغرافيا الاقتصادية وعميد كلية الآداب بعد ذلك ، الدكتور عز الدين فريد .

جلست ألاعب واحدا من الشيوعيين ، وهزمته خلال دقائق قليلة ، فتقدم آخر متحديا ، ومالبث أن لحق بأخيه ، ثم تقدم ثالث ورابع وخامس ، وما انتهيت من الخامس إلا وكنت قد أصبت بإرهاق شديد ، حيث لعبت عشرة أدوار . تقدم السادس وقال : لابد أن تلاعبنى . فاعتذرت بعدم إمكانى لارهاقى ، فتركونى وذهبوا يتهامسون .

عرفت فيما بعد أنهم كانوا يتآمرون لضربى ، حيث لاينبغى لرجعى أن يهزم التقدميين. وكان الذى حمانى منهم أحدهم وكان طالبا بكلية العلوم .

فى عام ١٩٧٢ ذهبت أقابل رئيس جامعة عين شمس المرحوم الدكتور اسماعيل غانم ، الذى عين وزيرا للثقافة بعد ذلك ، وكان جالسا معه أحد أساتذة كلية العلوم، فسلم علىّ وعرفنى بنفسه : الدكتور عبد العظيم أنيس . وقال ألا تذكرنى ؟ قلت : ذاكرتى ضعيفة للأسف . فقال : لقد لعبنا الشطرنج سويا عام ١٩٥٠ .

كان أنور الجندى أمين خزينة المركز العام ، وكنت أمينا للمعلومات الى جانب كونى مديرا عام لشركة الاعلانات العربية . وكانت الصلة بيننا وثيقة لأننا كنا آخر من يغادر الدار حين يغادرها الامام الشهيد .

كان حظى مع الاستاذ أنور الجندى عجيبا : يوم اعتقلت فى ديسمبر ١٩٤٨ اعتقل هو الخر فى ذات اليوم . ولما رحلنا من أقسام الشرطة الى معتقل هاكستب ، كان حظى أن أكون معه فى قاعدة واحدة ، وسريرى الى جوار سريره بغير ترتيب مسبق منا . ثم حين رحلنا الى الطور وقسموا المعتقلين الى مجموعات ، كان حظى أن أكون معه فى غرفة واحدة ، هى الغرفة رقم ٦ . وبعد أن رحلت من الطور الى هاكستب بيوم رحلوه هو الآخر ليلحق بى ويقيم معى فى غرفة واحدة آنس وحشتنا فيها الاستاذ محمد البنا شقيق الامام وآخرون . وحينما أفرج عنه لحقت به فى اليوم التالى . ولما اعتقلنا فى يناير عام ١٩٥٤ فى عهد عبد الناصر ، كان حظى أن أودع معه فى زنزانة واحدة فى السجن الحربى . وأذكر أنهم حينما كانوا ينادون علينا ليحشرونا فى الزنازين اثنين اثنين ، أن نادوا على اسمه ثم على اسمى ، فقال هاتفا : " يادى النيلة " يادى النيلة ... هو انت جيت كمان ؟! . ولما رحلنا الى معتقل العامرية كان حظى أن أكون معه فى غرفة واحدة الى أن أفرج عنا بعد ٣ شهور ، بالرغم من أنناا لمن نكن على صلة بالجماعة منذ ديسمبر ١٩٤٨ .

أذكر ونحن فى معتقل الطور، أن كان الذباب كثيرا بدرجة مزعجة . وكان يتجمع فى غرفتنا منذ قبيل المغرب ، ويتخد مكانه على حبل نصبناه فى وسط الغرفة لنعلق علفيه الملابس ، فيصير الحبل غليظا أسود اللون من

كثرة الذباب الجاثم عليه . وكانت الغرفة فى ذلك الوقت تضاء طول الليل الى أن وجدنا طريقة لفصل التيار حينما نرغب فى النوم ، وحينئذ يصحو الذباب من سباته بعد ساعة من نومنا يحط على وجوهنا ويقلق راحتنا .

فكرت مع الأخ أنور الجندى فى طريقة للتخلص من الذباب حيث لم تكن المبيدات الحشرية قد عرفت بعد، وهدانا الله الى فكرة .. هى أن نقوم نحن الاثنين فى وقت واحد ، ويتجه كل منا الى طرف من طرفى الحبل ، حيث كان أحد طرفى الحبل معقودا بمسمار فى الحائط والطرف الآخر معقودا بآخر فى الحائط المقابل ، فنرفع الحبل بحيث يظل مشدودا ولا يهتز لكى لايفر الذباب منه ، ثم نخرج من باب الغرفة وراء بعضنا يتوسطنا الحبل المشدود ، والأخير منا يغلق الباب . فإذا توسطنا الفناء ، فإننا ننطر الحبل فى الهواء ليطير الذباب ويحط حيث يشاء ، ثم نرجع الى الغرفة لكى نكرر ذلك فى كل ليلة حيث أقول لأنور : " هيا بنا نكبّ الحبل !" أى نسكبه بذبابه فى الفناء .

كان معنا فى الغرفة الاستاذ أحمد عبد العزيز جلال الاستاذ بدار العلوم ، والاستاذ أحمد أنس الحجاجى من سكرتيرى الامام ، وكان اختصاصه اعداد الردود على مئات الخطابات التى كانت تصل الى الامام كل يوم ، واثنان من اخوان العباسية كبيرى السن ، والاستاذ محمد عبد الهادى طراد الذى كان يعمل مساعدا من طرف الاخوان مع الشيخ محمد تقى قمى رئيس جمعية التقريب بين المذاهب الاسلامية . كان مما يميز محمد عبد الهادى أنه كان ينقى الفول المدمس المخصص له فى الافطار من السوس فيلقى جانبا بكل فولة اعترتها سوسة ، فلا يتبقى له بعد ذلك أكثر من أربع أو خمس فولات .

السلاح والكباب والسيد سابق

دخل علينا الشيخ سيد سابق معتقل هاكستب ظهر أحد أيام عام ١٩٤٩ ، وهو شاحب الوجه زائغ النظرات ، وكان عهدنا به أن نراه باسما رصينا وصابرا ... قال : إنهم أخذوه من المنزل ، وفتشوا البيت تفتيشا دقيقا ، وأخذوا كل الأوراق التى وجدوها عنده ، ومنها أصول كتاب " فقه السنة " . الذى كان يستعد لإصداره كاملا .

أخذوه بغير أى تحقيق الى قسم السيدة زينب ، حيث وضعوه فى حبس انفرادى . لم يكن قد تناول غذاءه أو عشاءه ، حين دخل عليه أحد الضباط ، وهمس فى أذنه قائلا : ياشيخ سيد ! أنا من الاخوان ولا أحد هنا يعلم بذلك . فإن كنت تقصدنى فى أى خدمة فأنا على استعداد تام . شكره الشيخ سيد . فغادر الضابط الغرفة ، ثم جاء مرة أخرى بعد منتصف الليل يحمل رطلا من الكباب وخبزا طازجا وسلطة طحينه وسلطة خضراء . قال : ياشيخ سيد أنا أعلم أنك لم تأكل اليوم فأتيت لك بهذا الطعام المتواضع ! ... ترك الطعام وغادر الغرفة .. أكل الشيخ سيد مااستطاع ، حيث كانت أكلته ضعيفة ، وحمد الله وبدأ ينام .. جاء الضابط مرة أخرى قائلا : ياشيخ سيد ، أنا ذاهب حيث أنتهت نوبتى . وأنا مستعد لأى خدمة ! قال الشيخ سيد : شكرا لا أريد شيئا . قال الضابط : إذا كان عندك فى المنزل أوراقا تحب إعدامها أقوم بذلك ، وإن كانت عندك قطعة سلاح فإنى آخذها وأخبيها ، لأنى علمت أنهم سيفتشون بيتك فى الفجر . قال الشيخ سيد : شكرا ، فقد فتشوا البيت فى حضورى صباحا ، وليس عندى سلاح إلا سكين المطبخ . قال الضابط : على كيفك . وعندما هم بالخروج تذكر الشيخ سيد شيئا ، فقال مناديا الضابط : لو سمحت هناك شىء هام فى المنزل أرجو إحضاره .. عاد الضابط متحفزا فقد وجد بغيته !! قال ماهو :

قال : النظارة لأنى لا أرى بغيرها . فأسفر الضابط عن وجهه القبيح قائلا : نظارة ياابن الـ .... ؟

كان الشيخ سيد ضئيل الجسم كثير العالم . وكان إذا تحدث جالسا فإنه يهتز يمينا وشمالا كعادة قدامى الأزهريين . وكان حضوره للمعتقل نعمة كبيرة أنعم الله علينا بها ، حيث صرنا نغترف من علمه .

حدثته عن هذه الواقعة بعد ٤٢ عاما وهو يعمل رئيس لقسم الدراسات العليا فى كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فوجدته قد نسى بعضها ، وأخذ يضحك ...

فى ذلك الوقت ، حدثت واقعة جديرة بالتسجيل ، إذ ذهب ضابط من القلم السياسى يستعلم عن المدير المالى لشركة الشرق للغزل والنسيج بامبابة، فقال زملاؤه - كما قال مدير الأمن بالشركة - للضابط : إنه رجل طيب ، ليست له ميول سياسية ، وهو متدين يواظب على الصلاة فى أوقاتها . ... قال الضابط : أهو يواظب على الصلاة ؟ قالوا : نعم . قال : هذا يكفى . واعتقله .

ثم جاءنا معتقلا بغير ذنب إلا أنه يصلى .

حلقة الصلة بين الاخوان والشيوعيين

فى أحد الأيام ورد علينا فى معتقل الطور ستة أشخاص . هم عبارة عن ٦ أصدقاء ، اثنان منهم من الاخوان (أحدهم المرح وواحد شيوعى ،

والثلاثة الباقون لا علاقة لهم بالسياسة . كل ماجمع هؤلاء هو أنهم كانوا زملاء فى مرحلة البكالوريوس فى كلية التجارة .

سألناهم عما جاء بهم للمعتقل ، فقالوا : انهم متهمين بأنهم يكونون خلية ، هى عبارة عن حلقة الاتصال بين الاخوان والشيوعيين . بقوا معنا فى المعتقل ٦ شهور ثم أفرج عنهم قبيل امتحانات الجامعة .

هكذا كان التلفيق من أجهزة التحقيق ومن القلم السياسى ، بالرغم من أنهم يعلمون جيدا بأن الاخوان على طرفى نقيض من الشيوعيين ... والأعجب أن تخرج علينا جريدة أخبار اليوم ، وعلى صدرها عنوان يقول : القبض على حلقة الصلة بين الاخوان والشيوعيين .

ذكريات باسمة فى ظروف حزينة

لم تكن أيام الاعتقالات أو الأيام التى سبقت حل الاخوان تخلو من بسمات .. ومنها :

اختلاس الوطن

كانت كل دفعة تدخل الى السجن الحربى ، يؤمر أفرادها بالجرى . وكان يستقبلهم الجنود وفى أيديهم السياط يفرقعون بها فى الهواء ، سابّين اياهم وهاتفين : " اجروا يامتلسين الوطن يا اولاد ... " طبعا لم نفهم معنى اختلاس الوطن ، وهم أيضا ورؤساؤهم كانوا لافهمون ...

يامفرج

كان معنا فى الطور الشيخ عبد الصادق ، وهو محام شرعى فى

احدى مراكز الغربية . كان سليط اللسان باعترافه هو ، وكان يجلس معنا يتسامر ، ويحكى كيف أنه كان يسب القاضى الشرعى فى مرافعته ، فيحكم ضده ،. ثم يخرج الى موكليه فيضربوه . سألناه : بم ؟ قال : بالبلغة ، وقد عددتها ٤٢ بلغة .

كان يسير ويدعو الله ان يفرج عنه ويناجى ربه : يامفرج ... يامفرج ... ولم يقتنع بأن " المفرج " ليس أسم من أسماء الله الحسنى !

الترجمة الانجليزية .

كان أحد الأخوة طالبا بالأزهر ، ووضع ألفية ليحفظ الطلاب بها الترجمة الانجليزية لبعض الألفاظ العربية ، وكان مستهلها : " يس يعنى أيوه ، ونو يعنى لا " . وكان يغنيها متخذا طبلة من علبة صفيح قديمة .

قابلت هذا الأخ بعد ذلك بأكثر من ٤٠ سنة ، وكان رئيسا لجامعة لها مكانتها فى العالم الاسلامى .

الصلاة مع الراديو

عدت مع الامام الشهيد من مسجد قيسون بعد صلاة الجمعة ، فوجدنا الفراشين فى المركز العام ، قد وضعوا جهاز المذياع فى فناء المركز العام ، ويصلون مع الامام الذى نقل الجهاز الصلاة عنه . نهرهم الاستاذ الامام وأعطاهم درسا فى شروط الصلاة مع الجماعة ولزوم اتصال الصفوف .

كان ذلك قبل حل الاخوان بأيام ، وكان الامام مشغولا بالحل ، ويرى أن قوى عديدة قد تآمرت ضده : السراى ، والحكومة ، والانجليز . كان يردد بيت شعر يقول: تكاثرت الذئاب على خراش: فلا يدرى خراش مايصيب

وكان يقول : اللهم عليك بِهم فهم بُهم ، الباء فى الأولى بالكسر وفى الثانية بالضم . ذلك لأنهم كانوا قد سدوا عيونهم وآذانهم وحجبوا عقولهم عن فهم حقيقية دعوة الاخوان .

وصدق الله العظيم : " لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعونه بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون " (١٧٩ الأعراف) .

نوتة عبد البديع

كان عبد البديع صقر - رحمه الله - من قدامى الاخوان الذين تشربوا الدعوة من الامام مباشرة . وكان خفيف الظل ومتحمسا ومجددا فى تفكيره . فكان إذا سافر بالقطار وجلس أمامه أو الى جواره بعض الناس ، كان يحدثهم عن دعوة الاخوان المسلمين ، ثم يأخذ بيانات عن أسم كل منهم وعنوانه وعمله ، ويقيدها فى مفكرة عنده ، لكى يراسلهم فيما بعد ويبعث اليهم برسائل الامام .

دخل علينا فى معتقل الطور فى يوم ما حوالى ١٥٠ معتقلا ليسوا من الاخوان . سألناهم عن سبب اعتقالهم ، فقالوا : نوتة عبد البديع .

كان رجال القلم السياسى عندما قبضوا على عبد البديع صقر ، قد صادروا المفكرة التى وجدوها معه ، وفسروا مابها من أسماء أنهم أعضاء تنظيم يعمل على قلب نظام الحكم ، مثلما نشرت الصحف وقتذاك .

عمل عبد البديع صقر بعد هجرته من مصر مستشارا للشيخ زايد آل سلطان ، وكان له الفضل الأكبر فى إصلاح ذات البين بينه وبين عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ . كانت نفسه طيبة وروحه علاية ولا يحقد على أحد .

الكـــوارع

في أول يوم في رمضان ، رغبنا - سكان الغرفة رقم ٦ في معتقل الطور بالحذاء رقم ٥ ، أن نفطر على كوارع ومرقتها . فطلبنا من المتعهد بيع زوج من الكوارع لنا . اشتريناها وهي بشعرها . غلينا ماء في صفيحة كبيرة ، ووضعنا الكوارع فيها لننتف شعرها لمدة ٤ ساعات ، ولكن عجزنا عن نتف شعرة واحدة . فقمت أنا وأنور الجندى وعلى عمران اليها حاملين ماكينات الحلاقة ، وأخذنا نحلقها ... ولكن هيهات فقد ظلت بها بقايا من الشعر تشبه الشوك القصير... وأخيرا ألقينا بها في القمامة ، وضاعت الوليمة التي كنا ننتظرها .

الديك الرومي

في أواخر أيام معتقل هاكسستب كان معنا نجل حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكي ، معتقلا لأنهم وجدوا اسمه بإحدى الشعب . بنفوذه استطاع أن يحضر آلة سينما ١٦ مللي ، وعرض علينا في المساء فيلما للتساية . وكان الفيلم من الأفلام المضحكة ، إلا أنه انتهى نهاية مأساوية بالنسبة لنا ، حيث كانت به وليمة كبيرة نظمها عمدة بلدة أمريكية بمناسبة عيد الميلاد ، وقدم فيها عددا من الديوك الرومي الباعثة على الشهية ، والتي جعلتنا نأرق ونحلم بها لحرماننا من أي طعام شهي .

صينية البطاطس

سأمنا في هاكستب طعام المتعهد ، ففكر المرحوم الاستاذ محمد البنا ـ شقيق الامام - في غذاء لايتكلف كثيرا . بعث يشترى من المقصف (الكانتين) بطاطس وطماطم وبصلا ، وأحضر قالبا من الطوب حفر فيه دوائر حلزونية ، وأحضر سلطا برمه ووضعه في الحفرة الحلزونية ، ووصل السلك بالكهرباء فاشتعل . ووضع عليه الصينية بالبطاطس والبصل

والطماطم ، وغطاها بقطعة من الصفيح الى أن نضجت . كانت أشهى طعام تناولناه فى المعتقل .

الاستاذ عطية الشيخ

كان يفيض منا طعام كثير فى معتقل الطور، وبخاصة الخبز والأرز . وكنا نلقى الفضلات خارج السلك الشائك الذى يتكون منه السور . وكانت هذه الفضلات نعمة أنعم الله بها على الكلاب التى كانت تروح وتجىء هنا وهناك ، إلى أن سمنت تلك الكلاب .

كان الاستاذ عطية الشيخ رئيس الاخوان بطنطا ورئيس المنطقة التعليمية بها ، ينظر الى الكلاب بحسرة ويقول : " آه لو كانت هذه اغنام ؟!! "

المحاكمة

فى يوم تقدم بعض الاخوان بشكوى فى سكان الغرفة رقم ٦ (التى أنا فيها) الى رئاسة المعتقل التى تتكون من الاساتذة : محمد الخضرى والبهى الخولى وعمر التلمسانى . فحضروا الينا للتحقيق فى الشكوى ، وكل منهم يضع على كتفيه عباءة صنعت من بطانية ثنيت ثلاث ثنيات بحيث تغطى الظهر والصدر وتتدلى اليدان منها . قالوا : جئنا نحاكمكم . قلنا : المحاكمة تحتاج الى منصة . وصنعنا لهم منصة من لوح خشب مما كنا ننام عليه ، ورفعناه عن الأرض بأربع قطع من الطوب ، وفرشنا عليه بطانية ، وأجلسناهم فى صدر الغرفة وقلنا : هاتوا ماعندكم . قالوا إن بعض الاخوان يشكونكم بأنكم تتلفظون بألفاظ غير لائقة وتسبون بعضكم البعض ! استنكرنا ذلك وقلنا : هذا كذب وافتراء ، وما كان ينبغى لأحد الاخوان أن يتجسس علينا ثم يشكو ماتوهم أنه سمعه . انما الحقيقة أننا نسلى أنفسنا بقصص من تجارب حياتنا وبعض النكات التى تتفق مع المواقف فى تلك القصص .

قالوا : لاشىء فى هذا . وأضاف الاستاذ البهى الخولى : حتى ولو كانت تلك النكات خارجة ، فإنها تعتبر من قبيل اللمم . وخرجوا .

بعد لحظة وجدنا الباب يفتح، وكانت هناك عاصفة ترابية بالخارج ، وإذا بالاستاذ عمر التلمسانى يدخل قائلا : أين أنتم من زمن . إنه لتحضرنى النكته فلا أجد من هو مستعد لسماعها ... اليكم نكتتان .

وروى لنا نكتتان ظللنا نضحك منهما كلما تذكرناهما ، حتى بعد أن خرجنا من المعتقل .

المسمط

قبل حل الاخوان بيومين ، وأنا أحس بغم شديد ، كنت أسير فى ميدان الأزهار متجها الى عابدين فالمركز العام . تقابلت مصادفة مع الاستاذ عبد الحكيم عابدين الذى سألنى : هل تعشيت ؟ قلت : ليس بعد . قال : تعالى أعشيك ... دخلنا مسمطا قريبا من الميدان وجلسنا . قال للعامل : جهز لنا طبقين من الفت وعلى كل منهما تشكيلة بثلاثة تعريفة - أى خمسة عشر مليما . فأحضر لنا طبقين من المرفق وطبقين من الثريد ، على كل منهما قطعة من اللسان وقطعة من الكرشة وقطعة من الفشة وكارع كامل .. وتعشينا معا بثلاثة قروش .

الاخوة الأزهريون

كان الاخوة الازهريون الذين يترددون على المركز العام يوميا أربعة : الشيخ محمد الغزالى، والشيخ زكريا الزوكة ، والشيخ عبد المعز عبد الستار ، والشيخ السيد سابق . وكانوا جميعا طلابابالأزهر أو حديثى التخرج . وكان الشيخ سيد سابق قد بدأ فى اصدار كتابه : فقه السنة ، فى سلسلة من

الكتيبات التى كان كل منها يباع بخمسة مليمات . قرأت منها : الطهارة وانواع الماء والصلاة ... ولقد استعدت هذه الذكريات وأنا أقرأ كتابه الكامل الشامل : فقه السنة المكون من ٣ مجلدات ضخمة . وكان الشيخ الغزالى مشهورا بعلمه الواسع واسلوبه المنطقى فى الخطابة والذى كان يدخل القلوب . وكان الشيخ عبد المعز متحمسا يثير من يخطب فيهم ويملأهم حماسا.

قلت للامام مرة : شتان بين هؤلاء وبين باقى رجال الدين الأزهرين . فقال : إن هؤلاء رجال دعوة ، أما أولئك فهم ليسوا رجال دين ، بل رجال علم الدين !!

عز الدين ابراهيم

حضر عز الدين ابراهيم وهو طالب بكلية الآداب الى منزل شقيقى بمصر القديمة مختفيا عن أعين الشرطة فى عام ١٩٥٠ حيث كان مطلوبا للقبض عليه فى قضايا الأوكار المزعومة . وجلس مع أخى وعدد من أقربائى . وبعد الذاء قال له أخى (رحمه الله) : إن رجال الشرطة قد حضروا بالامس للتفتيش ، وصادروا جهاز راديو ، وانصرفوا . خشى عز الدين ابراهيم أن يكرروا الحضور للتفتيش ، فانصرف بعد صلاة المغرب . بعد ذلك بعشر دقائق بالتحديد ، حضر رجال الشرطة للتفتيش مرة ثانية . ولكن عز الدين كان قد وجد طريقه الى خارج القاهرة ، ثم الى خارج مصر ... حصل على الدكتوراه وصار استاذا يشار له بالبنان وعمل رئيسا لجامعة الامارات بمدينة العين ، ويعمل الآن مستشارا للشيخ زايد آل سلطان .

من أنت ؟ .. أمين

كان جندي الحراسة فى معتقل الطور إذا اقترب أحد من بوابة المعتقل سواء من داخله أو خارجه ، يهتف طالبا كلمة السر كما هو معتاد فى حراسة

الجيوش ، فيقول : من أنت ؟ فيرد القادم : أمين . فيقول الجندى أمين مين ؟ (طالبا كلمة السر) فيرد عليه الأخ من داخل المعتقل : أمين اسماعيل ؟

كان أمين اسماعيل هو الوحيد الذى يسمى بأمين . رحمه الله رحمة واسعة .

الطحاوى

ورد الينا معتقل جديد ، وتعرف على وعلى اخوان من الشرقية باعتباره من الأسرة الطحاوية . كانت له لحية سوداء ، وعيناه دائما تلمعان . وكان كثير الجلوس مع مجموعتنا لأن غرفتنا كانت قريبة من مدخل المعتقل .

محته فى احدى الليالى يتسلل الى البوابه ويعطى ورقة لجندى الحراسة ... وضعناه تحت المراقبة ، وإذا بنا نكتشف أنه جاسوس يراقب الاخوان ويسمع أحاديثهم وينقل خلاصتها للقومندان ليرفعها الى القلم السياسى . كان يهرب تقاريره مرتين فى الاسبوع .

حذرنا الاخوان منه وطلبنا عدم كشفه أو إظهار أنهم أكتشفوه حتى لاينقلوه ويبعثوا غيره ممن لانعرفهم ... سار الأمر على ذلك لمدة شهر . غير أن أحد الاخوان لم يستطع أن يكبح جماح نفسه ... التقى به وهو عائد من البوابة ، ولم يملك نفسه وضربه علقة شديدة أدت الى نقله للمستشفى . لم نره بعد ذلك ولعله نقل الى حذاء آخر .

جلسنا نضحك على هذا الأخ الطحاوى الذى ذكرنا بقريب له من قبل ، خان أحمد عرابى .

استشهاد الامام

فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليلة ١٢ فبراير ١٩٤٩ ، سمعنا فى الراديو الذى كنا قد هربناه داخل الحذاء رقم ٥ بمعتقل الطور ، ووضعناه فى الغرفة التى بها مصطفى مؤمن ، ذلك الخبر المشئوم الذى أذاعته محطة صوت أمريكا .

استيقظ من كان نائما من الاخوان ، وبكى الجميع وعلا النحيب ، ونحن مقهورون داخل أسلاك شائكة لانقدر على شيء . واستمر الاخوان واجمين أياما ، يتابعون الاذاعات ليعرفوا تفصيل ماحدث .

قال بعض الاخوان : ماكان لحسن البنا أن يموت على فراشه كبقية الناس ، بل كان ينبغى أن يموت شهيدا ... لا بل قتيلا تتآمر عليه حكومة بكل قوتها وعنفوانها وضباطها وجنودها وسياسييها ، فهو يشرف بأن يموت شهيدا ، ويزيده شرفا أن قاتله دولة بأكملها .

قالت الإذاعات الأجنبية بعد ذلك أن الذى قتل الامام ضباط القلم السياسى . وقالت إذاعات أخرى أن الذى قتله هم حراس النقراشى ورجال الحزب السعدى انتقاما لمقتل زعيمهم ... أما العجب العجاب أن يذيع راديو مصر أن الأخوان المسلمين هم الذين قتلوه ، لأنه كان ينوى ابلاغ الحكومة عن أماكن الأسلحة ، وأنهم غضبوا عليه لأنه استنكر مقتل النقراشى فى بيانه الذى نشر بالصحف !!!

وليس غريبا أن تنشر جريدة الأساس (لسان حال الحزب السعدى) هذا

الخبر المختلق الذى يعد من قبيل الدعارة الصحفية ، انما الغريب أن تنشر الاهرام المستقلة التى عرفت باتزانها على مر العصور ، مثل هذا الخبر ... " كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا "

لقد هربت الينا نسخة من الأساس ونسخة من الأهرام ، حيث كانت ترد الجرائد الينا سرا كل اسبوع . ثم ثبت من التحقيقات التى أجريت بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، أن استشهاد الامام كان بناء على مؤامرة تمت باتفاق بين القصر والوزارة والانجليز . وأن الذين قاموا بتنفيذ خطة القتل ، أخلوا شارع الملكة نازلى (رمسيس حاليا) من المارة والسيارات فى مساء تلك الليلة ، وأعتموا الضوء الكهربائى .

كان الامام فى زيارة لجمعية الشبان المسلمين ليلتقى مع زكى على باشا - عضو الوزارة والواسطة بين الامام والحكومة - الذى لم يحضر تلك الليلة بالرغم من الاتفاق معه على موعد للقاء ، وكان الامام قد تلقى وعودا طيبة من الحكومة بالافراج عن المعتقلين .

كان القتلة يقتفون أثره ويترصدون حركاته ، حتى إذا خرج بعد أن فات الموعد بكثير ، ومعه زوج شقيقته الدكتور عبد الكريم منصور استاذ القانون ، تقدمت منهما سيارة تاكسى كانت معدة لذلك ، وبمجرد أن جلسا فيها تقدم منهما اثنان ملثمان وأطلقا عليهما الرصاص من الجانبين بعد أن كسرا زجاج الأبواب . كان أحدهم حارس النقراشى " محمد وصفى " وكان الثانى المخبر " أحمد حسين جاد " الذى احتسى الخمر بناء على أمر الضابط عبده أرمانيوس ليصير مخمورا عند القيام بمهمته .

لم تكن إصابات الامام مميته ، فخرج من التاكسى ، وذهب الى

دار الشبان المسلمين حيث طلب له محمد الليثى رئيس قسم الشباب بالجمعية سيارة اسعاف . كانت الساعة الثامنة مساء .

تجمع بعض الناس الذين حضروا من الحوارى المقابلة عند سماع أصوات الرصاص ، ففرقهم الضابطان حسين كامل وعبده أرمانيوس بحجة أن هناك قنابل يلقيها أرهابيون ، فخاف الناس وانصرفوا مهرولين . وبالرغم من الرقابة البوليسية المستمرة المفروضة على الامام ، فإن أحدا من الشرطة لم يتدخل عند سماع الرصاص .

نقل الامام وعبد الكريم منصور الى الاسعاف الذى حولهما الى القصر العينى بسبب النزيف ، حيث أمرت الحكومة مدير المستشفى الدكتور ... حجاب - وهو زوج شقيقة الدكتور يوسف رشاد كبير أطباء اليخوت الملكية ورئيس أحد أجهزة المخابرات الخاصة بالملك - أن يعمل على ترك حسن البنا ينزف حتى يموت إذا لم تكن الرصاصات التى أطلقت عليه قاتلة .

قال الدكتور أحمد شكيب الطبيب الشرعى الذى أجرى الصفة التشريحية للجثمان : إن الامام ترك ليموت بالنزيف الذى كان يمكن وقفه وإنقاذ حياة المصاب بعملية جراحية بسيطة .

ذهب عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية وقتذاك الى قصر عابدين في اليوم التالى ، لكى يوقع فى سجل التشريفات (ليفيد بأن الجريمة تمت) فقابلوه هناك بالعناق والتبريك .

لم يسمحوا بتشييع جنازة الشهيد كبقية الناس ، بل لم يسمحوا لأحد أن يطل من شرفة داره أو لامرأة بأن تبكى وتولول ، ولا لأحد أن يقترب من

النعش ، بل كان الذى يرتدى رباط عنق أسود يتعرض للاعتقال . سارت الجنازة من منزل الامام تحت حصار البوليس ، وحمل النعش بنات الشهيد . قالت وفاء ابنته الكبرى : " قر عينا ياأبتاه . فلن نتخلف عن رسالتك . ولئن منعت الحكومة من يشيع جنازتك ، فحسبنا عزاء وجزاء أن أرواح الشهداء تمشى معنا وتشيع من أهل السماء ماعجز عن تشييعه أهل الأرض "

صلى الأب الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا على ولده الشهيد فى مسجد قيسون الذى كان يصلى فيه الامام بالناس المغرب والعشاء من كل يوم جمعة ، ثم شيع الى المقابر تحت الحراسة المشددة .

الوحيد الذى حضر للعزاء بعد الجنازة ، ولم يستطع الحراس منعه ، هو مكرم عبيد باشا .

زورت الحكومة محاضر التحقيق ، وضغطت على الليثى ليغير أقواله فيما يتصل برقم السيارة وهو ٩٩٧٩ وقد عرف أنها سيارة العقيد محمود عبد المجيد ، ولكن الرجل لم يخضع للتهديد ، فزوروا محضر التحقيق وكتبوا أن رقم السيارة هو ٩٩٩٧ .

ذكرت جريدة المصرى الرقم الحقيقى الذى عرفه محى الدين فكرى المحرر بالجريدة من كونستبلات الشرطة المتجمعين عند باب الجمعية ، فصادر الرقيب الجريدة ، وأحيل هو ومرسى الشافعى مدير التحرير لنيابة الصحافة للتحقيق معهما . ومع ذلك كانت خمسة آلاف نسخة من الجريدة قد تسربت الى السوق قبل المصادرة .

عندما تقرر فتح ملف القضية من جديد بعد الثورة ، انتحر محمود عبد المجيد ، فذهب الى جهنم غير مأسوف عليه .

ثبت من التحقيقات الجديدة أن الملك فاروق كان ضالعا فى هذه المؤامرة وكان الانتقام الالهى منه، أن مات مقتولا بالسم فى بار فى إيطاليا . وشتان بين من يموت شهيدا فى سبيل دعوة الاسلام ، ومن يموت على يد راقصة فى بار . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار " .(١)

(١) للاستزادة من تفاصيل هذا الموضوع ، يرجع الى : محسن محمد : من قتل حسن البنا . دار الشروق ١٩٨٧ ، الصفحات من ٥٠٦ الى ٥٣٣ .

الفصل الثالث

مع النظـام الخـاص

قام الجهاز الخاص للاخوان المسلمين بأعمال مجيدة ، كما قام بأعمال خاطئة انحرفت به عن أهدافه السامية التي أنشيء من أجلها ، فصار وجوده هدفا في حد ذاته .

في هذا الفصل أجلو بعض الغموض الذي أحاط بمقتل الخازندار وأحمد ماهر والسيد فايز والنقراشي .

النظام الخاص والتنظيم الطليعي

أنشىء النظام الخاص فى عام ١٩٤٠ تحت شعار أن الحق لابد وأن تحميه قوة ، وأن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن كما قال الفاروق عمر بن الخطاب . وكان الهدف من إنشاء هذا النظام هو مواجهة الانجليز فى الداخل والصهاينة فى فلسطين .

وكانت فكرة الامام حول هذا النظام تقوم على تكوين مجموعة من الاخوان الشبان المخلصين - أى من صفوة الاخوان - لايزيد عددهم على عشرين شخصا (مثلما أبلغني بذلك الدكتور حسين كمال الدين) ، يتلقون تدريبا عسكريا يشبه تدريب فرق الصاعقة فى الجيوش الحديثة ، وتكون مهمتهم حماية ظهر الدعوة من أعدائها من الكفار . ولم يكن فى فكر حسن البنا أن يقتل مسلما أو مصريا يقول لا إله إلا الله ، أو يعتدى على منشآت مصرية أو يعمل بها مصريون .

وعهد الامام للأخ عبد الرحمن السندى بتكوين هذا النظام . غير أن عبد الرحمن توسع فى العدد شيئا فشيئا ، الى أن وصل الى حد يهدد الدعوة العامة لنقص الدعاة والاخوان المخلصين وتخلف الكثيرين عن العمل الميدانى لنشر الدعوة ، للدرجة التى جعلت الامام يفكر فى كيف يستطيع ان يقلص هذا النظام بدون أن يؤدى ذلك الى اهتزاز يصيب سير الدعوة ويعطل مسيرتها ، وبخاصة بعد أن حدثت أخطاء من النظام بارتكاب أفعال استنكرها الامام مثل مقتل الخازندار ، الذى سأتحدث عنه فى الموضوع التالى .

كان أعضاء هذا النظام هم جند الاسلام فى حرب فلسطين قبل تدخل الجيوش . وكان التفاهم تاما بين قيادة النظام والحاج امين الحسينى مفتى

فلسطين ورئيس الهيئة العليا لتحرير فلسطين ، حيث كان الاخوان يجمعون السلاح للهيئة ، وانشأوا لها محطة إذاعة سرية فى فيلا استأجرها المهندس سعد جبر لهذا الغرض ، فضلا عن التنسيق مع المفتى فيما يتعلق بالفصائل التى أرسلت الى أرض فلسطين لتقاتل العصابات الصهيونية التى تزعمها وقتئذ وزراء اسرائيل الحاليين .

قام النظام بأعمال على سبيل الترهيب لا الارهاب ، فألقوا قنبلة دخان على بار ملىء بالجنود الانجليز ، وقنبلة شبيهة على شركة الاعلانات الشرقية التى كان رئيس مجلس إدارتها ممثلا للصهيونية العالمية الذى قابلته بعد أن طرد من مصر فى عام ١٩٥٦ فى روما وباشر مهامه العالمية من هناك تحت ستار مكتب للصور الصحفيه ، واسمه مسيو حاييم .

كذلك قام النظام بالقاء قنبلة دخان على حارة اليهود ، حيث كان اليهود المصريين يساندون الصهيونية الاسرائيليه ويمدونها بالمال الكثير .

وفى يوم من أيام مايو ١٩٤٨ ، كان أفراد النظام الخاص ينقلون بعض أوراقهم داخل سيارة جيب ، فضبطت مصادفة ، وكان بها بعض الأسلحة الخاصة بالهيئة العليا لفلسطين ، وقدم الذين قبض عليهم للمحاكمة فيما سمى بقضية الجيب . العجيب أن المستشار الذى حكم فى هذه القضية وهو احمد كامل بك ، طلب التقاعد من خدمة الحكومة بعد انتهاء القضية وانضم للاخوان بعد ان اقتنع بسمو فكرتهم وسلامة عقيدتهم ، واشتغل بالمحاماة فى الاسكندرية ، ثم ترافع ضد الحكومة فى قضية مقتل الامام الشهيد . كذلك فإن عضو اليمين فى المحكمة المستشار محمود عبد اللطيف ، قال بعد المحاكمة .. كنت أحاكمهم فأصبحت واحدا منهم .

من هذا النظام اقتبس عبد الناصر التنظيم الطليعى الذى شكله فى أواخر الستينات ولايزال بعض أعضائه يحكمون مصر فى هذه الأيام . كانت فكرة عبد الناصر تتفق مع فكرة حسن البنا ، إذ شكل التنظيم ليكون سريا وليحمى ظهر الثورة عند اللزوم .

غير أن هناك فارقا كبيرا بين التشكيلين . فأعضاء النظام الخاص كانوا من المؤمنين بفكرتة والمخلصين لها ، أما أعضاء التنظيم الطليعى فكانوا من فلول ومخلفات هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى ، من أصحاب المصالح وذوى النزعات الفردية .

كان تشكيل التنظيم الطليعى سريا ، وانتشر بحيث شكلت له وحدات فى الشركات والمصالح الحكومية ، وكان العضو المؤسس ملتزما باختيار عدد يضمه كأعضاء ، ويضعهم تحت الاختبار لفترة ، فإذا رسب أحدهم استبعد من التنظيم . وأذكر أن صديقا لى فى احدى الشركات أسر لى أنه عضو فى التنظيم الطليعى ، وصار يتباهى بذلك أمام أصدقائه ، ولم يمر عليه اسبوع واحد حتى استبعد من التنظيم .

وكما هو شأن التنظيمات السرية ، كان هدف التنظيم الطليعى المعلن سليما ، غير أنه انحرف عن هذا الهدف وصار عمل الأعضاء قاصرا على حضور اجتماعات سرية وكتابة التقارير عن العاملين والزملاء ، الأمر الذى تسبب فى مشاكل كثيرة وبخاصة فى الجامعات ، مما حدا بالرئيس السادات الى الغائه .. ولكن العجيب أن نفوذه مستمر حتى اليوم .

ولنعد الآن لما قاله الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا فى حق النظام الخاص للاخوان المسلمين ، ردا على سؤال

للمحكمة حول جمع الأسلحة لنصرة فلسطين بواسطة النظام الخاص (انظر : محمود الصباغ : حقيقة التنظيم الخاص - دار الاعتصام ١٤٠٧هـ . الصفحات ١٧٢-١٧٨) ، حيث يقول :

" كان للاخوان المسلمين حركة مشاركة فى حرب فلسطين منذ البدء . وقاموا بدعاية لها ، ثم شاركوا بأنفسهم فى سنة ١٩٣٦ أثناء الجهاد هناك ، وجمعوا أسلحة وذخيرة ، وذهب فريق منهم الى الجهاد هناك واستمروا على ذلك ... وظلت الهيئة تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش ، وكذلك الاخوان . وأذكر حادثة قد يكون لها أهمية فى هذا الموضوع وهى أن المرحوم الشيخ حسن البنا زارنى بعد الهدنة الاولى وقال لى مايدل على قلقه مما ظهر فى بعض الجيوش العربية من التخاذل ومما لمسه من الدسائس التى ترمى الى هدم قضية فلسطين ، وتسليم فلسطين الى اليهود وبدون حرب . وقال لى : إنه يشعر بقلق شديد مما لمسه من هذا التخاذل والدسائس ، ولذلك فقد فكر فى أنه سيرسل نحو عشرة الاف من الاخوان المسلمين ليشتركوا مع المجاهدين فى فلسطين . وقال أنه سيعرض الامر على المختصين فى الحكومة المصرية لتمونهم وتسلحهم ، وإذا تعذر تسليحهم بسبب قلة السلاح فإنه سيطلب الى جميع الشعب لتجهز كل شعبة متطوعيها بسلاح تشتريه ، بحيث يتسلح عشرة آلاف ، وكان مصمما على هذه الفكرة واعتقد أنه طلب الى هذه الشعب أن تجمع الأسلحة ، وأخذ فى تنفيذ هذه الخطة ، ولكن لا أدرى كم استطاع أن يرسل منهم فى ذلك الحين ، وهذا يدل على أنهم كانوا يشترون الاسلحة حتى بعد دخول الجيوش النظامية وذلك بسبب خيبة الامال فى بعض الجيوش العربية ...

وكانت الهيئة العربية تجمع السلاح وترسله الى فلسطين حتى ١١ أو ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ (تاريخ حل الاخوان) وصادرت الحكومة من قبل حولى

٤ أغسطس الأسلحة والذخائر من مخازن الهيئة العربية فى حلمية الزيتون والمرج بالرغم من حصولها على تصريح بجمع السلاح ... وعن الاخوان المسلمين ذاتهم يقول المفتى (صفحة ١٧٨ من المرجع السابق) :

" الاخوان المسلمون هيئة اسلامية تعتنق المبادىء وتحمل دعوتها وتعمل لخير المسلمين ونفعهم ، وتعمل على إنشاء جيل مصلح يعمل بمبادىء الاسلام وأخلاقه ، هذا ماأعرفه عن الاخوان المسلمين ، وأعرف أن أهداف المرحوم حسن البنا والاخوان كانت لمصلحة المسلمين خاصة ولخيرهم ولانقاذهم مما هم فيه من ذل وبلاء ولا أعتقد أنها تعمل أى شىء يخالف الشرع من العنف والقتل والارهاب . "

ويقول اللواء احمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين عن جنود الاخوان هناك أنهم كانوا أبطالا . وتسأله المحكمة عن وقائع تدل على بطولتهم فيقول (المرجع السابق ص ١٧٩) :

" سمعت بعد وصولى لرئاسة القوات فى قلم المخابرات العسكرية أن اليهود يبحثون دائما عن مواقع الاخوان ليتجنبوها فى هجومهم ، فبحثت عن حالتهم من الناحية الفنية ، وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود ودخلوا مدارس التدريب ، وأصبح يمكن الاعتماد عليهم فى كثير من الاحوال التى تستدعى بطولة خاصة ، مثلا : أرسلتهم من دير البلح الى مايقرب من ١٠٠ كيلو الى الجنوب لملاقاة الهجوم الاسرائيلى على العريش فاستبسلوا وأدوا واجبهم تماما ، واشتركوا أيضا فى حملة للدفاع عن موقع ٨٦ فى دير البلح واعطيتهم واجبا من الواجبات الخطيرة فكانوا فى كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من اجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لها مكافأة بنياشين ، وذكرت بعضهم للشجاعة فى الميدان ، وبعضهم ذكر اسمه فى الاوامر العسكرية ، واتصلت

بالحكومة فى ذلك الوقت وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوهم أعمالا عندما يعودون ويعاونون اسرهم والحكومة ردت ووافقت وارسلت تأخذ معلومات عنهم وكان ده تكريم الحكومة لهم ... ولا أعرف إن كانت قد نفذت هذا الوعد أم لا . ولكن الحكومة طلبت منى اعتقالهم فرفضت ووضعتهم تحتى حراستى الخاصة ... كانت روحهم المعنوية بعد حل الاخوان عالية وقاتلوا ببسالة ... وقاموا بدور خطير فى دير البلح ... فهم أحسن المتطوعين عندى ... وقد طلبوا منى بعد آن بلغتهم باغتيال المرشد إقامة حفلة تأبين للاستاذ البنا ، فرفضت لأنى لم أقم حفل تأبين للنقراشى ، ولهذا وضعتهم فى شبه معتقل ، ولكن ليعاملوا معاملة كريمة فهم زملاء ميدان .

ويقول اللواء احمد على المواوى بك قائد عام حملة فلسطين (المرجع السابق صفحة١٨٢ ومابعدها) : سبق متطوعو الاخوان المسلمين (النظام الخاص) دخول القوات النظامية الحرب فى فلسطين ... واستعان الجيش النظامى بهم أثناء الحرب كطلائع ودوريات ... استخدمناهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الايمن فى الناحية الشرقية ... كانت روحهم المعنوية قوية جدا للغاية ... وأذكر بالنسبة لروحهم المعنوية أنهم كانوا يطلبون دائما ألغاما للنسف وكانت فى هذا الوقت الغام متعذرة وأذكر أن هؤلاء الاخوان كانوا يقومون بدوريات ليلية يصلون فيها الى النطاق الخارجى للمستعمرات اليهودية ، وينزعون من تحت الاسلاك الشائكة الالغام التى يبثها اليهود وسط الاسلاك ويستعملونها فى تلغيم الطرق الموصلة الى المستعمرات اليهودية ، وقد نتج من جراء هذه الاعمال خسائر لليهود، وتقدم لى من جرائها مراقبوا الهدنة يشتكون من هذه الاعمال التى كانت تعمل فى وقت الهدنة ... وقد كلفنا الاخوان المتطوعين بعمل عسكرى عند مهاجمة العسلوج . والعسلوج هذه بلد تقع على الطريق الشرقى واستولى عليها اليهود اول يوم هدنة ، ولهذا البلد أهمية كبيرة جدا بالنسبة لخطوط المواصلات ، وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد ،

حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب ارسل لى إشارة هامة يقول فيها : لابد من استرجاع هذا البلد بالهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين ، فكلفت المرحوم احمد عبد العزيز بك بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الاسلحة ولكن القوة الصغيرة هى التى تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها" .

هذه الشهادات الثلاث تدل على جدية دور الاخوان فى حرب فلسطين ، وهى صادرة من شخصية سياسية على أعلى مستوى ومن أعلى قائدين عامين أشرفا على الحرب تباعا .

ويقول الصاغ محمود بك لبيب عضو الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين وقائد منظمة شباب فلسطين والمشرف على التنظيم العسكرى للاخوان (الذى انضم له فيما بعد عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وعبد اللطيف البغدادى وخالد محى الدين ثم حنثوا بالبيعة التى بايعوها لما وجدوا أنفسهم على رأس السلطة) فى شهادته امام المحكمة مايلى :

عينتنى الهيئة العربية العليا قائدا لمنظمة شباب فلسطين . فسافرت الى هناك وكونت جيشا من أهالى فلسطين عام ١٩٤٧ ، فأخرجنى الانجليز من هناك بالقوة . ولما عدت اتصلت بسماحة مفتى فلسطين ... ثم بدأ التطوع فى ديسمبر ١٩٤٧ . وتجمعنا فى العريش ثم توجهنا الى الميدان ... كان المتطوعون من الاخوان يحاصرون المستعمرات اليهودية ، ثم يبحثون عن مواسير المياه لقطعها ويمنعون الماء عن المستعمرات ويهاجمون القوافل اليهودية ، وإنهم كانوا على الدوام يهاجمون القوافل ، وأرادوا معرفة قوة المستعمرات وعملوا رسما كروكيا لمستعمرة دير البلح المعروفة بالعبرية كفار ديروم ، وكانت على

مسافة ٨٠٠ متر من جهة النصيرات وأرادوا أن يهاجموا هذه المستعمرة ، وفعلا هاجموها وقد نجحوا فى دخولها واستشهد بعضهم ، وقد كان هذا الهجوم من نوع الاستكشاف وهذا يحصل دائما فى حروب العصابات ، وقد استشهد فى هذه المعركة ١٢ مجاهدا وجرح كثيرون وبعد هذه المعركة اتصلت بصالح حرب باشا والمرحوم المرشد العام بصفتهم عضوين فى هيئة وادى النيل ، ورئيسها علوبة باشا كى يتصلوا بالحكومة ووزير الحربية ليعطوا المتطوعين قشلاقا للتدريب ، كما فعلت سوريا فى شمال أطنة وتكلموا مع علوبة باشا فى الموضوع ، علوبة باشا اتصل بحيدر باشا فوعده أنه سيوجد معسكر للتدريب وتوجهت أنا والمسيرى بك الى الهايكستب ، وهناك أخذنا المعسكر الذى سيجرى فيه التدريب وابتدأ بعد ذلك التطوع بأوسع مدى ، والحكومة عينت فى المعسكر مدربين من الجيش ونادت هيئة وادى النيل بالتطوع ، وكان أكثر المتطوعين من الاخوان إذ بلغوا ٩٠ ٪ من المتطوعين جميعا وفعلا توجهوا الى المعسكر وتدربوا تدريبا عمليا كاملا وانضموا لاخوانهم فى فلسطين .

زرعنا قواتنا لمحاصرة المستعمرات اليهودية التى يمر عليها الجيش على أبعاد متفاوته ، وعملنا على وضع الالغام فى الطرق المجاورة للطريق الرئيسى الذى يمر منه الجيش .

وفعلا مر الجيش ولم تطلق أى رصاصة واحدة من المستعمرات عليه ، ولما دخل الجيش غزة كان معهم متطوعون وتسلم القيادة المرحوم احمد بك عبد العزيز واحتلوا العوجة والعسلوج وبير سبع والفالوجة وعراق المنشية وبيت جبريل والخليل وبيت لحم ، ودخلوا فى حدود القدس الجديد ٣ كيلو وحصل هذا كله فى مدى ١٢ يوما واصبح جميع النقب تحت إشراف الاخوان المسلمين .

وقبل دخول الجيش بثلاثة أثام أو أربعة عملنا معركة وذلك فى يوم

١١ مايو ، هذه المعركة تدل على مدى قوة ومتانة المتطوعين الروحية والمادية ، فقد علمنا بوجود المصفحات اليهودية فى مستعمرة اسمها " المشبه " تبعد عن غزة بحوالى ٢٠ كيلو للجنوب الشرقى فراقب الاخوان هذه الحركة طوال الليل ، وفى الصباح بدأت قافلة المصفحات تتحرك ، فخرج المتطوعون " بالبويز " وهى عبارة عن مدافع ضد المصفحات ، وما أن تقدمت المصفحات حتى فتحت عليها النيران من كل الجهات ، وفى خلال فترة وجيزة كان الفدائيون مسيطرين على الصهيونيين وأخذ الصهيونيون فى التسلل فمنهم من قتل ومنهم من نجا ، وحضر سواقو الاخوان وقادوا المصفحات ومعى الان صور لهذه المصفحات ، وأخرج الشاهد من جيبه خمس صور واطلعت عليها المحكمة وأعيدت إليه ثانيا .

... ولما دخل الجيش ووصل الاخوان بيت لحم ودخلوا ثلاثة كيلو داخل حدود القدس الجديدة كانت هناك مستعمرة يهودية كان لابد من أخذها اسمها مستعمرة " رامات راحيل " فأمر احمد بك عبد العزيز أن يستولى عليها الاخوان ، وهذه المستعمرة كبيرة وكانت تمون القدس باللبن والدواجن ، وقد تسلق الاخوان المستعمرة لأنها كانت فى مستوى عال واحتلوها وإذا بهم يفاجأون ببعض جنود احدى الدول العربية وقد أخذوا فى السلب والنهب ، ولذلك فكر الاخوان فى أن الصهيونيين لابد لهم من العودة ، فتركوا المستعمرة لجيش تلك الدولة ، وارتد الصهيونيون واستولوا عليها ، وصمم احمد عبد العزيز على أخذها مرة أخرى ، وفعلا استولى عليها الاخوان بعد ذلك .

... أرسل لى عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية لكى أحضر للجامعة فتوجهت الى هناك وقابلنى الاميرالاى احمد بك منصور ضابط الاتصال ، وسألته عن سبب دعوتى ، فأخبرنى برغبتهم فى جمع المتطوعين وأن الأومباشى حسن مصطفى مندوب الهايكستب حاضر لهذا السبب ، وحضر

الأومباشى حسن مصطفى وطلب كتيبتين من ١٦٠٠ من المتطوعين ، وسألته هل يريدهم من كل صنف ؟ فقال لى : إنه يريدهم من صنف واحد فقط هم الاخوان المسلمين بالذات . قلت له : ممكن ، فأفهمنى أن المسألة مستعجلة لأننا سندربهم فى حوال ١٥ الى ٢٠ يوما على الاسلحة لفك الحصار عن الفالوجا ، فقلت له : " ممكن وميسور " وأخذنى معه لوزراة الحربية وهناك قابلنى البمباشى صلاح صبرى وعرفنى أنه مدير مكتب الوزير ، وقد عرفه بى وسألنى هل أخبروك عن المأمورية ، قلت : مستعدين ، ... وقام الاخوان بفك الحصار .

وفضلا عن كل مامضى فقد أنشأ النظام الخاص مصانع للهيئة العربية العليا على شكل ورش فى فيلات مستأجرة فى حلمية الزيتون والمرج ، لكى تنظف وتصون الأسلحة الصدأة المجموعة من الصحراء .

هكذا قام النظام الخاص بواجبه كاملا ومحققا الهدف الذى أنشىء من أجله ... فتلك أمجاده . فماذا فعل التنظيم الطليعى غير القفز الى الحكم ؟

بيد أن النظام انحرف عن أهدافه اعتبارا من حادث مقتل الخازندار ، فالجميل لايكتمل جماله كما يقول المثل الشعبى .

مقتل الخازندار

كنت مستشارا لمجلس إدارة النظام الخاص منذ عام ١٩٤٥ باعتبارى أمينا للمعلومات تابعا للامام حسن البنا . وكنا نحضر الاجتماعات وتعرض

علينا مشاكل النظام وأعضائه ، ونقّر أساليب التدريب التى تخدم الفصائل التى سوف تتوجه الى فلسطين .

قتل المستشار الخازندار وأنا مستشار لمجلس إدارة النظام . ولم يكن مجلس الادارة يعلم شيئا عن هذه الواقعة إلا بعد أن قرأناها فى الصحف وعرفنا أنه قد قبض على اثنين من الاخوان قتلا الرجل فى ضاحية المعادى ومعهما دراجتين لم تتح لهما فرصة الهرب عليهما حيث قبض الناس عليهما .

فى ذات اليوم طلب الاستاذ الامام عقد اجتماع لمجلس الادارة بمنزل عبد الرحمن السندى. وحضر الاستاذ بعد صلاة العشاء وبصحبته شخص آخر ، لا أذكر إن كان حسن كمال الدين المسئول عن الجوالة أو صلاح شادى رئيس نظام الوحدات الذى كان يضم ضباط وجنود البوليس .

دخل الاستاذ وهو متجهم ، وجلس غاضبا ، ثم سأل عبد الرحمن السندى قائلا : أليست عندك تعليمات بألا تفعل شيئا إلا بإذن صريح منى ؟ قال : بلى . قال : كيف تسنى لك أن تفعل هذه الفعلة بغير إذن وبغير عرض على مجلس إدارة النظام ؟ فقال عبد الرحمن : لقد طلبت الاذن وصرحتم فضيلتكم بذلك ! قال الامام : كيف ؟ هل أصرح لكم وأنا لا أدرى ؟ قال عبد الرحمن : لقد كتبت الى فضيلتكم أقول مارأيكم دام فضلك فى حاكم ظالم يحكم بغير ماأنزل الله ويوقع الأذى بالمسلمين ويمالىء الكفار والمشركين والمجرمين ؟ فقلتم فضيلتكم : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . فاعتبرت هذا إذنا !!

قال الامام : إن طلبك الاذن كان تلاعبا بالألفاظ ، فلم يكن إلا

مسألة عامة تطلب فيها فتوى عامة . أما موضوع الخازندار فهو موضوع محدد لابد من الاذن الصريح فيه . ثم انك ارتكبت عدة أخطاء : لم تعرض الأمر على مجلس النظام . ولم تطلب إذنا صريحا . وقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . واعتبرته يحكم بغير ماأنزل الله وهو يحكم بالقانون المفروض عليه من الدولة . ولو افترضنا أنه كان قاسيا ، فإن القسوة ليستْ مبررا للقتل .

وأثناء حديثه كانت الدموع تنساب من عينيه الى لحيته وهو فى غاية التأثر . ثم قال إن كان قتلك للخازندار قد تم بحسن نية فإن علينا الدية .

ولكن الحكومة دفعت تعويضا كبيرا لأسرة الخازندار ، فأسقطت الدية عن الاخوان .

إن الاخوان المسلمين كجماعة اسلامية لاتقر الاغتيالات السياسية . وتنظيمهم الخاص كان مخصصا لأعمال الجهاد فى سبيل الله ، فهو - كتنظيم - برىء كل البراءة من هذا الحادث الذى يقع وزره على رئيس النظام وحده . لهذا كان استنكار الامام لهذا الحادث علنا أمام إخوانه جميعا .

كان مرتكبو هذا الحادث هم : عبد الرحمن السندى رئيس النظام ، ومحمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ . وقد خدع الاثنان الأخيران ظانين أن هذا عمل شرعى مصرح به . وبرر عبد الرحمن السندى موقفه أمام زملائه فيما بعد بأن هذا القاضى حكم فى ثلاث قضايا :

- قضية وطنية هى إلقاء قنابل على الانجليز بواسطة شباب مصر الفتاة فى الاسكندرية ، وحكمت المحكمة عليهم بالسجن عشر سنوات .

- قضية سفاح الاسكندرية (حسن قناوى) الذى كان مصابا بالشذوذ الجنسى وقتل سبعة رجال أثناء ممارستهم الشذوذ معه . وحكمت المحكمة برئاسة الخازندار على هذا القاتل المأفون بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة .
- قضية سيدة اتهمت بتعذيب خدمتها تعذيبا وحشيا الى حد ادخال عود من حديد محمى بالنار فى موضع العفة منها فماتت . وحكم عليها الخازندار بعام واحد مع إيقاف التنفيذ .

فكان التعليق العام على أحكام الخازندار هذه ، هى أنه قاس على الوطنيين متسامح مع المجرمين .

وعلى أية حال فإن هذا ليس بمبرر للقتل ، وإلا حدثت الفوضى وصار الشخص يقتل غيره عندما يظن فيه القسوة أو ممارسة الظلم .

وقد استغلت وسائل الاعلام هذا الحادث - الذى نسب الى الاخوان المسلمين ظلما - فصارت تهاجم الاخوان ، وانتهزته صحف الوفد فرصة مواتية للهجوم على شخص الامام .

وإن خروج بعض أعضاء الجماعة على قيادتها لايعيب الجماعة نفسها . فمن قبل قامت جمعية السيد السوداء برئاسة احمد ماهر والنقراشى ، وكان ماتقوم به من اغتيالات مفخرة للوفد .

ومن قبل قتل بطرس باشا غالى (جد أمين عام الامم المتحدة الحالى) اغتيالا ، واغتيل السير لى ستاك ، ومن قبلهم اغتيل الكثيرون . ولكن اغتيال الخازندار ثم قضية الجيب، هما القشة التى قصمت ظهر البعير ، فاتخذتا حجة لحل الاخوان المسلمين ، بالرغم من أن ذلك الحل كان لصالح

الصهيونية ويأمر من الانجليز الى الملك ورئيس الوزراء محمـــود فهمى النقراشى .

وقد اتهم النظام الخاص باغتيال احمد ماهر . وهذا غير صحيح كما يتضح من الموضوع التالى .

مقتل احمد ماهر

فى يوم ٢٤ فراير ١٩٤٥ اغتيل احمد ماهر رئيس الوزراء حينذاك ، أثناء انتقاله من مجلس الشيوخ الى مجلس النواب فى البرلمان . وكان من المعروف أنه ذهب ليعلن قرارا بدخول مصر الحرب ضد المحور .

كانت الحرب فى أواخر مراحلها . ولكنها لم تنته بعد ، حيث لم تكن معركة العلمين قد نشبت ولم يتول الفيلد مارشال مونتجومرى قيادة الحلفاء فى معركة الصحراء . وكان كل المفكرين ضد دخول مصر الحرب ، حيث كانت الطائرات الالمانية والايطالية تغير على مصر يوميا ، ولكنها لاتلقى قنابلها الا على المعسكرات البريطانية فحسب . وإذا دخلت مصر الحرب فإن الالمان والايطاليين يكونون فى حل من ضرب أى موقع فى مصر .

اعترض زعماء مصر - ماعدا الحزب السعدى الذى على رأسه رئيس الوزراء - على دخول مصر الحرب . وكانت حجة احمد ماهر انه متى صارت مصر فى صف الحلفاء فإنها تستفيد من اتفاقية الهدنة بعد هزيمة ايطاليا والمانيا باعتبارها شريكا كاملا .

فكر الشاب محمود العيسوى - وهو من الحزب الوطنى - فى هذا

الامر ، وزار معظم زعماء مصر مستطلعا رأيهم فى دخولها الحرب ، وعلى أثر ذلك قرر اغتيال احمد ماهر .

وقد نسبت هذه الحادثة الى الاخوان زورا وبهتانا ، حيث أقر محمود العيسوى فى التحقيقات انه من شباب الحزب الوطنى ، وأنه لايمت الى الاخوان بصلة . كذلك لم تثبت التحقيقات الخاصة بهذه القضية أية صلة للاخوان به .

غير أن الدقة التى نفذت بها هذه العملية جعلت الكثيرين يشكون فى أنه من صنع النظام الخاص للاخوان المسلمين ، بل إن بعضا من الاخوان ظن ذل أيضا ، وبخاصة وان احمد ماهر هو الذى أسقط الاستاذ الامام فى انتخابات البرلمان عن دائرة الاسماعيلية عن طريق التزوير المتعمد من الحكومة استجابة لطلب الملك والانجليز .

ويقول الشيخ خالد محمد خالد فى مذكراته التى نشرها بجريدة الوفد بتاريخ ١٩٩٢/١٠/١٥ مانصه : " كانت أولى جرائم النظام الخاص - اغتيال احمد ماهر باشا رئيس الوزراء فى المشى الواقع بين مجلس النواب ومجلس الشيوخ بدار البرلمان ... وأن الاستاذ المرشد كان قد رشح نفسه لانتخابات عام ١٩٤٢ ثم انسحب نتيجة لتفاهمه مع النحاس باشا . وفى وزارة احمد ماهر هذه رشح نفسه لمجلس النواب وحصل على نصيب كبير من الاصوات بيد أنه أعيد الانتخاب بينه وبين منافسه ، فنجح منافسه بطريقة لم يشك الاخوان معها فى تزوير الانتخابات ... وفى أوائل عام ١٩٤٥ - وكانت الحرب العالمية الثانية تلفظ انفاسها ... وكان إعلان الحرب شكليا بحتا ... لأن الحرب قد انتهت بانتصار الحلفاء (هذا غير صحيح فلم تكن الحرب قد انتهت فى ١٩٤٥/٥/١) ... هناك ذهب أربعة من شباب التنظيم السرى (لست

ادرى من اين استقى معلوماته حيث لم يظهر التحقيق هذه الواقعة) وانتظروا اجتياز الدكتور ماهر البهو القرعونى فى طريقه الى مجلس الشيوخ ، وتقدم أحدهم متظاهرا بمصافحته ، فلما بسط احمد ماهر اليه يمينه ، فاجأه برصاصات استقرت فى قلبه .. وهرب الثلاثة الاخرون... وعرف اسمه : محمود العيسوى ، محام تحت التمرين ، ومن أنصار اللجنة العليا للحزب الوطنى (غير مفهوم معنى : من أنصار اللجنة) .. كان التنظيم السرى بارعا فى التنكر ، فهو بعد تدريب أعضائه على كل أفانين الارهاب .. (كذا !!) يأمر بعضهم بأن يلتحق ببعض الاحزاب أو الجماعات ، حتى إذا اختير يوما لعمل من أعمال الاغتيال أو الارهاب ، لم يبد أمام القانون ولا الرأى العام من أعضاء الاخوان ... من هذا النوع كان محمود العيسوى ."

جعلت أفكر فى كيف يقول خالد محمد خالد هذا الكلام ، وهو لم يكن على صلة وثيقة بالاخوان أو تنظيماتهم مثلما أوضح فى مذكراته ، غير أنى أذكر أنى كثيرا ماكنت أشاهده يتردد على الاستاذ الامام ، وهو بملابس جماعة أنصار السنة ويضع على رأسه العمامة ذات العذبة .

سألت الاخ الشيخ سيد سابق ، فقال إنه هو مصدر هذا الهراء الذى نشره خالد محمد خالد ، حيث أن الشيخ سيد علم من أحد الاخوان أنه كان يجمع معلومات عن أحمد ماهر . وبنى على هذه المعلومة أن النظام الخاص للاخوان متورط فى هذه الجريمة . أوضحت للشيخ سيد أن جمع المعلومات شىء وجريمة الاغتيال شىء آخر ، ذلك أننا كنا نجمع معلومات عن جميع الزعماء والمشاهير من رجال السياسة والفكر والادب والفن ، سواء كانوا من أعداء الاخوان أو أنصارهم . وهذه المعلومات كانت ترد لى لأحتفظ بها فى أرشيف ، وأعود اليها كلما طلب أحد هؤلاء مقابلة الاستاذ الامام ، أو أجتمع الامام به لأية مناسبة من المناسبات ، وأذكر الامام بالمعلومات حتى

تكون فى خلفيته وهو يتحدث مع ذلك الشخص .

أما حقيقة علاقة الاخوان بحادث اغتيال احمد ماهر ، فهى كالآتى :

دعا عبد الرحمن السندى الى اجتماع - وكنت حاضرا فيه - وقال إنه ينبغى أن نفكر فى خطة لقتل احمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور ، وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحمد الاخوان بالمهمة ، فيزود بمسدس ، وينطلق الى مزلقان العباسية (مكان نفق العباسية الحالى) وينتظر هناك مرور سيارة احمد ماهر ، حيث ان السيارات تبطىء كثيرا من سرعتها عند المزلقان ، ثم يطلق الرصاص عليه ، ويكون هناك شخص آخر منتظرا بموتوسيكل ، يحمله معه ويهربان . تلك هى الخطة البدائية التى أثارت الاستياء من جميع الحاضرين ، لذلك سألته : هل هناك فتوى شرعية بقتل رجل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ فقال : إننا نعد مجرد خطة ولكن لن تنفذ الا بعد الفتوى . قلت : ولنفرض ان هذا الشخص قبض عليه ، فماذا يكون مصير دعوة الاخوان كلها بعد ذلك ؟ قال : لا لن يقبض عليه . أحسست أن المسألة لعب بالنار ، واستجابة للهوى الشخصى وليس مصلحة الاخوان . ثم قال : لقد اخترت احمد عبد الفتاح طه لهذه المهمة ، وهو ينتظر خارج الغرفة . ثم استدعاه وشرح له الخطة ، وقال غدا إن شاء الله نكمل دراستها فى وجودك .

فى اليوم التالى حضر احمد عبد الفتاح طه وهو متجهم الوجه . وعندما بدأ الاجتماع قال : قبل أن تنظروا فى أية خطة أريد أن أبلغكم أنى جبنت ولن أستطيع القيام بهذه المهمة . فغضب عبد الرحمن واتهمه بالضعف والتخاذل ، فقلت : إن احمد عبد الفتاح فى غاية الشجاعة لأنه واجهكم جميعا وصارحكم بحقيقة إحساساته ، وكان يمكنه أن يكتمها ثم يهرب دون

فعل شيء أو إخطاركم بموقفه . وانفض الاجتماع على لا شيء .

في اليوم التالي ، طالعت صحف الصباح ، وإذا بخبر اغتيال احمد ماهر يحتل عناوين الصفحات الاولى ، فظننت ان احمد عبد الفتاح أعاد التفكير في الموضوع ، ووجد أنه من الكثير عليه ان يجبن وهو الشخص الشجاع كما أعرفه - ثم قرر تنفيذ العملية بمفرده وبخطة من عنده .. وليكن مايكون .

بادرت الى جميع الاوراق الخاصة بالاخوان والموجودة بمنزلي فأعدمتها ، واستعددت للقبض على . غير أن صحف المساء أوضحت الأمر وذكرت أنه محمود العيسوي المحامي ، الذي لم أكن سمعت باسمه من قبل ، ثم تبين أنه من الحزب الوطني .

ولا عجب في ذلك فقد كان كل الزعماء ضد دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء ، وأنصار هؤلاء الزعماء يغلون من الغضب على أحمد ماهر وسياسته التي يحتمل أن تدمر مصر .

هذه كلمة أقولها للتاريخ ، والله يشهد على صدق كل كلمة فيها ، وفيها البراءة للاخوان المسلمين من تلك الجريمة .

انحراف النظام الخاص ومقتل السيد فايز

في يوم من ايام مايو ١٩٤٤ ، دعيت انا والمرحوم الدكتور عبد العزيز كامل (نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وشئون الازهر في اواخر عهد عبد الناصر) لكي نؤدي بيعة النظام الخاص . ذهبنا الى بيت في حارة

الصليبة فى منتصف المسافة بين السيدة زينب والقلعة . دخلنا غرفة معتمة ، يجلس فيها شخص غير واضح المعالم بيد ان صوته معروف ، هو صوت صالح عشماوي ، وامامه منضدة منخفضة الارجل وهو جالس امامها متربعا . وعلى المنضدة مصحف ومسدس . وطلب من كل منا أن يضع يده اليمنى على المصحف والمسدس ويؤدى البيعة بالطاعة للنظام الخاص والعمل على نصرة الدعوة الاسلامية .

كان هذا موقفا عجيبا يبعث على الرهبة . وخرجنا سويا الى ضوء الطريق ، ويكاد كل منا يكتم غيظه . قال عبد العزيز : هذه تشبه الطقوس السرية التى تتسم بها الحركات السرية كالماسونية والبهائية ، ولا أصل لها فى الاسلام . صدقت على كلامه . ثم انصرف كل منا الى حال سبيله .

عينت بعد ذلك أنا وعبد العزيز كامل مستشارين للنظام الخاص ، نحضر اجتماعات مجلس إدارته ، وكنا كالفرامل التى تكبح جماح السيارة إذا انفلت زمامها . وكنا نناقش الامور بحرية وبغير التزام بمبدأ الطاعة التى كان يسير عليه غيرنا .

كانت أهداف النظام واضحة : وهى العمل على نصرة فلسطين وتخليصها من عصابات الصهاينه ، والعمل على تحرير مصر من الاحتلال الانجليزى، وفى ذات الوقت نعمل على نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

أعتقد أن الامام الشهيد كان على علم بهذه البيعة التى تختلف كثيرا عن البيعة العامة التى تبدأ بالتوبة والاستغفار ثم المعاهدة على نصرة الاسلام والعمل على تطبيق شريعته .

ظل النظام الخاص يؤدى دوره بكفاءة تحقيقا لهدفيه الرئيسيين .

ولكن السطلة التى كان يتمتع بها رئيسه حولته بالتدريج من رجل دعوة الى رجل عنف ، وذلك اعتبارا من حادث الخازندار .

وبعد استشهاد الامام ، تطلع رئيس النظام الى الزعامة ، وفقد روحانيته التى كانت قبل ذاك بادية على وجهه ، وناصب الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام العداء .

قال لى الاخ احمد نار - وهو يرتجف غضبا - إن رئيس النظام يقول إن لدعوة الاخوان مرشدان : مرشد ظاهر هو الهضيبى ، ومرشد خفى هو ذاته .

وهذا الموقف منه قد يفسر عداء بعض أعضاء مجلس إدارة النظام للاستاذ الهضيبى ، لدرجة أنهم أعلنوا العصيان لأوامره وهددوه ، وحرضوا بسطاء الاخوان على الاعتصام بالمركز العام بعد ان سمحت حكومة الثورة بعودة الجماعة .

وكان رئيس النظام على صلة وثيقة بعبد الناصر حيث كان عبد الناصر عضوا بالنظام وعلى صلة طيبة بقيادته ، حتى بعد أن نكث ببعته هو ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة . لذلك فإن من المحتمل ان يكون عبد الناصر وراء الفتن التى حاقت بالاخوان ، حيث كان يبغى ان يجل الاخوان أنفسهم بأيديهم إذا مااختلفوا وتضاربوا .

كانت عودة النظام الخاص الى الوجود بعد قيام الثورة امرا عجيبا . أذكر أنه حضر رئيس النظام الى منزلى ومعه الاخ مصطفى كمال الذى كان رئيسا للمكتب الفنى بشركة الاعلانات العربية وقت ان كنت مديرا لها ،

وسألنى الاخ عبد الرحمن سؤالا مباشرا : هل انت معنا ام لا ؟ قلت : من أنتم ؟ إن كنت تقصد الاخوان المسلمين فأود أن أقول لك إننا بايعنا الامام حسن البنا . وبعد وفاته سقطت البيعة . والبيعة عقد ، لهذا ينبغى الاتفاق على شروط عقد جديد ... هناك اشخاص يعملون فى الجماعة وانت تعلم انى اشترطت عليك - لكى لا ابلغ الامام بمايفعلون - ان تبعدهم عن الاخوان ولو بالتدريج . وهؤلاء الان يتصدرون الجماعة بعلمك وموافقتك ... اما إن كنت تقصد النظام الخاص ، فأريد أن أعرف أولا ماهى أهدافه ؟ لقد كان له هدفان : فلسطين والاستعمار البريطانى . والان توجد حكومة وطنية نابعة من الشعب ومعظم أعضائها من صميم الاخوان ، وهم مخلصون (حتى ذلك الوقت عام ١٩٥٣) ، وفلسطين قد انتهى أمرها بالاعلان قيام دولة اسرائيل واعتراف العالم بها ، والاستعمار البريطانى موكول الان الى الحكومة الوطنية . فما هو هدف النظام الخاص الآن ؟ ثم إن جميع قيادات النظام الخاص ومعظم افراده قد انكشفوا للحكومة ، والتحقيقات السابقة معهم جعلتهم يعترفون على بعض ! فهل النظام هو هدف فى حد ذاته ؟

لم يرد علىّ عبد الرحمن وقال : إذا انت لست معنا . وانصرف .

بعد ذلك بحوالى اسبوع ، التقيت بالاخ المهندس السيد فايز فى شارع العباسية امام مكتبة المطيعى . وجدته غاضبا على النظام الخاص ، وأفكاره حوله تكاد تتطابق مع أفكارى ...

فى اليوم التالى - وكان ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم - ذهب شخص ما بصندوق من حلوى المولد وطرق باب بيت السيد فايز فى شارع عشرة بالعباسية ، وسلم صندوق الحلوى الى شقيقته قائلا انه لايجب أن يفتحه الا

السيد . وبالفعل ... حضر السيد فايز وتسلم الصندوق وبدأ يفتحه ... وإذا بالصندوق ينفجر ويودى بحياته ...

تلك جريمة رهيبة ، لاشك عندى أنها من فعل النظام الخاص ، لمجرد ان السيد فايز يعارض وجوده .

سألت الشيخ السيد سابق عن هذه الواقعة فقال إن رئيس النظام هو الذى خططها ونفذها أحد معاونيه بناء على فتوى نسبت للشيخ السيد سابق وهو برىء منها . وقال لى إنه يعرف الشخص الذى قام بتلك الفعلة النكراء .

بعد هذه الحادثة بحوالى الشهرين ، وكنت آنذاك أعمل فى الفترة المسائية سكرتيرا لتحرير مجلة الاقتصاد والمحاسبة التى يصدرها نادى التجارة . وكان معى موظف للكتابة على الآلة الكاتبة فى المساء كذلك . اختلى بى بعد انتهاء العمل ، وقال : هناك شىء أحب أن أبلغك به ... فأنا أعمل موظفا بالمباحث العامة ، ومهمتى كتابة التقارير على الآلة . وقد ورد تقريران ، أحدهما عبارة عن تحريات لأحد المخبرين يفيد أنك (محمود عساف) كان فى دار الاخوان بالامس وكان يهتف بهتافات الاخوان بحماس زائد ... وأنا أعلم أنك لم تكن هناك لأنك كنت معى هنا حتى منتصف الليل . أما التقرير الثانى فهو عبارة عن كشف وجد مع أحد الاخوان الذين قبض عليهم مؤخرا ، وفى هذا الكشف اسم السيد فايز تحت رقم (١) واسمك تحت رقم (٣) . ولما قرأت خبر جريمة اغتيال السيد فايز ، رأيت أن أحذرك . وهذا الكشف يحتوى على عشرة أسماء يبدو أنه يراد اغتيالهم ، وفيهم الشيخ السيد سابق .

فوضت أمرى الى الله ، فقد انحرف النظام وقائده وثلاثة من مجلس إدارته ، وأصبح وجود النظام غاية فى حد ذاتها .

وفى يوم قريب من نهاية عام ١٩٥٣ ، طلبت للاجتماع بمكتب الاستاذ عبد القادر عودة وكيل الاخوان بميدان الاوبرا ، وكنت قد توقفت عن ممارسة اى نشاط مع الاخوان جهرا أو سرا ، وقيل أثناء الاجتماع أن ٤ من زعماء النظام الخاص قدموا استقالاتهم من الاخوان وأنهم يحاربون المرشد العام (الاستاذ الهضيبى) ، وان هذا الموضوع سيبحث بعد أيام فى اجتماع آخر فى بيت أحد قادة النظام . دعيت الى هذا الاجتماع ، وسمعت فيه من الاعضاء المستقيلين سبابا فى المرشد العام ، الأمر الذى يتنافى مع أبسط قواعد الأدب ، وأخذوا يشرحون موقفهم . وقبلت استقالاتهم . ثم قال أحد المجتمعين : علينا أن نعين رئيسا جديدا للنظام ... وإذا بى أفاجأ بأن الشخص الذى كنت قد اشترطت على عبد الرحمن السندى إبعاده عن نشاط الاخوان ، يرشحنى أنا لقيادة النظام . فاعتذرت لأنى غير مقتنع بفكرته بل أنا ضد وجوده . فرشح الشيخ فرغلى الشهيد يوسف طلعت . وقد كان ... ولم تمر شهور حتى قبض على قادة وأعضاء النظام ، وقدموا للمحاكمة ، وأعدم الشيخ فرغلى والاستاذ يوسف ضمن الشهداء الستة الذين اعدموا ... لاشك أن عبد الناصر كان على علم بدقائق مجريات الأمور داخل تشكيلات الاخوان المسلمين ، بل ويعلم موقفى لأنه لم يوجه لى أى اتهام .

ولقد أدت انحرافات النظام هذه الى انحرافات فكرية عند شباب الاخوان ، جعلتهم ينسلخون عن الجماعة ويؤمنون بالعنف طريقا للاصلاح متناسين أمر الله بالدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، لدرجة أن أحد زعمائهم حاكمه الاستاذ الهضيبى فى السجن وفصله قائلا جملته المشهورة : نحن دعاة لا قضاة . وقد انحرف الكثيرون واتجهوا الى الارهاب بعيدين تماما عن فكر الاخوان المسلمين ، وأسموا أنفسهم اسماء رنانة لاتنطبق على المسميات، مثل تنظيم الجهاد (وليس فيه أى جهاد بل فيه قتل للنفس التى

حرم الله كالشيخ الذهبى حامل القرآن) وتنظيم التكفير والهجرة (الذى يكفر المجتمع ولا ينفذ الهجرة لأنه لايوجد مكان يهاجرون اليه ، ونسوا أنه لاهجرة بعد الفتح) وتنظيم " الناجون من النار " والله وحده يعلم من هو الذى سوف ينجو من النار ... الى آخر تلك المسميات .

لقد أخذ هؤلاء أفكارهم عن الشهيد سيد قطب .. فقد ألف سيد قطب كتابا هو " فى ظلال القرآن " ، وهو كتاب تفسير عظيم مبتكر إذ يفسر السورة تفسيرا شاملا ، كما ألف كتاب آخر وهو فى السجن ، هو "علامات على الطريق " ، ألفه وهو فى حالة نفسية سيئة ، وكان فيما كتبه فى ذلك الكتاب متشائما الى أبعد حد بسبب ماكان يعانيه من ظلم وتعذيب وافتراءات ، لذلك أخذوا عنه فكرة الحاكمية لله ، وتكفير المجتمع ... الى غير ذلك مما غذى عقولهم المريضة .

لم يكن الشهيد سيد قطب من الاخوان القدامى ، ولم يزامل الامام حسن البنا ، بل كان كاتبا اسلاميا وأديبا فحسب ، ثم عمل رئيسا لتحرير مجلة الاخوان بعد سماح حكومة الثورة باستئناف نشاطهم . لذلك فإنه لم يتشرب فكر حسن البنا .

عين غصين

كان النظام الخاص يدرب معظم أعضائه فى جبل المقطم - ولم يكن المقطم مأهولا بالسكان بعد - فى أماكن نائية منه لايسمع منها طلقات الرصاص أو انفجار القنابل . أما النخبة من الأعضاء فكانوا يدربون فى صحراء الاسماعيلية قرب قرية تسمى " عين غصين " ويرمز لك بـ ع . غ . وكان التدريب يشمل قيادة الموتوسيكلات فى أطراف مدينة الاسماعيلية ، والسباحة فى البحيرات المرة ، واطلاق الرصاص فى الصحراء .

أذكر وأنا أتعلم السباحة أن كنت أتراجع فى الماء على الشاطىء وأنا واقف ، وإذا بى لاأشعر إلا وأنى أغوص فى الماء حيث وقعت فى حفرة تحت أرض البحيرة ، حاولت القفز ، فظهرت على الماء مرتين ثم غصت ، ولم أشعر إلا وأنا على الشاطىء يجرون لى التنفس الصناعى . كان انقاذى بإذن الله على يدى محمود الصباغ ومصطفى مشهور الذين يجيدان السباحة إذ قفزا الى الماء وأخذا يدفعاننى خارجا حتى نجوت .

فى الصحراء تعلمنا إطلاق الرصاص واستعرضنا أنواع القنابل : المفجرة والحارقة وقنابل الدخان . كما استعرضنا أنواع المسدسات ذات الساقية وذات الزناد والمدافع الرشاشة والتومى جن وما اليها . وكان ذلك المكان قريبا من المعسكرات البريطانية فكان الأهالى إذا سمعوا أصوات الرصاص أو الانفجارات ظنوها صادرة عن تلك المعسكرات التى كان يتم فيها تدريب الجنود الانجليز على الأعمال الفدائية . بتنا فى منزل الشهيد يوسف طلعت (الذى طلبوا منه فى محكمة الثورة أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب !!) وفى الصباح توجهنا الى عين غصين . وفى الظهر دعينا الى الغذاء بواسطة رئيس الاخوان هناك ، وهو الشيخ حسن الأحمر ، وهو من قبيلة الأحمر العربية التى تمتد جذورها الى مئات السنين ولها فروع فى اليمن والسعودية ودول الخليج .

جلسنا الى الغذاء على الطريقة العربية القديمة ، وقدموا لنا الأرز ولحم الخروف الذى ذبح خصيصا لهذه المناسبة . أكلت قدر ما أستطيع من هذه الوجبة الدسمة ، ثم توقفت . قال الشيخ حسن : إن من عاداتنا القديمة أن الضيف الذى يدعى الى الطعام ، نربط عن بطنه خيطا ، فإذا لم ينقطع ذلك الخيط يعد الضيف غير مخلص لنا ويحق قتله !! قلت : وعلى ذلك إذا جاءكم ضيف تكرهونه تربطون على بطنه حبلا . فضحك الجميع .

قال أحد المدعوين : حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . فرد أحد أفراد القبيلة قائلا : نحن نعرف هذا الحديث ، ولكن لنا فلسفة تقول : املأها (يقصد المعدة) حتى تضيق ، وزرق المية تزريق ، وخلى النفس على الله !!

هكذا كان يمتزج الجد بالفكاهة والعبوس بالضحكات .

من قتل النقراشي

كان الاستعمار جاثما على صدر مصر . والاستعمار البريطانى الذى كان يحكم مصر ، هو ذاته الذى كان يرعى مصالح العصابات الصهيونية فى فلسطين ، وكان يرى فى المتطوعين من الاخوان حجر عثرة فى سبيل إعلان دولة اسرائيل .

لم تكن القوى السياسية فى مصر بقادرة على الوقوف فى وجه الاستعمار أو وجه الملك الذى كان مغلوبا على أمره ويأتمر بأمر السفير البريطانى . ولقد كان كل حزب يناصر الانجليز وهو فى الحكم ويحاربهم بالشعارات والمظاهرات وهو خارجه . وكان الانجليز يعلمون ذلك ولا يلقون بالا إلا لثلاث قوى سياسية ، هى الاخوان والحزب الوطنى ومصر الفتاة .

وفى حين كان الحزب الوطنى ضعيفا لايسيطر على قوى شعبية يعتد بها ، كان حزب مصر الفتاة قويا بأنصاره المؤمنين بفكره والمتحمسين له ، وكان أحمد حسين رجلا وطنيا يحاول أن يفعل شيئا لصالح وطنه . غير أن

حزب مصر الفتاة كان محدود العدد فى أعضائه ولايقارن بعدد أعضاء الاخوان المسلمين المنتشرين فى المدن والقرى والنجوع .

قرر الانجليز انهاء حرب فلسطين ، وأعلنت الهدنة الرسمية ، وقبلها العرب جميعا ، إلا الاخوان المسلمين الذين لم يعترفوا بها . لذلك قامت حكومة النقراشى باعتقال المجاهدين داخل معسكرات فى فلسطين يشرف عليها الجيش المصرى .

وبالرغم من أن الجيش المصرى المسلح بأسلحة بدائية ، قد كان محتلا لجزء كبير من أرض فلسطين ، فقد صدرت الأوامر له من حكومة النقراشى بالانسحاب . فتعرضت فلول الجيش لهجمات يهودية عاتية وحوصرت كتائب منه فى الفالوجا ، ولم يفك الحصار عنها إلا قوات المتطوعين الاخوان، وقد كانوا معتقلين . وبناء على تعليمات اللواء المواوى، وتركوا ليقوموا بهذه المهمة ثم يعودوا مختارين الى الاعتقال مرة أخرى .

وبدأ الاخوان فى تجهيز كتائب جديدة لتسافر الى فلسطين بناء على طلب من عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية ، تحت قيادة الصاغ محمود بك لبيب الذى كان زميلا لعزيز المصرى باشا ورفيق كفاحه ، حتى يسهموا فى انقاذ الجيش المصرى .

هاج النقراشى وماج ، فإن هذا الأمر يغضب الانجليز ، ولا يتفق مع أهواء السراى ، لذلك بادر بإصدار القرار بحل الاخوان المسلمين ومصادرة جريدتهم ومطابعهم وشركاتهم وكافة مايملكون ، وأمر بمنع سفر الكتيبة المستعدة للسفر . وكانت حجته فى الحل هو موضوع السيارة الجيب ، الذى شهد فيه قادة الحملة المصرية الرسمية فى فلسطين ، كما شهد فيه الحاج

امين الحسينى مفتى فلسطين بما يشرف الاخوان ، فضلا عن انضمام رئيس المحكمة وعضو اليمين الى الاخوان بعد أن تعرفا على شرف مقاصدهم .

وبدأت حرب اعلامية تهاجم الاخوان ومبادئهم ، اشترك فيها بعض علماء الأزهر الذين ضللتهم وسائل الاعلام وبعض الكتاب المشايعين للحزب السعدى .

كان بعض الاخوان فى ذلك الوقت فى السجن متهمين فى قضية السيارة الجيب ، كما كان بعضهم مقبوضا عليه فى قضايا ماسمى بالأوكار وكانوا يتعرضون للتعذيب كل يوم ليعترفوا بوقائع لم يفعلوها . وكان الباقى من الاخوان المعروفين للمباحث العامة رهن الاعتقال بهاكستب ثم الطور . ومع ذلك فقد كان هناك من أعضاء النظام الخاص عدد طليق حيث لاتعرفهم أجهزة الشرطة .

كان الامام حسن البنا بعد اعتقال الاف الاخوان معتقلا هو الآخر . ذلك بانه ترك حرا يذهب أيان يشاء ، ولم يكن مسموحا بأن يرافقه أحد إلا الاستاذ عبد الكريم منصور المحامى زوج أخته ، والذى أصيب إصابات غير قاتلة عندما اغتالوا الاستاذ الامام الشهيد .

حكى لى الاستاذ عبد الكريم منصور رحمه الله (وهو زوج شقيقة الامام) ، وكان يعمل استاذا للقانون بجامعة الملك عبد العزيز حين كنت معارا لهذه الجامعة عام ١٩٧٩ ، أنه كان إذا تقدم أحد ليحيى الاستاذ أثناء سيره فى الطريق متجها الى جمعية الشبان المسلمين أو خارجا منها ، فإنه يعتقل على الفور . بل إنه إذا حياه أحد ولو من بعيد ، فإنه يلقى القبض عليه . لذلك كان الامام فى موقف هو أشد وأقسى من الاعتقال .

صار الاخوان الذين لم يقبض عليهم من أعضاء النظام الخاص فى حال يرثى لها . فليس هناك من يرشدهم الى ماينبغى أن يفعلوا ، ولا أحد يوعيهم بمالا يجوز أن يفعلوه . فصارت كل مجموعة منهم تلتقى سرا ، ويقررون فعل شيء وفقا لاجتهادهم .

من هذه المجموعات : مجموعة أحمد فؤاد (كان ضابطا بالشرطة ضمن تنظيم الوحدات التى كان يشرف عليه الصاغ صلاح شادى) وكانت تضم محمد مالك يوسف ، وشفيق انس ، وعاطف عطية حلمى ، وعبد المجيد احمد حسن ومحمود كامل . لم تجد هذه المجموعة أحدا يوجهها ، فقررت قتل النقراشى جزاء على حله للاخوان واستجابته للانجليز وتخريبه لحرب فلسطين .

كان الامام فى ذلك الوقت يعمل فى اتجاه آخر ، حيث كانت أسر المعتقلين وأحوالهم تقض مضجعه ، وكان يحس بأنه هو السبب فيما وقع عليهم من ظلم وما واجهوه من شدة وبأس . كان يسعى بكل الطرق لكى يتم الافراج عنهم . وكانت ترد لنا أخبار ذلك ونحن فى معتقل الطور عن طريق رسائل سرية كانت تردل لنا من خلال ضباط شرطة من أعضاء قسم الوحدات ... وكان الامام يظن أن الافراج عن المعتقلين قريب مثلما وعدوه ، نظير أن يقوم هو بحل الاخوان وتشكيلاتهم حلا اختياريا بإرادته ، ويضمن للحكومة وقف نشاطهم كلية . وتسليمهم ما بقى فى حوزة الاخوان من سلاح ، حيث انتهت حرب فلسطين .

رسم أحمد فؤاد وجماعته خطة قتل النقراشى ، ونجح عبد المجيد احمد حسن فى مهمته بعد أن تنكر فى زى ضابط بوليس ، وقتل النقراشى رميا بالرصاص وهو على وشك دخول المصعد متجها الى مكتبه فى وزارة الداخلية .

ولو أن حسن البنا لم يكن معتقلا هكذا ، ولو أنه ايتح له أن يوجه .

مجموعات الاخوان الذين صاروا لا رئيس لهم ... لما قتل النقراشى . ولكن ارادة الله غالبة .

فمن الذى قتل النقراشى ؟ لاشك أنهم أولئك الذين يسروا قتله ودفعوا قتلته وحجبوا التوجيهات الحكيمة عنهم ... انهم رجال الشرطة ومحرضوهم من الوزراء ورجال الرأى بتفكيرهم العقيم

كتب حسن البنا بعد ذلك بيانا نشر بالجرائد المصرية ، وهو يغلى غضبا لما سببه له قتل النقراشى من فشل فى الافراج عن المعتقلين ، وذلك تحت عنوان " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين

وكان مقتل النقراشى سببا فى اغتيال حسن البنا وهو أعزل أمام جمعية الشبان المسلمين ، بناء على مؤامرة مدبرة كشفت عنها سلطات التحقيق بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وانتحر القاتل قبل أن يقبض عليه ويفشى أسرار المحرضين على الاغتيال .

ولقد أراد الله لحسن البنا أن يموت شهيدا .

الفصل الرابع

مع صحافة الاخوان

أسس الاخوان صحافتهم لتكون منبرا يعبرون من فوقه عن فكرهم ورأيهم فى الأحداث . وكانوا كلما حيل بينهم وبين اصدار صحيفة، يستأجرون رخصة أخرى ، أو على الأقل يتفقون مع أصحابها على أن تكون لسانا معبرا عنهم .

ومن أهم صحف الاخوان : الجريدة اليومية التى تحمل اسم الاخوان المسلمون ، والمجلة الاسبوعية (النذير) ، ومجلة الشهاب التى أصدرها الامام ، والكشكول الجديد التى أصدرها مؤلف هذا الكتاب .

حرص الأخوان على أن تكون لهم صحافة منذ تأسيسهم ، لكى يعبروا عن طريقها عن فكرهم ولتكون شاهدا لهم على مر التاريخ .

ومنذ البداية ، ساهم الامام الشهيد بالكتابة فى مجلة الفتح التى كان يصدرها السيد محب الدين الخطيب ، ومجلة الشبان المسلمين التى تصدرها جمعية الشبان المسلمين ، وذلك فى الفترة من ١٩٢٨ حتى ١٩٣٢ حين كان نشاط الاخوان قاصرا على الاسماعيلية .

ولما انتقل المركز العام الى القاهرة عام ١٩٣٢ ، أصدر الاخوان مجلتين اسبوعيتين، هما " مجلة الاخوان المسلمين" ومجلة " النذير" . صدرت الأولى اعتبارا من عام ١٩٣٣، وأسندت رئاسة تحريرها للشيخ طنطاوى جوهرى الذى كان استاذا بدار العلوم وهو صاحب تفسير " الجواهر" ، وكانت تطبع بالمطبعة السلفية التى يملكها السيد محب الدين الخطيب . أما مجلة النذير فقد صدرت فى عام ١٩٣٨ واسندت رئاسة تحريرها الى صالح عشماوى .

وبعد وفاة السيد محمد رشيد رضا ، صاحب المنار فى عام ١٩٣٥ ، تولى الاخوان اصدار المجلة بناء على طلب من أسرة الشيخ رشيد ، وذلك اعتبارا من عام ١٩٣٩ .

وقد قدم العدد الأول المصدر بواسطة الاخوان : الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر ، بمقال قدم به الاستاذ حسن البنا مقرا له بالإمامة فى العلم والدعوة . (١)

---

(١) محمد فتحى على شعير : وسائل الاعلام المطبوعة فى دعوة الاخوان المسلمين . دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة - ١٩٨٥ - صفحة ٢٣٢ و ٢٣٣ .

ومع بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، فقد الاخوان مجلة النذير بسبب انشقاق اداراتها ، فاستأجروا بعض المجلات ، وهى " النضال " و" الشعاع" و" التعارف" ، ثم أصدروا مجلة " الاخوان المسلمون " الاسبوعية فى إصدارها الثانى عام ١٩٤٢ وكان رئيس تحريرها صالح عشماوى كذلك .

ومن أشهر كتاب المجلة : أحمد أنس الحجاجى - أحمد السكرى (وكيل الاخوان وقت ذاك ، - الدكتور ابراهيم حسن - عبد الحكيم عابدين - عبد الرحمن البنا (شقيق الامام) عشماوى سليمان - كامل عدلان - محمد الغزالى - محمد لبيب البوهى - محمود حمدى جمعة - الصاغ محمود لبيب - ابراهيم الزوكة - ابراهيم الجبالى - حسن عبد الوهاب - د. محمد زكى حسن - زينب الغزالى - السيد محمد احمد الفقى - عبد الله المازنى - عبد المنعم خلاف - محمد جاد المولى - محمد حسنى عبد الحميد - محمد سعاد جلال (عالم الأزهر) - محمد على ناصف - محمد فريد وجدى - محمد مصطفى الطويجى - محمود بسيونى (نقيب المحامين وقتئذ) - أحمد لطفى عبد البديع - سعيد رمضان - السيد سابق - عبد العزيز كامل - عبد القوى باشا احمد - عبد الله فكرى أباظة بك - د. محمد البهى - محمد رجب البيومى - محمد عبد العاطى حلاوة - محمد عبد العظيم الزرقانى - محمد يوسف محمد موسى - محى الدين اللبان - يوسف ابو الخير .

ومما أجمع عليه النقاد فيما يتعلق بسياسة تلك الصحف (١) ، الالتزام بالاسلام نصا وروحا ، والوضوح فى الفكر والتعبير ؛ والصدق فى كل ماينشر من أخبار ، والشمول لقضايا العالم الاسلامى .

---

(١) المصدر السابق : الصفحات ٤٣٢ - ٤٣٦

جريدة " الأخوان المسلمون " اليومية

كان إصدار جريدة اسلامية يومية ، أملا يتطلع اليه المؤمنون فى مصر والعالم العربى والاسلامى . كانت الفرصة مواتية بعد أن انتشر الوعى الاسلامى فى مصر بانتشار فكر الاخوان المسلمين ، وبعد أن وجد الاخوان أن المجلة الاسبوعية لاتكفى لعرض وجهات نظرهم وشرح أفكارهم ، فى وقت كانت فيه الأحداث سريعة ، والتغيرات اليومية كثيرة ، فلابد من مواجهة ذلك بنشر يومى لفكر الاخوان ووجهات نظرهم فى تلك الأحداث .

لذلك أسس الامام الشهيد شركتين مساهمتين : شركة الاخوان للصحافة وشركة الاخوان للطباعة ، وكان يرأس مجلس إدارة الشركتين ، وكنت عضوا بكل من المجلسين .

أصدرت شركة الاخوان للصحافة : الجريدة اليومية ، وضمت اليها المجلة الاسبوعية . وكان إصدار جريدة يومية أمرا شاقا يقتضى أموالا كثيرة وتنظيما وخبرة بالصحافة .

وجه الامام نداء فى مجلة " الاخوان المسلمون " فى العدد ٦٨ بتاريخ ١٩٤٥/٨/٣٠ تحت عنون : " أيها الاخوان .. مشروعكم الثاني " (ذلك لأن المشروع الأول ، كان شراء دار المركز العام من تبرعات الاخوان) .

قال الامام فى هذا المقال : ... " الآن أيها المجاهدون الصامتون ، أنتم امام مشروع آخر أعمق فى الدعوة أثرا ، وأندى بها صوتا ، وأرفع لها ذكرا ، وألزم اليها من كل ماسواه ، هو مشروع الجريدة اليومية والمطبعة الاسلامية " .. وأوضح كيف انتهت حرب المدافع والطائرات وبقيت حرب

المبادىء والآراء وبقى دور المطبعة والاذاعة ومعركة الصحف والأوراق تغزو العقول والأفكار بمختلف الدعايات .. واستطرد قائلا : " وخطوت الخطوة العملية اعتمادا على حسن الظن بالاخوان وماعرفوا به من مبادرة الى الاجابة ، وإقدام على البذل والتضحية ، وإن قوما جعلوا شعارهم (الجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا) لجديرون إذا دعوا الى الجهاد بالمال وهو أهون من الجهاد بالنفس أن يستجيبوا للداعى ، وألا يدخروا وسعا فى البذل والانفاق ، وماداموا مخلصين فى غايتهم فإن الله لهم خير كافل وافضل معين " ... ثم شرح الخطوات التى اتخذت لتأسيس هذا المشروع الجديد وقال مختتما نداءه : " إن المشروع ليس اكتتابا خيريا ولا صدقة وإحسانا ، على أنه لو كان كذلك لما اتهمنا سخاءكم وحبكم للخير ومبادرتكم للبذل ، ولكنه فى حقيقة وضعه مشروع تجارى لعله من أفضل المشروعات فى تثمير المال وحسن الانتفاع به مع ماله من أثر جليل فى الدعوة ، ولا أقول لكم هذا إغراء بالمساهمة فإنى أود أن يساهم أحدكم وهو يحتسب مساهمته عند الله ، فإن ربحت المساهمة ماديا فقد حاز الاخرين الربح المالى والثواب الاخروى ، وإن خسرت ماليا فحسبه مثوبة الله العلى الكبير .. وانتهزوا الوقت ولا تسوفوا ، والبركة فى البكور والبذرة لمن بدر وفضل السبق فى مثل ذلك ليس له كفاء وفى ذلك فليتنافس المتنافسون. كتب الله لكم الايمان وأيدكم بروح منه " .

ومرة آخرى تستحث المجلة الاخوان ليسارع من لم يساهم بالاكتتاب ، ومن اكتتب فليبادر بالسداد مذكرة لهم بقولها : " إن سبعين مليونا من العرب ومن ورائهم أربعمائة مليون من المسلمين ينظرون اليكم ، وينتظرون همتكم ، فحققوا الأمال فيكم ، وكونوا عند حسن الظن بكم ، والله المستعان وبه التوفيق"

صار المال متوفرا ، وبقيت الخبرة الصحفية . فاستأجر الاخوان عددا

من الصحفيين ، منهم رئيس التحرير الذى ينبغى أن يكون عضوا بنقابة الصحفيين ، وعدد من المخبرين الصحفيين ليحصلوا على الاخبار من الوزارات والمصالح ، ثم طعم هؤلاء المخبرين بعدد من شباب الاخوان ، لمع منهم زيد شريف ورشاد الشبرابخومى (عملا بعد حل الاخوان فى مؤسسة أخبار اليوم) .

غير أن كثيرا من المحررين الذين جلبهم احمد السكرى وكيل الاخوان من صحف الوفد لم يكونوا على مستوى الاخوان الفكرى والخلقى .

دخلت مرة مكتب المحررين بالجريدة ، وجلست الى ح . العباسى (أحد المحررين) أتبادل معه الحديث فوجدته يسخر من فكر الاخوان ، ثم فتح درج مكتبه وإذا فيه عدد من الصور الفاضحة لنساء عاريات .. وقال : هذه هى المادة التى تجعل الصحيفة تنتشر . غضبت ولقنته درسا ، ثم نقلت ماحدث للامام الشهيد ، فطلب منى كظم الغيظ الى أن يكتسب بعض الاخوان الخبرة الملائمة .

غيرنا رئيس التحرير المحترف ، برؤساء تحرير من الاخوان من حملة الشهادات العالية ، منهم ... الشريف (لا أذكر اسمه الأول) والدكتور فتحى عثمان ، والسيد محب الدين الخطيب . كان من رواد النهضة القومية، وقدم للحركة الوطنية وللثقافة العربية والاسلامية الشىء الكثير . وعمل فترة من عمره محررا بجريدة المؤيد . وكان له الفضل فى توحيد كلمة العرب عند قيام الحرب العالمية الأولى . وأصدر جريدة القبلة فى الحجاز أثناء الحكم التركى ، ثم عمل محررا فى جريدة الأهرام ، ثم أصدر مجلة الزهراء الشهرية لمدة خمس سنوات ، ثم اسس صحيفة الفتح الاسبوعية عام ١٩٣٦ واستمرت حتى عام ١٩٤٨ . وكان يملك المطبعة السلفية فى جزيرة الروضة ، وكثيرا ماكنت أزوره هناك .

كان للمقالات الافتتاحية التى كان يكتبها السيد محب الدين ، أثرا عظيما فى نفوس الاخوان ، إلا أن صحته لم تساعده على الاستمرار فى رئاسة التحرير .

وكان قد صدر العدد الأول من جريدة " الاخوان المسلمون " يوم ٥ مايو ١٩٤٦. (اليوم السابق على عيد جلوس الملك فاروق) وعليه شعار الاخوان (السيفان والمصحف وتحتهما كلمة : وأعدوا . وكتب الامام الشهيد افتتاحية ذلك العدد، تحت عنوان مطلع الفجر ، أوضح فيه مهام الجريدة واهدافها حيال الدعوة الاسلامية والقضايا الوطنية ومطالب أفراد الأمة ، وموقفها من الهيئات الاسلامية الأخرى التى تتفق مع منهاج الدعوة .

وابتداء من العدد السادس ، بدأ الامام يكتب مقالات تحت عنوان "منبر الجمعة " ، وذلك يوم الجمعة من كل اسبوع . كان عنوان مقاله الأول: الآية الكريمة : يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ..) بيّن فيه قيام دعوة الاسلام على الايمان بالله والعمل الصالح والاخوة الانسانية .. واعتماد الاسلام فى تقرير هذه المعانى فى النفوس وتثبيتها فى القلوب على الدعوة الدائبة والكلمة الطيبة .. وكيف أراد الاسلام أن يذكر الناس بالغاية والوسيلة فى صورة عملية فاختار يوم الجمعة ودعا الناس فيه دعوة مؤكدة الى بيوت الله .. ليجلسوا ليستمعوا لآيات تتلى وعظات تقرأ .. ويقفوا بعد ذلك فى صف الصلاة متوجهين الى قبلة واحدة لغاية واحدة هى التقرب الى الله . ثم يتساءل : " ومن الامام ؟ يقود الأمة فى المحراب ويشرح لها السنة والكتاب ويؤمها فى الصلوات ويدعوها الى الصالحات ، أهو ممثل السلطة الدينية ؟ وسادن الحقائق الروحية ؟ لا.. فليس هناك سلطتان ولا يتنازع المجتمع الاسلامى جهتان ولكنها سلطة واحدة لاتتعدد ، إنها الدولة وحدها . تشرف على شئون المجتمع فى الدنيا والدين ،

وتوجه الامة جميعا الى خيرهما معا . تقيم فيها الاحكام وتحرس الأمن والنظام ، وتؤم فى المعبد ، وتدرس فى المعهد وتوزع العدالة بالقسطاس (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، وذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . ثم يتوجه بختام كلمته الى الائمة والمصلين .. يقصد الحكام وأبناء الامة فيقول : " فيا أيها الأئمة : قدروا مهمتكم ، وقودوا هذه النفس الى الخير ، ووجهوها الى الحق والخلق والفضيلة والنور ، وانتم لها ضامنون ، فالامام ضامن والمؤذن مؤتمن ، ويا أيها المصلون : أصيغوا آذانكم وأحضروا قلبوكم ، وتدبروا فى هذه العظات الاسبوعية ، ولا تجعلوها أعمالا عادية آلية، فالعلم علمان علم فى القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ، فذلك حجة الله على ابن آدم ، ويا أيها القاعدون عن الصلاة لماذا تقعدون ؟ وهى رياضة لأرواحكم ، ونور لقلوبكم وطمأنينة لانفسكم وصلة بينكم وبين ربكم وعمل صالح فى الدنيا ومثوبة فى الآخرة ، وليس فيه بعد ذلك من تعب ولا إرهاق " .

وتؤكد الجريدة مسيرتها على نفس المنهج الذى رسمته لنفسها منذ أن صدرت فتكتب فى مقالها الافتتاحى للعدد الثامن : " صحيفتنا بعد اسبوع" فتقول : " لقد عاهدنا الله من فكرنا فى اصدار هذه الصحيفة ان تبرز الى الوجود فى ثوب من الحق الصراح والحرية المطلقة ، فى أعمدتها يتلمس القارىء الكريم أدواء المجتمع ولكل داء منها دواء ، وفى أنهرها غذاء روحى، طابعه الاسلام .. وهى بعد لا حزبية ولا طائفية .. هى منبر الرأى الحر والمعارضة النزيهة .. لانخاصم أحدا الا لوجه الحق .. من آذانا إساءة الينا ، أو هاجمنا تجنيا علينا فشعارنا معهم دائما (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم ..) .. سنحارب الاستعمار فى صوره المختلفة .. سنحارب الاستبداد فى صوره المختلفة .. سنحارب الطغيان .. سنحارب الفقر .. والجهل .. والمرض .. والخلاعة والمجون .. وفوق هذا

أو ذاك فسندعو الأمة حكومة وشعبا الى الرجوع من جديد الى آداب الاسلام وتعاليم الاسلام واحكام الاسلام " .

وعلى هذا النمط شقت جريدة " الاخوان المسلمون " طريقها خلال اثنين وثلاثين شهرا ، عاصرت فيها أحداثا أثرت تأثيرا بالغا فى مسيرة الحركة الاسلامية ، وشاركت فى دفعها للقيام برسالتها جهود مخلصة وقفت أمام التيارات المتعددة التى كانت تسعى لايقاف المد الاسلامى المتمثل فى اليقظة الاسلامية التى اجتاحت صفوف الشباب من أبناء الامة ، وتكالبت قوى الشر وتعاونت لتحيط بهذا المد الاسلامى ، وحسبوا أنهم نجحوا فى ذلك عندما استجابت حكومة مصر - وقتئذ - لشرورهم فأصدرت قرارا بحل الاخوان المسلمين ، ومن قبله أوقفت إصدار جريدة " الاخوان المسلمون " التى كانت تمثل معلما ظاهرا من معالم اليقظة الاسلامية خلال عصرنا الحديث ، والتى كان إصدارها تجربة ناجحة لم تتكرر للأسف حتى الآن .

أذكر فى يوم من أيام عام ١٩٤٨ ، وقبل ايقاف اصدار الجريدة ، أن كتب الامام مقالا بعنوان : " هذا الجنيه " يتحدث فيه عن المشاعر المادية التى طغت على الأحاسيس الروحية . وبعث لى بعنوان المقال كى يقوم المكتب الفنى بشركة الاعلانات العربية ، بتصميم عنوان المقال . فوجدنا من المناسب أن نصور جنيها ونضعه كخلفية للعنوان . فبعثنا بجنيه الى ورشة قنصوه للزنكوغراف ، وهى الورشة التى كنا نتعامل معها كشركة اعلانات . وكان الوقت ظهرا ، وهو يناسب عمل القالب المصنوع من الزنك ، حيث كان يتم على الزنك اعتمادا على ضوء الشمس .. جاءنى قنصوه منزعجا ، لأن تصوير الجنيه قد يفهم منه أنه يراد تزويره ، والبوليس يطارد ورش الزنكوغراف ليتعرف على ماتصوره ... قلت له : إذا نصور الجنيه بنصف حجمه الطبيعى ، وبذلك لايمكن لأحد أن يتهم الورشة بالتزوير ... وقد كان .

مجلة الشهاب

أصدرها الامام الشهيد فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٧ . وهى مجلة شهرية للآراء والبحوث الاسلامية ، فى حجم الكتاب ذى القطع المتوسط ، على غرار مجلة المنار التى كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا وأوكل الى الامام الشهيد إصدارها بعد وفاته .

صدر من الشهاب خمسة اعداد فقط حيث توقفت عن الصدور بسبب حل الاخوان المسلمين . وأوضح الامام فى عددها الاول اهدافها التى تتلخص فى الآتى:

١- عرض الأحكام الاسلامية عرضا مبسطا عمليا شاملا يوافق أسلوب العصر .

٢- تقديم الاسلام كنظام اجتماعى مبسط بشكل عملى شامل يوافق اسلوب العصر.

٣- الدفاع عن أحقية عقيدة (الإيمان بالله) .

٤- الانتصار للروح الانسانى : (أى دون تعصب) .

واحتوت أعداد المجلة على العديد من المقالات لأشهر الكتاب الاسلاميين ، مثل السيد محب الدين الخطيب وعبد القادر عودة ومحمد أبو زهرة ومصطفى الزرقا وعبد الوهاب خلاف وأحمد مظهر العظمة وعبد الحميد مطر وسعيد رمضان وعبد العزيز عطية وعباس العقاد وعلى الخفيف واحمد حسن الباقورى ومحمود أبو النجا ، وغيرهم من كبار المفكرين الاسلاميين على مستوى العالم العربى والاسلامى .

وتحت عنوان : " أصول الاسلام كنظام اجتماعى " ، كتب الامام الشهيد فى العدد الثانى عن " اتجاه النهضة الجديدة فى العالم الاسلامى .

كما كتب فى العدد الثالث عن : " اعلان الاخوة الانسانية والتبشير بفكرة العالمية ، وكتب فى العدد الرابع عن " السلام ومشروعية القتال فى الاسلام".

وعنيت المجلة بتلخيص الكتب ، فنشرت بعددها الأول تلخيصا لكتاب " المادية الجدلية " لجوزيف ستالين .

كان من المأمول أن تسد هذه المجلة فراغا فى محال الصحافة الاسلامية الشهرية ، ولكن إرادة الله فوق كل شىء ، فماتت المجلة وليدة بعد أن ولدت عملاقة ، وذلك بسبب حل الأخوان وإيقاف نشاطهم .

الاستقالة من الحكومة
وتولى اعلانات جريدة الاخوان

رشح عبد الله بك أباظه نفسه للانتخابات فى دائرتنا . وأثناء وقوفى أمام الدوار ، حيث كانت تجرى الانتخابات ، جاء أحد اقاربى - وكانت بينى وبينه مشاكل خاصة - وقال يستفزنى : طبعا انت حاضر الى هنا لتنتخب رئيسك ! . غاظنى قوله هذا ، فقلت له : أنا أنتخب بمحض ارادتى من أراه الأصلح للدائرة ... فما كان منه إلا أن ذهب الى عبد الله أباظة فى الوزارة ، وأبلغه أنى كنت أقوم بدعاية ضده فى الانتخابات ! وكان ذلك افتراء منه وكذب لا أساس له . غير أن عبد الله أباظة لم يطلبنى للسؤال عن صحة هذه الواقعة ، ونقلنى الى وزارة التموين ، فعينت فيها مفتشا بمكتب الشكاوى التابع للوزير .

قمت بعملى فى المكتب خير قيام ، وأجريت تحقيقات هامة ، كان بعضها مع مراقبى التموين ومفتشيه .

وكنت فى المساء أشرف على قسم الاعلانات بجريدة الاخوان المسلمين اليومية ، متطوعا بغير أجر . وكان ذلك القسم قبل اشرافى عليه ، يرأسه شخص اسمه حسن بك صبحى ، (وهو غير حسن صبحى مندوب أخبار اليوم فى ذلك الوقت) وكان جاهلا بالاعلان ، وكل مؤهلاته أنه صديق أحمد السكرى وكيل الاخوان . وكان يساعده سكرتير اسمه رضا ... ، وهو شاب طيب قليل الخبرة ، ويعمل بالقسم عدد من المندوبين المحترفين الذين يبيعون المساحات الاعلانية فى مختلف الجرائد والمجلات ، أى لم يكونوا متفرغين لجريدة الاخوان ، التى كانت تعانى من الخسائر لنقص ايرادات الاعلانات .

فجأة قررت حكومة الحزب السعدى نقلى الى قنا مفتشا للتموين هناك، تحت رئاسة مراقب التموين الذى يحمل الثانوية العامة وكان مساعدا لى فى الوزارة قبل نقله الى هناك .

تزامن ذلك مع نقل سعد الوليلى الذى كان يعمل فى وزارة الحربية ، هو الآخر الى قنا أو أسيوط . ذهبت الى الاستاذ الامام ، وأبلغته بما تم ، فقال : قدم استقالتك لهم .

كان الوقت قرب نهاية الشهر . وتقديم الاستقالة فى ذلك الوقت يعنى حرمانى أنا وسعد الوليلى من راتب ذلك الشهر . توجهنا سويا الى الدكتور ابراهيم حسن وكيل الاخوان وكان يعمل وكيلا لمستشفى الحميات ، وطلبنا منه دخول المستشفى ، فأدخلنا .

فى البدء أرادوا أن يحلقوا لنا رؤوسنا ، فاستنجدنا بالدكتور ابراهيم الذى أمر بمنع الحلاقة ، ثم بقينا ٢٤ ساعة تحت الملاحظة بدون طعام ، ثم بدؤوا يطعموننا طعاما خفيفا الى أن تتبين لهم حقيقة مرضنا. وبعد ثلاثة أيام أفرجوا عنا حيث تبينوا أننا أصحاء، بالرغم من أننا كنا نشكو من الدوسنطاريا.

أعد الاستاذ عبد الحكيم عابدين استقالتينا ، ونشرتا فى جريدة الاخوان المسلمين . وفيها هجوم على الحكومة وسياستها تجاه الاخوان .

تفرغت لادارة اعلانات الجريدة ، فعينت سكرتيرا من الاخوانا هو حسام الدين لطفى ، الذى ظل معى حتى حل الاخوان فى ديسمبر ١٩٤٨ ، كذلك عينت عددا من المندوبين من الاخوان ، دربتهم بنفسى ، حتى صاروا من أصلح المندوبين وتفوقوا على المندوبين اليهود والأجانب . كانوا خمسة : على الباشا ومحمد كامل عبد الستار ، وفتحى ... وآخران لا أذكر اسميهما، ولقد كون كل منهم ثروة صغيرة من العمولة التى كان يحصل عليها الى جانب مرتبه ، كانت له عونا فى المحنة بعد حل الجماعة ومصادرة صحفها وممتلكاتها .

وبدأت اعلانات الجريدة تنتعش . ولم أكن أذهب الى منزلى مساء إلا بعد أن يتم طبع الجريدة وأطمئن الى نشر جميع الاعلانات بها وفى الاماكن المتفق عليها مع العملاء .

وفى ليلة عيد الأضحى ، وكنا نطبع الجريدة فى مطابع البلاغ ، مر محمود عبد القادر حمزة مدير إدارة البلاغ (وهو ابن عبد القادر حمزة باشا صاحب الجريدة) ، ورأى عدد الجريدة مليئا بالاعلانات . دهش جدا ... وقال من هو مدير اعلانات الجريدة ؟ قلت : أنا . قال : إذا وافقت على أن تترك جريدة الاخوان وتأتى لتعمل معنا فى البلاغ سأعطيك مائة جنيه شهريا ! ... مسكين ! لم يكن يعلم أن أصحاب الرسالات لاتهمهم الماديات ، حيث كنت أتقاضى ٢٠ جنيها شهريا من الجريدة قررها لى الامام الشهيد بنفسه ، بدلا من مدير الاعلانات السابق الذى كان يتقاضى ٥٠ جنيها .

شكرث محمود عبد القادر حمزة على ثقته واعتذرت له .

كان تعيينى مديرا لاعلانات جريدة الاخوان ، مقدمة للتفكير فى تأسيس شركة الاعلانات العربية بعد ذلك بعدة شهور .

الخلاف مع الوفد

فى أواخر عام ١٩٤٦ وخلال عام ١٩٤٧ اشتد الخلاف بين الوفد والاخوان المسلمين . لم يكن هناك سبب ظاهر لهذا الخلاف ، سوى أن الاخوان ذوو تفكير مستقل عن الوفد ، وتوجهاتهم السياسية وطنية بحتة ولا علاقة لها بالحزبية بل بمصلحة البلاد فحسب . فهم يؤيدون الحاكم مادام ملتزما بمصالح البلاد حتى ولو كان عدوا سياسيا للوفد .

تنامى عدد أعضاء الاخوان المسلمين فبلغوا ٦٠٠ الف ، وبدأت السفارة البريطانية ترصد حركاتهم ، غير أن الرسميين البريطانيين كانوا منصفين فلم يتهموا الاخوان بالعمالة للشيوعية أو لجهات أخرى فاشية . فقد ورد فى تقرير للسفير البريطانى مرفوع الى وزارة الخارجية البريطانية مايلى : "لاتتعرض الجماعة حاليا لنفوذ خارجى ، سواء شيوعيا أو فاشيا ، ولكنها تمثل أيدلوجية ذات طبيعة سياسية دينية تقتضى بالضرورة تصنيفها كمنظمة سياسية متطرفة ... هى جماعة مصرية خالصة ، ولكن نجاحها الباهر فى البلاد فى السنوات الاخيرة شجع قادتها على مد أنشطتها الى الدول الاسلامية المجاورة وخاصة فلسطين وسوريا والسودان " (انظر محسن محمد : من قتل حسن البنا - صفحة ١٨٨ و ١٨٩) .

أحس الوفد بقوة الاخوان ، وأنهم سحبوا البساط الشعبى الذى يتربع عليه من تحت رجليه . فبدأت جرائد الوفد : صوت الأمة والبلاغ والجمهور

والنداء ، هجوما عنيفا على الاخوان ، اتسم بقلة الأدب والخروج على الأعراف والأخلاق . ومن أمثلة ذلك ماورد فى صوت الأمة لسان حزب الوفد يوم ٩ مايو ١٩٤٧ حيث تقول تحت عنوان : " الشيخ راسبوتين ... يفقد عقله وأدبه ... " : استطاع هذا الشيخ الملتاث أن يكتب خطابا الى رفعة زعيم الوادى ويحشوه بالمطاعن والسباب ، ويصور فيه نفسه وما فطر عليه من خلق ... يامولانا الشيخ : أنت أحقر من أن تكتب الى وفدى عادى . فما بالك بهذه الجرأة المجنونة التى دفعتك بالكتابة الى زعيم الوادى والدين وانفض من جماعتك كل غيور على كرامة الاسلام والمسلمين ؟ من أنت يامدرس الخط حتى تجعل من نفسك شيئا فتتكلم الى رجل بينك وبينه مابين الأرض والسماء .. ؟ ... هل بعد تذبذبك وحقارة تصرفك ضد اخوانك وخيانتك لمبادىء الاسلام الشريف ... أبعد هذا أيها المستعبد لشهواته ونزواته الوضيعة تجد من نفسك الجرأة على أن تقوم بدور الممثل التافه فى دور المصلح الهادى ؟ ... الخ من ألفاظ السباب الخارج على كل خلق ودين .

أيدرى القارىء لماذا هذا السفالة والسباب ؟ لأن الامام البنا وجه خطابا مفتوحا لمصطفى النحاس على صدر جريدة الاخوان المسلمين اليومية ، يسأله أن يتضامن مع الاخوان فى طلب تطبيق الشريعة الاسلامية وإغلاق المواخير ودور القمار . وفى آخر المقال وعد الامام مصطفى النحاس بأنه إذا فعل ذلك فإن الامام سيسلمه جموع الاخوان أنصارا له .

ازدادت حملة الصحف الوفدية عنفا . وأورد الاستاذ محسن محمد فى كتابه : من قتل حسن البنا فى الصفحات ١٩٤و١٩٥ ، نماذج مما قالته تلك الصحف فى مايو ويونية ١٩٤٧ ، ومن ذلك :

* يمعن الشيخ فى التضليل فيزعم أنه ليس حزبا سياسيا ، اذن ماذا انت

وجماعتك ياهذا ؟ انت تزاول نوعا من السياسة هو أرخص وأقذر الأنواع .

* انحسر آخر قناع عن وجه الشيخ حسن البنا فإذا به أقبح سياسى لعب على مسرح السياسة فى الجيل الحاضر ... ان العفن والقاذورات والألفاظ النابية بل والجرائم المنكرة مصدرها وكر الاخوان .
* أما من الذى أيقظ الفتنة فهو أنت أيها " المرشد " المضلل .
* شيخ متآمر .. متستر خلف الدين ..
* أيها الشيخ الماجن لقد افصحت عن حقيقة أمرك ، بعبثك ، وخداعك، فانكشف سترك ووضحت جنايتك السافرة .
* الى زعيم عصابة الاخوان صليتم تظاهرا وتصدقتم تفاخرا ، واتخذتم هيئة الصلاح لتتسلطوا على عقول البسطاء .
* ان جماعة الاخوان المسلمين فضيحة قومية للمصريين فى العصر الحاضر.
* اصبحت ذمة الشيخ مطاطة .. الشيخ المصلى العارف بالله يكذب علنا فى جريدته .

* شيخ سوء ينحدر هابطا كلما انتفخ جيبا ...

فهو يتعمق فى الاسفاف كلما افعم جيبه بالمال . أجير لايكتب من وحى قلمه . وانما يدافع عن انتفاخ جيبه . ومقياس الصالح من الطالح عنده هو مقدار ماتمتد له به الأيدى من نفحات وعطايا فان قرأت فجورا وقحة فاعلم أنه قد قبض .

* الشيخ الأفاك . الشيخ الأشر .
* الاسلام ليس لحية ، ولاعمامة ، ولا سفسطة بل هو تعاليم نبيلة رفيعة تطبع المؤمنين بطابع الشرف والاخلاق ، والسمو وعدم الاسفاف ، لا الجرى وراء المال الحرام باستخدام التهريج ، والدجل والضحك على الذقون .. !

وهكذا بدأ الصراع بين الوفد والاخوان ، وبخاصة بعد أن أيد الاخوان محمود فهمى النقراشى فى عرضه لقضية مصر على الأمم المتحدة ، حيث طالب باسم مصر بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاما وانهاء النظام الادارى للسودان .

أعترض مصطفى النحاس على تمثيل النقراشى لمصر باعتباره ليس زعيما لها ، غير أن الامام البنا أبرق الى مجلس الأمن مساندا النقراشى ومؤيدا مطلب مصر فى الجلاء ووحدة وادى النيل ، مستنكرا برقية النحاس لمجلس الأمن وخطابه المرسل اليه واصفا إياه بأنه سقطة سياسية ومناورة حزبية لاتلقى بالا الى الاعتبارات الوطنية ، ثم قال إن التوكيل الذى منحته الامة للوفد المصرى عام ١٩١٨ أصبح باطلا ، وأن الوفد لم يعد هو الأمة ، فقد تخللت صفوفه فى الايام الاخيرة طوائف من ذوى المبادىء الهدامة الذين يدينون بالشيوعية .

ذلك لأن الشيوعيين تضافروا مع الوفد فى حملته ضد الاخوان ، حيث لم تكن هناك قوة وطنية تعوق مسيرتهم سوى الاخوان المسلمين الذين يقاومون الحادهم ودعوتهم الى الاباحية .

طلب الامام فى مقال له بجريدة الاخوان من مصطفى النحاس أن يطهر حزبه من الشيوعيين ، ويلوم سياسة الوفد التى تعتبر الانجليز أعداء الاسلام والامة مادام الوفد خارج الحكم ، فإذا تولى الحكم نسى ماكان يدعو اليه وصار الانجليز هم الحلفاء المخلصون .

إن كل ماقالته جريدة الاخوان ردا على جرائد الوفد كان كالآتى :

" صحف الوفد تفيض إباحية وفجورا ، وعلى الوفديين أن يجددوا

إسلامهم ، فهم فى تصرفاتهم خصم للاسلام وحرب على تقاليده وتشريعه ، وأن النحاس بعد ٤ فبراير صار متعاونا مع الانجليز تعاونا كاملا . ... ويخاف الوفد على زعامته الشعبية ... وزعماؤه يدجلون على الشعب ويغررون بالسذج البسطاء . وصحف الوفد تلغ فى أعراض الأبرياء بلا تورع أو حياء .

رد مهذب لاسباب فيه ولا شتائم مقذعة مثلما ورد فى جرائد الوفد من سفالات .

بدأ الوفد بعد ذلك حملة فى صحفه تحمل استقالات جماعية من الاخوان موقعوها أشخاص وهميون . ووردت للمركز العام للاخوان المسلمين برقيات من الشعب التى ورد ذكرها فى الاستقالات الوهمية ، تندد بسياسة الوفد وتفضح أكاذيب صحفه .

وعلى الأثر بدأ عدد من أعضاء الوفد - ممن يتسمون بالخلق القويم - الاستقالة من لجان الوفد ... هكذا كانت حرب الاستقالات .

فكر الامام حسن البنا فيما ينبغى فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالاتهم . وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد ، وكلفنى بتنفيذها.

تلك الفكرة هى إصدار مجلة مستقلة تنبرى للرد على جرائد الوفد بذات الاسلوب .

وصاحب الحملة الوفدية ضد الاخوان ، حربا أخرى بتحريض السفارة البريطانية ، حيث دفعت الصحف الأخرى التى كانت لا لون لها ، إلى اعلان الحرب على الاخوان .

لم يكن المقصود بمحاربة الاخوان هو مقاومة جماعة دينية كباقى

الجماعات كالشبان المسلمين والعروة الوثقى والجمعية الخيرية الاسلامية وأنصار السنة والجمعية الشرعية والعروة الوثقى ... إنما كان المستهدف هو الاسلام ، لأنهم وجدوا خطرا كبيرا من وجود جماعة مسلمة صحيحة الاسلام لا تنظر الى الاسلام باعتباره عبادة فحسب ، بل تعتبر الاسلام دينا ودولة ، ويحتمل أن يعيد ذلك مجد الاسلام الأول قبل أن يصاب بالفتن والفرقة التى قطعت أوصاله.

والعجيب أن التاريخ يعيد نفسه وقت تأليف هذا الكتاب ، فذات التهم والادعاءات والأكاذيب توجه للاسلاميين الذين يحاربون فى كافة أنحاء العالم الاسلامى ، وتلصق بهم تهم التطرف والعنف ، وهم من ذلك أبرياء ، لأنهم يفهمون الاسلام حق فهمه ويدعون اليه بالحكمة والموعظة الحسنة .

مجلة الكشكول الجديد

مجلة الكشكول كان يصدرها سليمان فوزى فى الثلاثينات معارضة لسياسة الوفد بأسلوب فكه يتسم بالسخرية والاستهزاء .

وكان قانون المطبوعات المصرى يشترط فى صاحب امتياز أية صحيفة: جريدة أو مجلة ، أن يكون حاملا لشهادة عالية . فاستدعانى الامام الى مكتبه وشرح لى الفكرة موضحا أنه لاسبيل للرد على سباب الوفد الا بمثله ، بأسلوب رادع بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الاخوان ، وعلى ذلك ينبغى أن تنأى جريدة الاخوان اليومية عن هذا الاسلوب فهى جريدة للتاريخ ، وسيكتب عنها المؤرخون فيما بعد ، ولا يجدر بها أن تنزل عن المستوى الرفيع الذى احتلته فى نفوس الناس .

جمعنى الامام مع الاخ الاستاذ امين اسماعيل ، وجلسنا سويا نتداول فى الامر. واخترنا هيئة التحرير من كبار الكتاب الساخرين فى ذلك الوقت :

عبد الله حبيب ليكتب باب : مجلس نوابهم فى المنام .

محمد مصطفى حمام ليكتب باب : البلاء (بدلا من جريد البلاغ)

حسين ثابت ليكتب باب : تحاسيات ، ويتولى الاشراف على الطباعة .

محمود يوسف (صاحب شموع تحترق فى جريدة المصرى بعد ذلك)
ليكتب : اخبارا وفدية والأمثال السايرة .

طوغان للرسم الكاريكاتورى (أطال الله عمره)

عبد الله نوار (عضو نقابة الصحفيين) ويتولى سكرتارية التحرير .

محمد على ابو طالب . (عضو نقابة الصحفيين وكان سعديا) لرئاسة التحرير حيث كان القانون يشترط أن يكون رئيس التحرير عضوا بالنقابة .

أمين اسماعيل مديرا للتحرير

ذلك الى جانب آخرين كانوا يعملون بالقطعة ، وكهم ممن كانوا يكرهون الوفد وجرائده .

صدر العدد الاول من الكشكول الجديد يوم الاثنين ٨ سبتمبر ١٩٤٧ فى حجم المجلة (ربع الجريدة) واستمر على هذا الشكل الى يوم الاثنين ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ ، ثم غيرنا الشكل الى حجم التابلويد (نصف الجريدة) لتخفيض نفقات الطباعة بالألوان ، واستمر الصدور الى العدد ٥٩ الصادر فى ٢٧ نوفمبر ١٩٤٨ . أى قبل حل الاخوان بأيام .

كانت المجلة وهى فى حجم ربع الجريدة تحتوى على أبواب فكهة ساخرة أشهرها :

- علی الأرغول : أغانی شعبية ساخرة .
- مجلس نوابهم فی المنام : تخيل لمجلس النواب الوفدی وماينطق به الأعضاء من تفاهات ومناقشات سطحية ومايتخللها من معارك تافهة .
- الامثال السايرة : أمثال وشعر ذی طابع نقدی ساخر .
- الشعر الخالد : شعر باللغة العامية ذی طابع فكاهی ينقد تنظيمات الوفد وزعماءه .
- نحاسيات : أخبار الزعيم : بعضها حقيقی وبعضها مفتعل أو متصور .

ذلك غير الأبواب الأخرى الثابتة كباب الرياضة ، وبرامج الاذاعة ، والمقالات الوطنية ، ومايتعلق بقضية فلسطين .

ونجد على الصفحات التالية نماذج مما نشر فی العدد السادس عشر من المجلة الصادر فی ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ أی قبل حل الاخوان بعام تقريبا .

استمرت الحرب سجالا بين الاخوان والوفد بسبب تأثير الاخوان على الشعب المصری واستجابته لهم وانصرافه عن الوفد .

انتقل الوفد بعد ذلك الى مرحلة جديدة من الصدام ، فأثناء زيارة الامام لبورسعيد فی ٦ يوليو ١٩٤٧ ، فجر الوفديون قنبلة كادت تصيبه ، وهاجم الشباب الوفدی دار الاخوان مساء وهی مغلقة واشعلوا فيها النيران .

وفی منفلوط حاول الوفديون حرق دار الاخوان المسلمين ، وأطلقوا النار ليلا على رئيس الاخوان هناك وهو الاستاذ محمد حامد ابو النصر ، (المرشد الرابع للاخوان المسلمين) ، ولكن رحمة الله كانت اوسع من مكرهم فلم يصبه شیء ، كما اعتدوا على الاخوان فی مؤتمرهم الذی عقد فی مسجد ابو النصر فی منفلوط .

تنبه الاخوان فى باقى الشعب المنتشرة فى انحاء مصر الى المؤامرة الوفدية ، وأجهضوها قبل ان تقوم لها قائمة .

وقامت مجلة الكشكول الجديد بمهمتها فى الرد على أكاذيب صحف الوفد ، والتعريف بتاريخ الزعماء المحترفين للسياسة والممالئين للاستعمار والمتصارعين على الحكم ، بأسلوبها الساخر المتميز .

وظلت مجلة الكشكول الجديد على العهد ، يقرأها الاخوان بمتعة فائقة لما فيها من متنفس للغيظ المكظوم فى الصدور ، الى أن دس عبد الله نوار سكرتير تحرير المجلة ، وهو صحفى محترف لاعلاقة له بالاخوان ، صورة رجل يقبل امرأة ، فى احدى صفحات المجلة ... فثار عدد كبير من الاخوان عليها ... حاولت أن أفهم كيف حدث ذلك ، فلم أستطع إلا أن استنتج أنها كانت مكيدة مدبرة ، أساسها وفدى .

وأمام غضب الاخوان رأيت والاستاذ امين اسماعيل أن نتقدم باستقالتنا من الهيئة التأسيسية للاخوان ، حتى لا نحرج الجماعة ونسىء الى تاريخها ، ونتحمل نحن عبء مايقع من أخطاء أو إسفاف فى الاسلوب ، الذى كان يناسب ظروف ذلك الوقت .

وفيما يلى نص الاستقالة المرفوع للمرشد العام : " .. وبعد ، فقد انتوينا إصدار مجلة " الكشكول الجديد " بروح قد لاتتفق مع أسلوب الدعوة فى محاربة الحزبية ، وحتى نتحمل تبعة عملنا وحدنا أمام الله وأمام أنفسنا وأمام الرأى العام ، رأينا أن نرفع الى فضيلتكم إستقالتنا من الهيئة وتبعاتها وما يترتب على عضويتها راجين التفضل بقبولها مشكورين . والسلام عليك

ورحمة الله وبركاته " . ونشر نص هذه الاستقالة بالعدد الرابع من مجلة الكشكول الجديد الصادر فى ٢٩ اغسطس ١٩٤٧ .

وحمل الينا البريد كثيرا من رسائل أصدقائنا من الاخوان المسلمين ، يعيبون علينا الخروج عن بعض الحدود التى رسمها الاخوان لانفسهم فى محاربة الحزبية . كما علمنا أن رسائل كثيرة بهذا المعنى أرسلت الى المركز العام للاخوان المسلمين ، وذلك بناء على مايعلمه حضرات المرسلين من صلتنا الوثيقة بالاخوان ودعوتهم . فكتبنا نقول : ولهذا نرى لزاما علينا ان نكاشف حضرات هؤلاء الكاتبين وغيرهم من القراء الكرام بحقيقة موقفنا من الاخوان المسلمين ، وموقفهم منا، وضعا للأمور فى نصابها . إننا نشأنا فى دعوة الكريمة " دعوة الاخوان " وآمنّا بأهدافها السامية إيمانا لايتطرق اليه شك ولا ريب ، وهل هناك دعوة أسمى من الدعوة الى الله ورسله وانبيائه ؟ وهل هناك هداية أحكم وأقوم وأصلح للناس من هداية السماء للأرض ؟ . كما أننا نذكر دائما فضل هذه الدعوة الكريمة ، وقيادتها الفاضلة ، فى إرشادنا وتوجيهنا الوجهة القويمة فى عواصف الحياة الهوجاء . ونحن نتفق مع الاخوان المسلمين - كما سمعنا منهم أفرادا وهيئات - على أن الحزبية العمياء - وكل الحزبية فى مصر عمياء مع الاسف - هى السبب الاول والأكبر ، فى كل ماحل ويحل فى هذا البلد المنكوب بهذا الداء ، من فساد فى الداخل والخارج. ـ فالحزبية هى التى تفتح الثغرات التى ينفذ فيها خصومنا الانجليز الى كياننا الداخلى ، لئلا نقف امام مطامعهم وعنتهم وتدخلهم ، كتلة واحدة . ويشتغل بعضنا بحرب بعض وننسى العدو الاصلى ، فتفلت الفرصة .. ويضيع الوقت .. ويفوز الخصم .. ونظل من مطالبنا وحقوقنا حيث نحن إن لم نتقهقر الى الوراء - وكل ذلك بفضل الحزبية العمياء .. والحزبية هى التى قتلت الاخلاق ، وقضت على الفضيلة ، واوجدت النفعية وعلمت الشعب النفاق والكذب والرشوة ، وأشاعت فى الادارة المحسوبية والمحاباة والظلم ، وفرقت

الاسر والعائلات ، وأخرت كل مشروع إصلاحى نافع ، ومزقت مناهج الاصلاح كل ممزق . ولهذا كان واجبا على المصلحين ان يبادروا بمحاربة الحزبية وأن يبذلوا للقضاء عليها كل الجهود. نحن نقول هذا الكلام ، ويقوله الاخوان المسلمون معنا . ولكننا اختلفنا فى الاسلوب الذى تكون به هذه الحرب .. فالاخوان يرون ان أفضل الوسائل لقتل الحزبية تقوية الاخلاق ، وبناء شعب جديد على الفضيلة والاسلام ، ولا يريدون أن يشتبكوا مع هذه الاحزاب فى حرب ينتصر فيها الحق الواضح ، وينهزم الباطل الفاشل ، ولا يحبون أن ينزلوا الى ميدان التشهير بمخازى هذه الاحزاب ومساوئها حتى تحذرها الأمة ، وينفض عنه من بقى معها من الناس إن كان بقى معها أحد، غير النفعيين الذين يعيشون على أشلاء المصلحة العامة . ونحن نرى أن هذه الطريقة طويلة وأن موجة الفساد عاتية ، وأنه لابد من أن ينضم الى هذا الاسلوب الانشائى البناء ، الهدم والتحطيم ، والفضح ، والكشف العام عن مثالب هذه الاحزاب ، ودجلها ، وتهويلها وتهريجها وتضليلها للرأى العام - ونعتقد أن هذا هو أسلوب القرآن الكريم الذى يتخذه الاخوان دستورا لهم والذى يجب أن يكون دستور العالم لا دستور الاخوان وحدهم . ومن هنا افترقنا فى الرأى والاسلوب لا فى الايمان والعقيدة والغاية، ولما ضقنا ذرعا بصبر الاخوان وطول أناتهم ، لم نجد بدا من أن نصدر هذه المجلة اللاحزبية بهذا الأسلوب الذى يراه القراء ، والذى نعتقد أنه يرضى كل من ضاق ذرعا بمفاسد الأحزاب، وسوء أثرها في هذا الوطن . وحتى نتحمل وحدنا تبعة عملنا هذا، وحتى نكون منطقيين مع أنفسنا ، ومع الحقيقة - أرسلنا الى الاستاذ المرشد العام للاخوان المسلمين (وذكرنا خطاب الاستقالة السابق الاشارة اليه) . "

وقد رد الامام على هذه الاستقالة ، برسالة تحت عنون : " فى سبيل بناء جديد قائلا : " فقد تلقيت استقالتكما من الاخوان المسلمين ، وقرأت ماكتبتماه عن ذلك فى مجلة الكشكول فى عددها وعرضتها على الهيئة

التأسيسية للاخوان فى اجتماعها الماضى فوافقت عليها شاكرة لكما جهودكما الصادقة فى خدمة الدعوة الكريمة سابقا وحسن استعدادكما لخدمتها لاحقا . وجميل ثنائكما عليها واعترافكما بماتقدم للشباب من خير وحسن توجيه ، فأبلغكما ذلك سائلا الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا لخير دينه والعمل على إعلاء كلمته وإرشاد الناس الى سبيله أمين . ولقد تابعت بعد ذلك مايكتب الكشكول فأردت أن أتقدم لكما بمخلص النصيحة ، نصيحة من لايزال وسيظل يشعر لكما بعاطفة الأخوة الكاملة التى ربط الله بها قلوب عباده المؤمنين فى محكم كتابه إذ يقول " إنما المؤمنون إخوة " . ذلك أنى وإن وافقتكما موافقة تامة فى وجوب محاربة الحزبية والاستعمار ومقاومة المبادىء الهدامة الفاسدة كائنة ماكانت ، فإنى لازلت أخالفكما فى الاسلوب على الصورة التى رأيتها فى الكشكول الجديد " . ولهذا أرجو أن تسلكوا به مسلكا آخر نحو بناء جديد . حاربوا الحزبية بصورتها البغيضة التى ظهرت بها فى مصر فأحرجت الصدور وجرحت الابرياء ونفرت القلوب وقززت النفوس ، وأوهنت القوى وأفسدت الاخلاق والضمائر ، وفعلت بالمجتمع الأفاعيل . وحاربوا الاستعمار الغاشم الظالم الماكر الخادع الذى سلب حريتنا ، وقيد استقلالنا وتدخل فى كل شؤوننا ، وحرمنا خيرات بلادنا وتراث كدنا وكفاحنا ، واستأثر دوننا بكل شىء ومهد فى وطننا لكل دخيل ، وكان فى حياتنا الاجتماعية رأس كل خطيئة . وحاربوا هذه المبادىء الهدامة التى لاتتكشف فى حقائقها وأهدافها ومراميها الا عن الالحاد والكفران والاباحية والاثم والعصيان والتمكين للمستعمر القديم أو التمهيد للمتحفز الجديد ، كأنما كتب على هذه الأمة ألا تنتقل من سيادة إلا الى سيادة وألا تتذوق طعم الحرية أبدا على أيدى هؤلاء الخبثاء . ويأبى الله ذلك والمؤمنون .

حاربوا كل هذا واكشفوا عن مخازيه للناس وحذروهم إياه ، ولقد كان سفيان الثورى يقول لأصحابه إذا اجتمع اليهم : تعالوا نذم ساعة فى سبيل

الله. لاتجالسوا فلانا فإنه كذّاب ، ولا تأخذوا عن فلان فإنه يضع الحديث ، ولا تثقوا بفلان فإنه متهم فى دينه ، أو رأيه وهكذا . ولكن تحروا فى ذلك كلمة الحق الذى لايفترى ولا يعتدى ولايكذب - والجد - الذى يحفظ على النفوس قوتها فلا تتميع معه الأخلاق ولا تموت بكثرته القلوب ، ولا يذهب برهبته العدوان ولا يضعف مشاعر السخط وهى عدّة المجاهدين ، ولا ينافى ذلك ورود المزحة القاسية والنكتة اللاّذعة ، ورب واحدة من هذه أبلغ من قول كثير . ثم خصصوا أبوابا لهذا ، واحرصوا على أن يظهر هذا اللون واضحا وتجنبوا الانحياز الى جهة فإنكم تحاربون مذاهب وآراء وأعمالا على يد كائن من كان ، ولا تكشفوا عما ستر الله من النقائص الشخصية ، فإن الاذاعة عن ذلك فى ذاتها إثم من الآثام ما لم يتعلق بذلك حق للمجتمع أو مصلحة تعود على الناس ، والعفة عن الولوغ فى الاعراض أدب الاسلام ، ولا أجمل من التورع والاحتشام . كونوا كذلك واطبعوا مجلتكم بهذا الطبع وانهجوا بها نهجا جديدا ، " ونحو بناء جديد " وأعتقد أنكم بذلك ستقدمون الى الناس غذاء شهيا سائغا لاتعب معه ولا ضرر فيه إن شاء الله . وحينئذ يكون لمثلى على ضعفه وضيق وقته ألا يحرم نفسه المساهمة معكما فى هذا الجهاد والله أسأل ولكما كمال الهداية ودوام التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

ولقد استجبنا لتوجيهات الامام ، وظهر ذلك جليا اعتبارا من العدد السابع عشر الصادر فى ١٢ يناير ١٩٤٨ ، فألغينا بعض أبواب النقد القاسى والساخر ، واتخذ النقد الذى تبديه المجلة اتجاها آخر يتمشى مع توجيهات الامام . أضفنا " صحيفة الهدم والبناء " لااستعمار ولا شيوعية ولا رأسمالية ولا صهيونية ولا حزبية" ، وباب : " خلف المسرح السياسى " ، وباب : " الغرب والشرق " ، وباب : " أسرار " ، وباب : " خطاب مفتوح " (موجه الى احدى الشخصيات العامة موضحا مالها وماعليها ".

ذلك فضلا عن أبواب أخرى خاصة بالمرأة ، والرياضة ، والطلاب

(بين الروضة والجامعة) ، والعمال (صوت الشعب) ، كذلك بدأنا منذ ٢٢ مايو ١٩٤٨ ننشر " حديث الجمعة " للامام الشهيد .

وقد كتب فى المجلة - بحجمها الجديد - عدد من كتاب الاخوان ، منهم :

احمد سعيد - احمد نار - احمد نجيب - امين اسماعيل - جلال احمد - حسن البنا - حسين ثابت - زغلول السيد - زيد الشريف - سعد ابراهيم سعد - صالح الجنايني - صالح عشماوى - طعيمه عبد الحميد الجرف - عبد الحليم الوشاحى - عبد الحميد ابراهيم عبد العزيز - عبد العزيز شرف - عبد العزيز على - عبد الملك عودة - عفيف بهنسى - علوى عساف - عوض المنشاوى - كامل الشافعى - محمد بكير - محمد شاهين حمزة - محمد عبد العزيز احمد - محمد الغزالى - محمد فرغلى - محمد لبيب البوهى - محمد لبيب الترجمان - محمود عساف - مصطفى مؤمن .

شكر الله لهم جهدهم ، فلم يكونوا يتقاضون أى أجر عما يكتبون .

أما عن سبب توقف المجلة عن الصدور ، فهو أن المسيو حاييم رئيس مجلس إدارة شركة الاعلانات الشرقية (المصرية فيما بعد) اتصل بى ، وحذرنى من أنى لو استمررت فى الكتابة ضد اليهود ، فإن اليهود المصريين سيمتنعون عن الاعلان فى المجلة ... وقد حدث ذلك .

والمجلة لايمكن بأية حال أن تعتمد على ايرادات التوزيع ، حيث أن ايرادات الاعلان هى المصدر الرئيسى للصحف بأنواعها ، ولايمكن تغطية نفقات الصحيفة إلا إذا كان ٤٠٪ من مساحتها مخصص للاعلانات المدفوعة الثمن .

بيت الفنانين

ورد الى الاستاذ الامام تقرير من اخوان شعبة السيدة عائشة بأن بعضا من محررى الكشكول الجديد يتعاطون الحشيش فى بيت من بيوت الفنانين بحى القلعة . فأحال الى هذا التقرير بصفتى أمينا للمعلومات وكذلك بصفتى مسئولا عن الكشكول الجديد .

كنت قد أعددت غرفة ضمن إدارة شركة الاعلانات العربية ، لكى يجتمع فيها محررو الكشكول الجديد ويضعوا فيها أوراقهم ويباشروا منها نشاطهم . أما إدارة المجلة فكنت أتولاها بنفسى ، وحساباتها يقيدها الأخ سعد تاج الدين رئيس حسابات شركة الاعلانات وفرا للنفقات .

طلب المحررون ورئيس التحرير وسكرتيره ومدير التحرير الاجتماع بى . وفى الاجتماع أوضحوا أن جو العمل بالشركة لايساعدهم على التفكير الابتكارى الذى هو أساس المادة التحريرية للمجلة ، وأنهم بحثوا عن شقة فوجدوا بغيتهم فى بيوت الفنانين بالقلعة ، حيث أنها معدة إعدادا يبعث على الراحة النفسية ويثير الخيال .

ذهبت الى العنوان الذى ذكروه ، وعاينت البيت ، فكان من البيوت المبينة على الطراز المملوكى من طابقين يربطهما سلم من الرخام ، وفى الدور السفلى مطبخ ومنافع عامة ، وتحت السلم زير كبير لزوم الديكور ، وفى الدور الاول قاعة للجلوس بنوافذ من الزجاج الملون ، وبها مصاطب من الرخام مفروش عليها سجاجيد عجمية ثمينة ، وفى الدور الثانى غرفة النوم ، وبها مصطبة كبيرة عليها سجادة عجمية ، ونوافذ الغرفة من الزجاج المعشق الملون، وعلى جدرانها زينة من ريش الطاووس ، والى جوار الغرفة حمام تركى ذو سقف

من البلور وبه مغطس من الرخام وقاعدة وحوض من الرخام وأرضيته رخام ملون .

كان إيجار هذا المنزل عشرة جنيهات ، في وقت كانت الشقق العادية المكونة من ٤ غرف يتراح إيجارها مابين ٨٠ و ١٢٠ قرشا . وافقت على مضض على استئجار البيت ، وسلمت المفتاح اليهم ، وكان مفتاحا خشبيا حيث كان القفل عبارة عن ضبة خشبية مما هو مستخدم فى ذلك الوقت فى بوابات البيوت فى الأرياف .

عندما تسلمت التقرير الذى أحاله لى الاستاذ الامام ، كان الى جوارى علوى أخى ، وكان فى ذلك الوقت محاميا حديثا . اصطحبته معى وذهبنا سيرا على الأقدام الى ذلك البيت . طرقت الباب فسمعت من يقول : مين ؟ . فلم أرد . فأعاد سؤاله : مين ؟ فلم أرد . فنزل السلم وأنا أسمع دبيبه عليه ، وفتح الباب . فلما رآنا صرخ بأعلى صوته : " كبسة يا أولاد ال ...."

صعدت الى أعلى فوجدت الغرفة عابقة بدخان الحشيش . أصبت بذهول وأنا أرى ماأمامى فى الغرفة :

- أحد المحررين جالسا على طرف المصطبة فاتحا فخذيه ، وبينهما امرأة جالسة على طرف المصطبة .
- برميل صغير مركب على قوائم وله صنبور ينقط خمرا .
- منقد عليه فحم مطفأ والدخان يتصاعد منه .

نطق الجالس على المصطبة بألفاظ متلعثمة من السكر : دى قريبتى، مشيرا الى المرأة . ضبطت أعصابى بشدة فهذا موقف يتطلب ضبط الاعصاب لتلافى أية ردود فعل ضارة ، وكنت أبرمت فى نفسى أمرا ، وتكلمت بهدوء وقلت : جئت أطمئن على مواد المجلة فاليوم الجمعة وموعد الصدور الاثنين

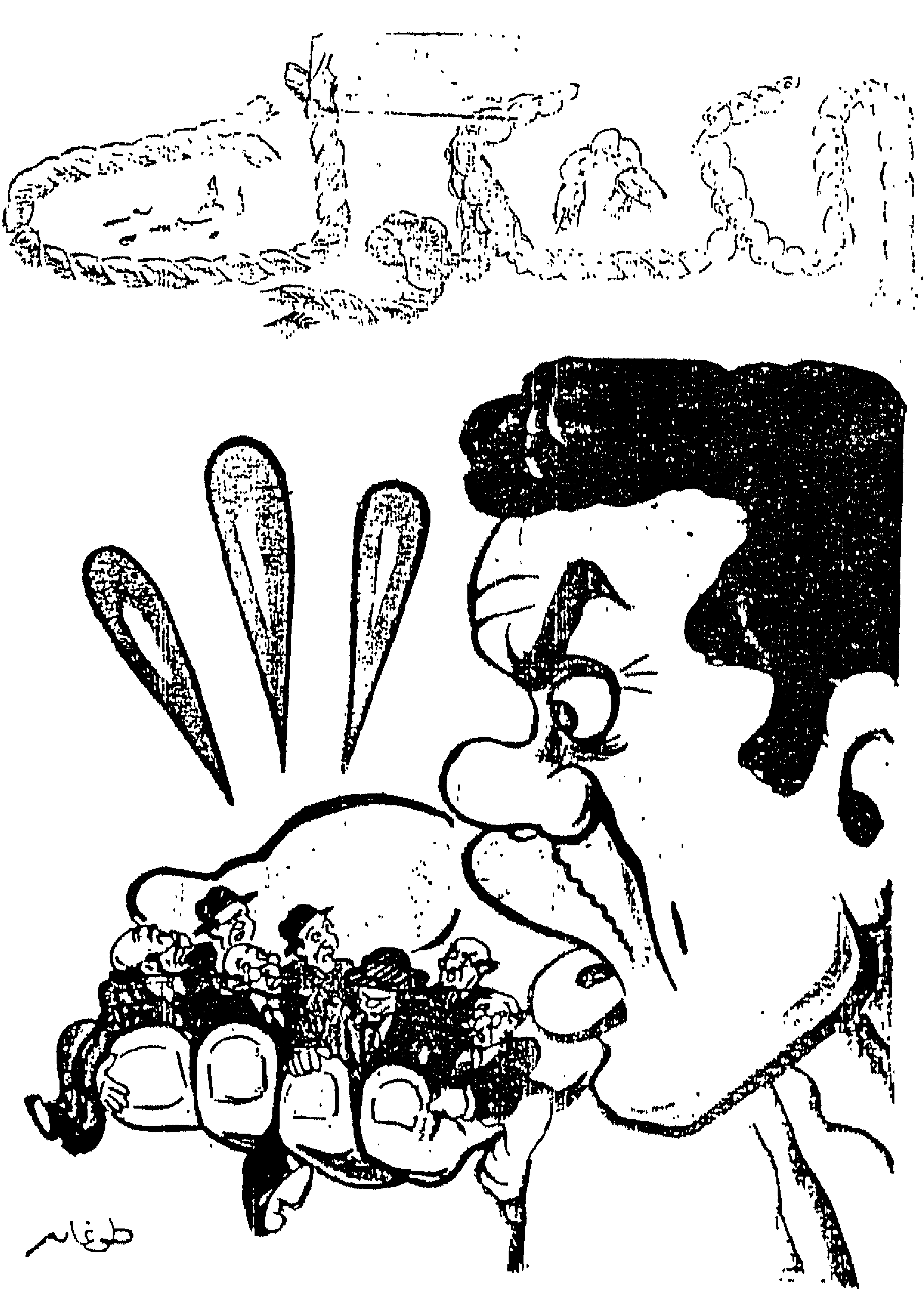
والطباعة تستغرق يومين . فقالوا : اطمئن ! إن كل شيء جاهز .

غادرتهم وتوجهت الى مسكنى فى حى السيدة عائشة ، وأنا وأخى لانكاد نرى الطريق من شدة الغم .

فى اليوم التالى سألنى الامام : هل وجدت ماورد فى تقرير الأمس صحيحا ؟ فقلت نعم . فقال : وماذا ستفعل ؟ قلت : سأتصرف .

وفى صبيحة ذلك اليوم بعثت لجميع أعضاء هيئة تحرير المجلة خطابات أشكرهم على حسن تعاونهم فيما مضى ، وأسأل كلا منهم إن كان يقبل أن يعمل نظير نسبة من الأرباح أم لا . طبعا أجابوا بالرفض لأنهم يعلمون أن المجلة لاتحقق أية أرباح بل كانت تخسر .

ألغيت عقد الشقة ، وتخلصت من جميع من كان يعمل معى ، ثم بدأت بعد ذلك فى اصدار المجلة بمقاس (التابلويد) نصف الجريدة المعتادة ، وأخذت أحررها بنفسى ، يعاوننى فى ذلك سعد ابراهيم سعد الذى عينته مديرا لادارة المجلة وكان يعمل معى فى شركة الاعلانات العربية . وآخر مرة لقيته فيها كان يعمل مديرا بهيئة المعارض والأسواق الدولية منذ حوالى ١٥ سنة. صدرت المجلة حتى العدد حتى العدد ٦٥ ، وكان حل الاخوان هو أحسن حل لمشاكلها ، حيث اضطررت الى إيقافها قسرا . ولو لم يحدث الحل لأوقفتها مختارا ، اذ توقف اليهود عن الاعلان فيها لتشيعها الى فلسطين وعدائها للصهيونية .



الصهيونيون في مصر أو الضريبة التي يجب أن تدفعها مصر لعرب فلسطين

الاثنين ٩ صفر ١٣٦٧ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ . السنة الأولى — العدد السادس عشر الثمن ٢٠ مليما

ما اصطاع على اليهود فرصا كثيرة كادوا يفوزون بها لولا وقفة أبيك وزملائه مما دعاهم الى محاولة اغتياله، فكمن له بعض هؤلاء الجبناء وهو عائد من احدى جولاته وصبوا عليه سيلا من رصاصهم ، فبادر أبوك وقد أخذ على غرة ـ بترك جواده والانبطاح على الارض ومقابلتهم بالمثل وأبى التسليم ، لاننا نحن العرب لانلين قناتنا ولانستسلم لأعدائنا بل لابد من النصر أو الموت في ساحة الشرف والجهاد وانتهت الموقعة باصابة أبيك بعدة اصابات فى صدره قضت عليه وهو يهتف بحياة فلسطين.

لقد أخذ الجبناء أباك غيلة وكان شهماً كريما يأبى الضيم ويصبر على الشدائد شعاره هيهات ا هيهات أن يذل أبناء فلسطين ويخضعون

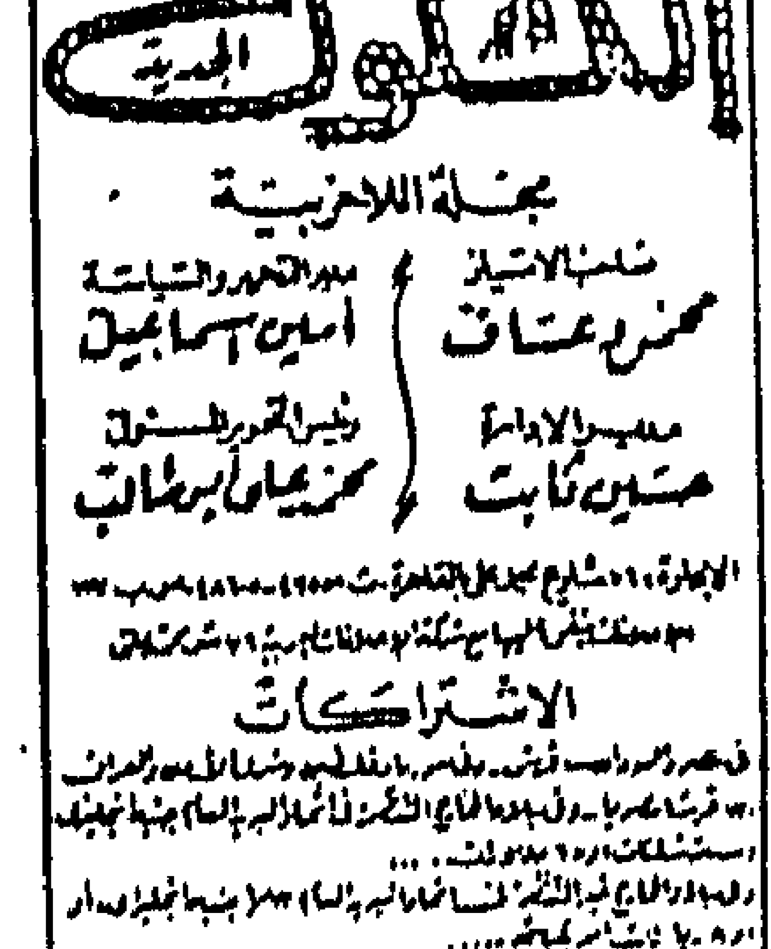
هذه هى قصة أبيك يابنى أقصها عليك وقد بلغت من العمر أحد عشرة سنة وبضعة أشهر ، أى وقد قربت أن تبلغ مبلغ الرجال.

فأطرق الفتى قليلاً ثم رفع وجهه وقد علت شفتاه ابتسامة خفيفة تنم عن العزم والتصميم

منذ تلك اللحظة وعوامل الحقد تغلى فى صدر الفتى ، وهو ينتظر ذلك اليوم الذى يشتد فيه عوده ليستطيع حمل السلاح ، وليستجيب لنداء الدم . وليسير فى الطريق الذى رسمه له أبوه فى الرؤيا التى رآها . فاشتد شرود ذهنه وتفكيره ، وكثر خروجه من المنزل وغيبته عنه . واستمر هذا حاله بضع سنوات اتصل خلالها بالجمعيات العربية التى تعمل لخلاص فلسطين العزيزة ، فانضوى تحت لوائها يتدرب مع اقرانه على استعمال السلاح وحرب الجبال ، بهمة لاتعرف الكلل ولا السآمة فاذا ماسألته أمه عن سر غيابه تخلص من سؤالها بلباقة .

وتتالت الأعوام حتى كان عام ١٩٣٦ فكان ذلك ايذانا ببدء ثورة فلسطين الكبرى ضد الانجليز والصهيونية ، ودوى النفير يدعو الشباب للانضمام الى كتائب المجاهدين ، فكان الفتى من أوائل الملبين للنداء واندمج بكليته فى الثورة يتعطش بغزوات القتال ويخاطر بحياته للانتقام لوطنه وأبيه ، ولكنه فى هذه المعمعة ماكان ينسى أمه الرؤوم اذ كان يختلس بعضا من وقت راحته ليقضى سواد الليل لديها ثم يغادرها قبل الفجر ليلتحق بفرقته حتى لايفوته شرف الاشتراك فى كل معركة فتودعه أمه وتباركه دون أن تسأله عن وجهته ولكن كان قلبها يشعر بالمهمة الملقاة على عاتقه

كانت الريح عاصفة والمطر ينهمر فى الخارج بغزارة والليل يخيم على الكون حين اجتمع المجاهدون فى ندوتهم وصمموا على خوض احدى المغامرات فى هذه الليلة المناسبة . فانتصب الفتى واقفا واقترح مهاجمة احدى المستعمرات اليهودية القريبة من قريته وأبان لهم خطة الهجوم المؤدية الى النجاح ، فاشتدت حماستهم جميعا



وأبدوا استعدادهم للهجوم تحت جنح الليل فانتخب القوم عددا منهم وعلى رأسهم الفتى القصة وساروا على بركة الله يقاومون تلك الريح وذلك المطر بعزيمة قوية وروح وثابة ، وكل منهم يدور حول الموقعة القادمة ، وما يتحلون به أنفسهم من فوز ونجاح حتى أشرفوا على ساحة المعركة فأعدوا صفوفهم ورتبوا نفوسهم ورتبوا نفوسهم وهجموا هجمة رجل واحد على المستعمرة يدمرونها ويلهبون برصاصهم كل من يحاول أن يصدهم ، والفتى يصول ويجول مناديا ، الله أكبر والنصر للعرب ، فيستجيب المجاهدون لندائه ، واستيقظت المستعمرة على تلك الهجمة العربية المباركة ، وبدأت المقاومة ضعيفة واهنة ، ولكن لم تستطع أن تصمد أمام تلك الحملة العربية

عاد المهاجمون بعد أن شفوا غليلهم من العدو ، وعرج الفتى على قريته مستترا بالظلام وقد أصيب بعدة جروح فى صدره سالت دماؤها الزكية بغزارة ، وطرق الباب بلطف قائلا :

ـــ افتحى يا أماه ... !

ففتحت الأم الباب ودلف الفتى الى الداخل وتبعته أمه الى حجرته فاستدار اليها وجثا تحت قدميها وهو يسعل بشدة من أثر جراحه وقال باعياء شديد :

ـــ الآن يا أماه قد قمت بواجبى وانتقمت لبلادى وأبى فأستودعك الله

ثم شهق شهقة خفيفة هبت على أثرها ريح الجنة تحمل روح الفتى الى رياضها قريرة العين ، راضية بالاستشهاد فى سبيل الله ، ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون

عزت عبد اللطيف نجا

المحامى

AL BALAA

البلاغ
لسان حال الوفد المصري

جهاد الوفد في قضية فلسطين

... وهكذا ، وفي كل مأزق يمر به الشرق ، يتساءل الناس عما قرره الوفد وعما سيفعله الوفد ، فالناس بالهامهم وطبيعتهم لا يتطلعون إلا للوفد باعتباره معقد الأمل ومحط الرجاء في كل حركة من حركات العالم عامة والشرق خاصة ، فالوفد هو الذي يعبر تعبيراً صادقاً لا شك فيه عن رغبات شعوب العالم وآماله ، فالألمان عندما تطلعوا إلى هتلر لم يكونوا قد تطلعوا إلا للوفد ، والانجليز عندما تطلعوا إلى تشرشل لم يكونوا قد تطلعوا الى الوفد والفرنسيون عندما تطلعوا لديجول لم يكونوا قد تطلعوا إلا الى الوفد ، وكذلك الأمريكان والطليان واليوجسلاف لم يتطلعوا الى روزفلت او موسيليني او تيتو وإنما كانوا يتطلعون الى الوفد ، وحتى وادي النيل عندما يتطلع إلى حركة الاخوان المسلمين كأداة الانقاذ العام لم يكن يتطلع إلا الى الوفد . . . فالوفد هو الأمة هو الشرق بل هو العالم أجمع . . . وهكذا يثبت بالدليل القاطع لكل منكر وجحود ولكل شامت وحسود أن حضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا العاقل الرزين الالمعي الأريب هو زعيم العالم الأوحد وبدره الساطع وفخره المنير . (وها هي مسألة فلسطين التى يريد العرب فيها أن يغدروا باليهود ويخرجوهم من ديار استوطنوها منذ عهد سليمان إلى الآن ، ما كادت تبرز هذه المشكلة حتى ظهر جلياً أن الوفد لا يقبل الظلم ولا يساعد الظالمين ، فتطلع اليه العرب لينصرهم على انفسهم ضد باطلهم ، كما تطلع إليه اليهود لينصرهم في حقهم ضد خصومهم ، وكان الوفد — كما هو دائماً — عند حسن ظن الجميع به ، فوقف وحده بعيداً عن كل حركة عربية تساعد العرب بالمال والرجال ، كما طمأن اليهود على حفظ حقوقهم في الداخل والخارج بلا مال ولا رجال ، يا حسرتا لخصوم الوفد واعدائه لقد نزل عليهم موقف الوفد كالصاعقة فبهتوا لسبق الوفد لهم في كل ميدان ، ومن ناحيتنا ردنا على العواذل أن نخرج لهم اللسان كالسنان

ومن عجب لتلك الأقلية الحقيرة الضئيلة التى تقطن وادى النيل ، فقد نظمت مظاهرة تسندها حراب الحكومة ولكن الوفد فوت الفرصة على المجرمين فأوفد شرذمة من شبابه إلى هذه المظاهرة تهتف للرئيس الجليل خالق الجامعة العربية ومنشئها بأمر العيون الزرقاء ، وفي ردهة الكونتننتال دوى الهتاف كالجرس باسم النحاس ولا شيء إلا النحاس ، ولكن هؤلاء الاخوان الأنجاس انهالوا عليهم ضرباً فوق الراس ، فخروا صرعى في الميدان ، وراحوا ضحية مبادئهم السامية والوفد دائماً هو المجاهد والمضحي بما تعقد الأقلية الزرقاء في عقر دارها . . . يحيا الوفد ويحيا النحاس ؟

ذليل وهمي

أخبار وفدية هامة

الدكتور عزيز فهمي

أبحر الى فرنسا حضرة الكاتب الوفدي الكبير الدكتور عزيز فهمي نجل حضرة صاحب المعالي الاستاذ محمد عبد السلام فهمي جمعه باشا سكرتير عام الوفد المصري ليدرس الادب العربي ويتعلم كيف يكتب بالعربية على الطريقة الفرنسية . . . والدكتور عزيز فهمي شاب جاد طموح وسوف يعود من باريس بعد رفع رأس مصر عاليا

سراج الدين باشا

سافر الى عزبته بكفر الجرايدة سعادة الاستاذ فؤاد سراج الدين باشا سكرتير الوفد القادم وقد استقبله الاهلون على طول الطريق بما هو أهل له من صراخ وعويل وقد أثبتت هذه الرحلة الميمونة أن الناس لم ينفضوا من حول فؤاد بن النحاس كما تدعى صحف الاقلية

اجتمعت لجنة الوفد المصري بالسادة [illegible] وقررت ما يأتي : ..

أولا — الثقة التامة التي لا حد لها بالرئيس الجليل معبود الجماهير الصادق

ثانيا — سلخ [illegible] الوزارة [illegible] واستغلالها [illegible]

ثالثا — الموافقة على تقطيع أوصال السودان وذبح العرب اتباعا للخطة الحكيمة التي اقرها الوفد



الشعر الخالد



قال الشاعر إياه . .

ذكرى عهد «القمصان الزرق» بمناسبة مرور الأعوام الـ 18 على الأزمة السياسية

(الا أذكر ...) في الدنيا من عجب … يا خالد الذكر … خالد العرب)
وادي ... اذا شهد قمصان مزرقة … أيام كنا نغني بالسكون كالشهب
أيام كنا نرى الأيام باسمة … نلهو بها من صميم المجد للعب
أيام كنا «طلوا ابو ا» منطلقة … من كل ما في الدول والأدب
أيام كنا «ثابتات» نروعها … صوت الحقير اذا ما جد في الطلب
أيام كنا وكانت الغلطة تعبدنا … ونحن لا نهون عن عهد وعن أدب
عن أصدقاء كالأنعام سائمة … لم يجن منه سوى التاريخ لأرك
هدى السلطان … الشرق قاطبة … الى الجهاد فقل للسادة النجب
أين العلوا ابو … الأولى دمروا … تفرقوا في حواريهم بلا سبب
كانوا أسودا اذا ما السلام أمهم … واليوم ذابوا كذوب الثلج في اللهب

قل لرئيس الملك الأعلى الذهبي … ماذا ادخرت لهذا اليوم من غضب
و«بارك الله فيكم» أين قائلها … وأين «قمصانه» في جيشه اللجب
في الساحات والنور يجتمعان فطاولة … وفي الذكرى قطعان من الوثب
أأجمعوا عن السلطان ومصرتها … أول «السلطان» نقراشية النسب
أنت أنت «زعيم الشرق» أحمد ! … باعرة الشرق في التاريخ والكتب
قل لي نفس أعز الله ... … ومانه من هجاء الشعر والخطب
أنت الذي كنت ... … هل المراشيل أصداء من الخشب
أنت الجليل ... … ... العطور ... في رمش ... ذهب
... الجيش ... … أمست شر الوثن مشبوبة اللهب
في السلم ... … وفي الحروب صريع الخمار والطرب

يا شامتين بنا خلوا شماتتكم … هذا السنا من الأحياء في الحقب
وما الشماتة بالأموات جائزة … ان النحاحيس لاقوا شر منقلب
هذا «أبادرش» يبكي عزه أبدا … الله قدا طعمة الإثم والذوب
... خلوه . في الملك ولى ... … لا ينفع الزمر فيمن هام بالرتب
... ... … ولو لهدت مصر لنيران كالحطب
هذى ... … من شهر ابراير موصولة السبب
... «الشهادة» ... … من الخاوين حتى ملب عن كثب
وراح يذكر أياما له سلفت … مثل الهباب على رأس من الوصب
لا ... أن يرى السكسونية سادته … ومصر من ظلمهم ترنو لكل أب
والوالد لابني ... … وابي ... ومنتهب

الشاعر إياه

نحاسيات

— ٨ —

رويتا لك في عدد سابق حكاية الشبان المصريين الذين رأسهم النحاس باشا في برلين سنة ١٩٣٦ وعلم بانقطاع الوارد عنهم وتألم لهم وقال لحسين فتوح بك وكان بجواره : أول ما نرجع مصر افتكرني أعمل لهم حاجة بسرعة .

وذكرنا لك أن فتوح بك بادر عقب العودة الى تذكير النحاس ؟ يوم فكان يحيله مرة الى وزير المالية مكرم ومرة الى وزير المعارف المرابي وأخيرا صار يهرب من مقابلته واستغاثات الشبان ترد على فتوح بك من برلين وكلها من يؤسهم أن لا طعام ولا كساء يحميهم من برد ألمانيا القاتل ولا وسيلة للاستمرار هناك في التعليم ولا للعودة الى الوطن .

والنحاس الذي بكي من أجلهم في برلين كره بعد عودته الى مصر أن يسمع كلمة عنهم وتخلى بسببهم عن صداقة بينه وبين فتوح بك ترجع الى ربع قرن .

ذلك القارىء تتمة القصة ، وهي أن حسين بك فتوح لم يجد حلا بعد اليأس من مروءة الزعيم الجاد — الا أن يبيع بيتا له وينقد بثمنه هؤلاء الشبان .

وبينما هو يبحث عن المشتري اوحى بالأمر سعيد ... من رجل لم يكن له دخل في الموضوع وهو المغفور له محمد محمود باشا

وذهب فتوح بك ملبيا دعوة الزعيم النبيل ، فاذا هو يسأله عن مأساة أولئك الشبان ويرجو له ليحمل عنه العبء ، ويدفع من ماله الخاص ما يدفع المحنة عن أولئك المنكوبين .

وكفلت مروءة محمد محمود ما عجزت عنه الدولة ، وداوت مكارمه الجروح التي كان النحاس قادرا على مداواتها ولو من المصروفات السرية التي جعلها نهبا لأصحاب القمصان الزرقاء وغيرهم من الشباحين والحلاليف وأولاد الكلب !

— ٩ —

دخل محمود افندي غنام على النحاس باشا امام اشتداد أزمة الكوليرا فقال له النحاس

— ايه الأخبار ؟

— مع الأسف الغربية حالتها زي الزفت

— زفت على دماغك . أنا ما يهمنيش الا سمنود

— مع الأسف ابتدا اصابات

— يا نهار اسود ؟ وأهلي وقرايبي ؟

— لازم يكون حد منهم مات

— يادي النكبة ! يادي المصيبة وبكى بكاء شديدا

مجلس نوابهم في الما[illegible]

حافلة بسيرة [illegible] الصحف في بدايتها !! وشاع في حينها . وكان المختلف سجالها هو الرئيس الحالي ، الذي صعد إلى منصة الخطابة « فاشلاً » كما صعد [illegible] القديمة إلى [illegible] حار ووجهه من خلاف ، ولم يكن بادياً من تمام النهار الضحك سوى أن [illegible] الأعضاء [illegible] أثناء الحوارى والأزقة : « يا بو الريش إن شاء الله تعيش »

وكان النائب الاشتراكي زهير صبري بطل هذه الجلسة ، وهو الذي هاجت الرئيس الحالي وأثار غضبه فقام بضرب منضدته بيده صائحاً : « هذا النائب [illegible] . هذا النائب [illegible] » وكان هـذا النائب الاشتراكي الشاب هو [illegible] الجلسة [illegible] . وهو [illegible] الملاصق للأقفال الرابع إنما يهدي ويهدد

ورأى شاهد الجلسات والتعليقات [illegible] عبيد أن الرئيس الحالي قد توترت أعصابه . وقال إنه من فرط ما [illegible] من [illegible] زهير ومعابثاته ، [illegible] إلى السجن « [illegible] » يخفف به من حرارة الزعامة المقدسة !! ويلطف به جو الجلسة الصاخبة ليعود إليها برودها وسلامها !! وقد أدت مهمتها « [illegible] » بصلة زين الريانات « أبو درويش » [illegible] السحر أبداً وأيام ، « وضحك وانسجم » وسبحان خالق الأبقار والغنم ...

... دق الرئيس الأجراس إيذاناً بافتتاح الجلسة ، ونادى الأعضاء [illegible] إلى مقاعدهم ، كما [illegible] الأعضاء إلى [illegible] [illegible]

وداعب بهما ذقن الأبطال ، ثم صحح [illegible] :

الرئيس :

— في الجلسة الماضية طالبت « حكومة الزعامة » ممثلة في شخص الرئيس الحالي أن تعلن [illegible] المحامين أصل الاستحقاق : علي أيوب ، وعلي [illegible] ، وحامد [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] جمعه ، ووهيب دوس ، وتوفيق دوس ، وزكي عرابي وبقية المحامين الذين اشتركوا في الدفاع عن المتهمين في قضية مقتل المرحوم السير أمين عثمان باشا ، وقد طالت المناقشة في هذا الموضوع ، وألحت الرئيس الحالي من [illegible] هؤلاء المحامين الذين [illegible] الزعامة أمام القضاء إلى الإدلاء ببيانات عن [illegible] الأسرار ، وإحاطة [illegible] بالإيجابات الإنجليزية . ولم يكن في نية الزعامة أن تبوح بشيء من هذه الوقائع لولا خبث الدفاع ومكره . وحدث ما حدث دون

أن [illegible] الرئيس [illegible] أعصابه ، وأنا [illegible] أسرار الثورة ، [illegible] الرئيس الحالي [illegible] إلى [illegible] الوفد وإلى هيئة المحامين [illegible] أسماء هؤلاء [illegible] المحامين والأسرار [illegible] على [illegible] [illegible] انقضت دون أن تأخذ الأصوات [illegible] أن تعرف النتيجة في هذا القرار . فما هو رأي المجلس ؟

عمر عمر —

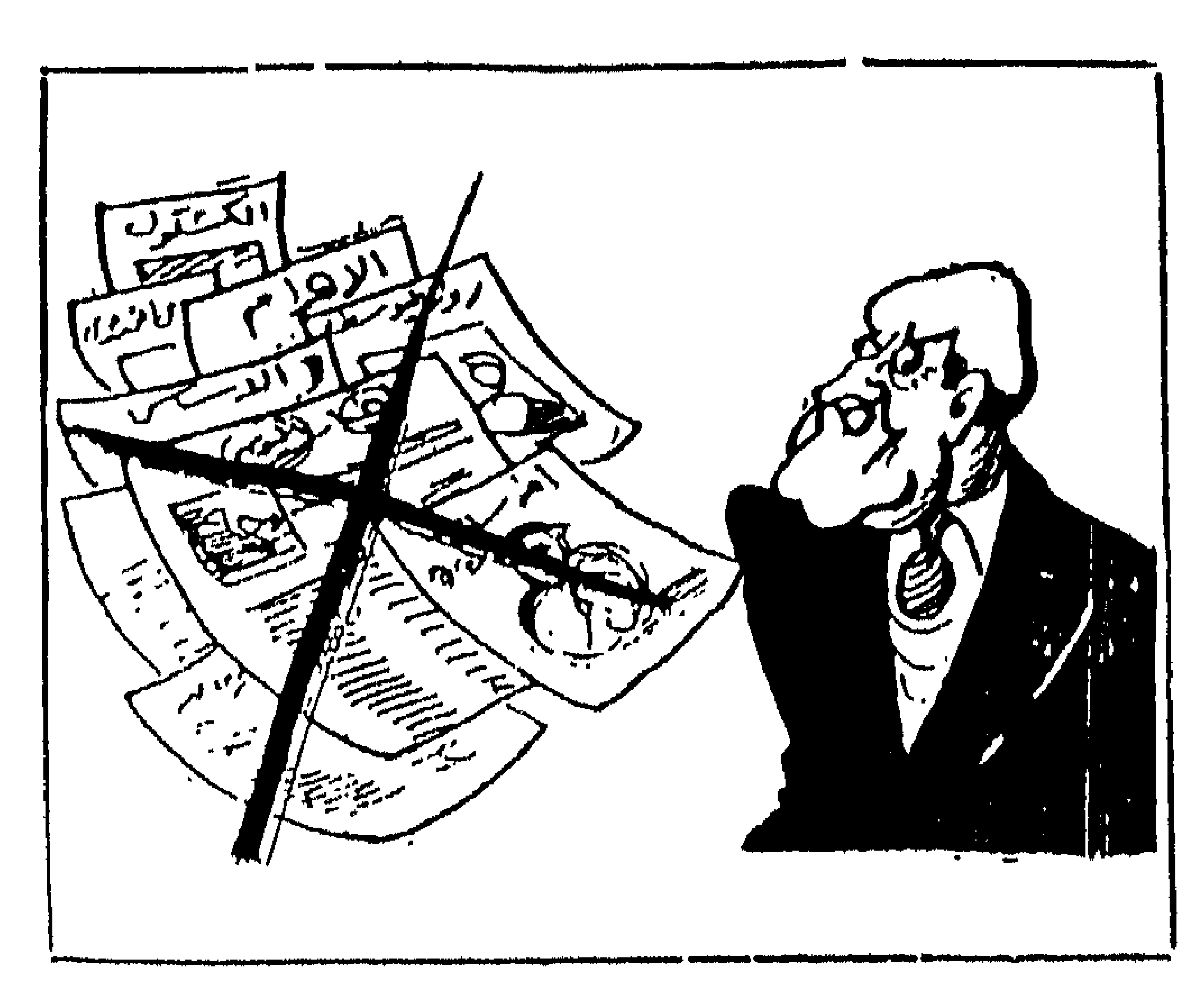
: أفضل أن [illegible] عن هذه المسألة ، وأن [illegible] الطابق مستوراً !! وأن ننتقل إلى جدول الأعمال .

حسن يس :

— [illegible] الطابق المستور ، و[illegible] الشاذون

زهير صبري :

— وما ذنب الطابق المستور يا حضرات النواب . هذا الطابق المستور إذا [illegible] الله [illegible] النائب حسن يس وسقط ... فماذا تكون النتيجة ؟ هذا الطابق إذا سقط وبان ما تحته ظهر المستور ، وانكشف المحظور :



، وأبدأ اسمحوا لي أن يبقى هذا المالك دستوراً وانتقلوا الى جدول الأعمال بارك الله فيكم وفي الطابق المستور

الرئيس :

— تؤخذ الأصوات

(... واتخذت الأصوات فكانت الأكثرية الى جانب الطابق المستور وتقرر أن يبقى مستوراً وأن ينتقل المجلس الى جدول الأعمال)

سكرتير الزعامة : (أى مصطفى النحاس)

— أعرض الآية على حضراتكم مطلباً آخر بارك الله فيكم ، ورعى الله زعامتكم . هذا المطلب يا حضرات النواب هو أن تصدروا قراراً بحرم الاشتغال بالصحافة على كل من مصطفى أمين وعلى أمين صاحبى أخبار اليوم وآخر ساعة ، وادجار جلاد صاحب جورنال دي جبت والزمان ، وأمين اسماعيل ومحمود عساف ومحمد أبو طالب بصفتهم مشاركين فى اصدار الكشكول ، ومحمد السوادى صاحب مجلة السوادي ، ومحمد راشد صاحب مجلة طنطا والبير شحرامي صاحب مجلة التسمية ، ومحمود عزت المفتي صاحب مجلتى الفارس والبكوركة ، وصادق سلامة صاحب مجلة الانذار ، ومصطفى القشاشي صاحب مجلة الصباح ، هؤلاء ومن على شاكلتهم

— ولا تحضرني الآن جميع اسمائهم — هم الصحفيون الذين يعملون فى معسكر خصومنا علنا !! ويجب أيضا أن تضموا الى هذه القائمة اسماء بعض الصحفيين الذين يتظاهرون بالعمل فى معسكرنا وهم فى الحقيقة من ألد خصومنا . وهؤلاء هم : أولاد المرحوم عبد القادر حمزه باشا لأنهم أصروا على بقاء عبد القادر المازنى فى جريدتهم رغم ارادتى أى رغم ارادة الأمة ومحمود ابو الفتح صاحب المصرى لأنه يعمل سراً ضد الوفد ولا يهتم بذكر أخبار زعامتنا فى المكان اللائق من جريدته . وآل سراج الدين أصحاب جريدة النداء لأنها تستكتب بعض المحررين المعروفين بعداوتنا وتجريح زعامتنا ، و ...

زهير صبرى : (مقاطعاً)

— هذه الأسماء الكثيرة وهذه الصحف العديدة ، كيف يمكن حصرها والالمام بها اليس من الأصوب أن يقول الرئيس الجليل كلمة موجزة تتلخص فى : « أن تلغى جميع الصحف المصرية وأن تشطب اسماء جميع أصحابها عدا جريدة واحدة هى صوت الامة وتكون البركة كل البركة فى الدكتور مندور وكان الله ناصر عليها

حسن يس :

— صوت الامة فوق الجميع . صوت الامة من صوت الله . فلتسقط الاشتراكية ، وليسقط زهير صبرى

زهير صبرى :

— واذا سقط زهير صبرى يا أبا على ، وشطبت جميع هذه الاسماء ، والغيت جميع هذه الصحف فهل تقوى صوت الامة وحدها على اسماع صوتكم الى الامة ، أم أنت يا هذا الصباح تريد أن تخرب الامة وان تقضى على آمالها مع الزعامة المقدسة

زكى مبارك :

— وامر الباه !! ان لصاحب المقام المعبود فى هذه الصحف أخوة واحباء ، وأن له فيها مرائقنا ومعبودا ، كيف أسلو البلاغ اذا محيت من الوجود البلاغ ، وكيف أنسى صاحبها الوالد البار المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، لقد أعانني على الصعاب . الى باريس ، فأقمت فيها عند القبلة القديمة بجامعة السربون . باريس باريس واهف قلبى على حسان باريس ، تريدون محو البلاغ من الوجود . ان ذا لمن العجب نحن نكتب التاريخ قبل ان يضيع التاريخ لقد قدم صاحب البلاغ للوفد من التضحيات والخدمات ما قدم وحارب خصومه محاربة الابطال . وبعد !! ماذا كنت أريد أن اقول كنت أريد أن أقول ان لى فى كل صحيفة من هذه الصحف التى تريدون محوها أخوة وأحبة . فكيف يتعطل أخى وحبيبى الاستاذ شافعى البنا . أما أخوه كامل البنا فدعوه يذهب الى حيث شاء انه ليس أخى وليس حبيبى ، انه مصدر مكير . وبعد ماذا كنت أريد أن أقول . .

محمود الجمال :

— بقى يا جماعة احنا خلاص مفيش لينا واحد يقدر يقول الراجل زكى مبارك ده يخضنا من حكاية باريس والتاريخ اللى حيكتبه قبل مايضيع التاريخ . والله دا شىء يجنن

وليم عبيد :

— أيها الاخوان : والصفوة من الخارق على طول الزمان والمكان . أن غضب الرئيس من غضب الامة ، وغضبه أزمة واى أزمة ، وهو فى القمة ، من القمة . أما طوال الالسنة والأسنة كالطوفان ، من الحاقدين غير الشجعان من كل جبان والعيان ، كالثعبان ، يقرص فى الميدان ، ويختفى ولا يبان !! وذلك امل الجبان . هؤلاء وهؤلاء عليهم لعنة الرحمن فى كل زمان وكل مكان . نعم ان العدد الذى يطالب الرئيس ابعاده من الصحافة كثير واكثر من الكثير ، نعم انه غضب ، وغاضب لكنه فى الملمات يروق ويحلو . وبحلاوته يحلو ، واذا صفا الرئيس صفا النيل وامتلأ بالقرنة والجزبيل بالنزهيل

لروقوا دم الرئيس ولعنة الله على ابليس

حسن يس :

— ليسقط ابليس الخبيث . .

أبو العينين سالم :

— (. . على عادته .. يصرخ ويصرخ ولا يفهم أحد من صراخه شيئا

زهير صبرى :

— لنعد الى موضوع طلب الرئيس . ولننظر هل يمكننا أن نلغى الصحافة المصرية كلها ولا نبقى منها الا « صوت الامة » . وذلك لكى يروق دم الرئيس ، ولعنة الله على ابليس

سليمان حجيب :

— زميلنا الاستاذ زهير صبرى يريد « القريقة » على رئيسه وليم عبيد ، فهو يكرر الرئيس ، واللعنة على ابليس ، وأنا ارى أن فى هذا بعض « التأليس »

وليم عبيد :

— انى وزهير ، كالقطا على الزير ، احفظوا الوليمة والدرس ، وتعلموا منى هذا الدرس فليست تجدى عليكم الوليمة وهذه التقليعة . وسلام على الرئيس ، ولعنة الله على كل غاصب غضبى .

نجيب الهلالى :

— تريد أن نعرف الفرق بين الخسيس وابليس ، هل الخسيس هو ابليس ، أم ذلك فى السجع تدليس ، لقد حدثنا الاسجاع ، تطرب لها الاسماع ، فى كل البقاع ، للسوقة والرعاع ، والخاصة من المتورعين والاتباع

(البقية على صفحة ٣٠)

فى الطريق إلى فلسطين

بقية المنشور على صفحة ١٠

.. ان صاحبي حرى فقطعنا السهل .. وعدنا .. تنا الأولى وسط الصحر .. فاما صخرة صخرة ، وأعدنا : الصعود حتى خلدت أننا لا نعود أبداً إلى السهل الذى بدا عميقاً بمنا فى العمق ، .. وصلنا إلى القمة ، فأحسسنا أن .. قليلا لنعاود الجهد علنا نستطيع إلى السماء رقياً ..!!

وهناك .. هناك فى الأفق البعيد أطل الأيب الخافت الأرجوانى أن كد السماء سيشق عن شمسه بعد أن وارى الليل ترابه ومسه .. وقبل أن تطلع الشمس فوجئت بأن طلع علينا الأخ الثانى ، فأنسانى حضوره المفاجىء ما كنت قد أعددته بينى وبين نفسى من تطلع طويل إلى ميلاد بنت السماء واستجلاء وجهها الصبوح . فقلت من أين ..؟ قال من المخيم ..!

(للرسالة بقية)

مجلس نوابهم فى المنام

(تابع المنشور على الصفحة ٢٠)

وهذه الاسماع ، لا تشرى ولا تباع ، لكننا موهبة من الرحمن ، لا من الشيطان الرجيم

عود الحال :

— وانا ماشيا والهلال .. اسمى .. ، وكل واحد .. فى الثانى .. واما .. زى البلاليص مش .. ساعة (... وهنا انقسم الاعضاء الى معسكرين .. معسكر .. ومعسكر

يهتف بسجن الهلال ، وعلا الضجيج واختلطت الاصوات واشتد صراخ ابو العيون .. : واصطفقت .. حسن .. وعبد ال.. الى الاجراس .. بدقها بشدة وما زال على

هذا الحال .. فى الاجراس .. صوت الصاحبين والهاتفين .. صوت .. وبى ، انها .. نومه لا .. ي

* أبو .. *



د.د.ت هيرست ١٠ ٪

هو الوحيد الذي يجعلك تطمئن على نظافة منزلك وصحة أسرتك

D.D.T. "HIRST"

أقوى المبيدات فى الدنيا على الحشرات فى الحال

تأكد بعد استعماله أن منزلك قد خلا من :

البق والقمل والبعوض والذباب والصراصير الخ

صرحت وزارة الصحة العمومية لحضراتكم :

جبران صفرا وشركاه

وكلاء شركة هيرست العالمية للأدوية

٩ شارع فؤاد الأول بمصر ت ٤٢٣٧٩

باستيراد وتوزيع د.د.ت هيرست ١٠ ٪ بالبلاد المصرية

يباع فى العلب .. (.. انجليزية)

كانوجين (براميل) ..

تأكد من اسم شركة "هيرست" .. الشهيرة العالمية .. على العلامة ..

HIRST D.D.T.

الأمثال السائرة

... ا الوفد على عينه قال خسرانه خسرانه

أصله ضربوا الأعور على عينه قال خسرانه خسرانه

... عوامل التعرية على المثل فقلت كلمة أعور ووضعت مكانها الوفد وهو بدل مطابق أو بدل اشتمال لا أدري

ولم يتحول المثل فجأة هكذا بل تغير على مر السنين والأعوام وأول عوامل التعرية التي أثرت في المثل هو الدبابات الانجليزية التي مزقت الشاش الحميم الذي كان يستتر به الوفد ... الجون بولي وبدا هذا الوجه البولدج يرقص هذا وينبح ذاك مقلدا صوت سيده وسيده يحرك له العصا فلا يسعه أمامها إلا أن يحرك ذنبه يتملق سيده وهو يقول له

يا سيدي جونبـــول	هل أهلك المغســول
أأنت لي شيطـــان	أم أنت أنت الغول
إني لديك عـــبد	مطـــاوع دلدول
إني لديك طـــبل	تحســده الطبـــول
فــلي كما تشـــاء	قـــولي كما تقـــول

وقيل له يوما كيف ترضى بأن تخالف إرادة السيد الشرعي التي تستهدف لغضبه فقال ضربوا الوفد على عينه قال خسرانه خسرانه وهكذا ولد المثل ولادة انخلعت لها قلوب الشرق العربي وفرحت قلوب الغرب السكسوني

ولقد ظن يوما أن سيده الذي يحميه بدباباته سيظل الى الأبد سيدا حاكما بأمره فداس على الناس وسجن من قاومه واعتقل من عارضه وقال إنه حاكم عسكري أو حاكم بأمر الله وفجأة تغيرت الحال غير الحال فطوحت به بعيدا عن الكرسي ونظر فلم يجد سيده وبحث عنه فاذا به عاجزا عن أن يمد إليه يدا ووجد أن العهد الذهبي قد تقوض ومعها من النجم هاربا على قارعة الطريق فماذا يصنع ؟ راح يحارب من حاربه ويلطم كل من يصادفه .. فلا يعرف إلا الهدم ولكنه لم يهدم إلا نفسه . . . واذا قيل له كيف تفعل هذا قال ضربوا الوفد على عينه قال خسرانه خسرانه ومعنى هذا أنه يلبس سادته السكسونيين ويلبس ... كرسي الحكم وقد هجاه في ذلك الشاعر ... فقال

خذ يا زعيم من اليراع رهات	إني أنادي دائما وأهاتي
إني أبعث يا زعيم تهيبا	قد بح صوتي من عمت صواتي
طارت سناني يا زعيم كما ترى	كالحكم لما طار في لحظاتي
يا دهوتي يا لوعتي يا ساقتي	كف الحياة ألا تقتسم حياتي

وتحركت عوامل التعرية من جديد فرسخت المثل ترسيخا ونقلته من الدنيا القديمة إلى الدنيا الجديدة على جناح برقية خالدة إلى مجلس الأمن ولما قيل له ما هذا لماذا هذا أعاد المثل ثانيا ضربوا الوفد على عينه قال خسرانه خسرانه ، والحقيقة أن الزعيم الجليل هو الذي ضرب الوفد على عينيه الاثنين فأصبح الوفد أعمى ونكرم الرئيس الجليل بسحبه حتى وقع الاثنان في هاوية سياسية لا سبيل إلى اخراجهما منها ولكننا لا ننسى ولا ننكر محاولات الزعيم اليائسة لإخراج الوفد من هذه الهاوية وقد تعلق أخيرا بقشة واستدعى مكرم عبيد حاوي الوفد القديم وفاوضه في العودة لسحب الوفد الأعمى وإخراجه من هذه الهاوية والحاوي الحكيم مسرور طبعا لاحتياج الأعمى اليه وهو لا يرى مانعا من أن يجر الأعمى ويحمل المقعد ويقذف بكتلته إلى الجحيم ليعود قائدا للزعيم وقد أنشأ يقول ضحكا على العقول .

سأعود عود الفاتح المنصور
لأقود أعظم واحد طرطور
وأسوق سوق النعاج وأنبري
للناس تحت لوائه المنشور
وأحط رجلي فوق رأس جماعة
قد طاردوا عيني وعمد ازوري
ولسوف أخنقهم وأفصلهم كما
قد كنت أفعله بلا دستور

ويصرخ الوفديون ويلجأون إلى الزعيم يقولون له في عرضك في طولك بلاش مكرم ده احنا يودينا كلنا في داهية ويخيب الزعيم أملهم حين يسمعونه يقول ضربوا الوفد على عينه قال خسرانه خسرانه .

الفصل الخامس

من فكر الامام الشهيد

حملت صحافة الاخوان ومطبوعاتهم ، فكر الامام الشهيد الذى عبر عنه كتابة قبل نهاية عام ١٩٤٨.

إننا نقرأه الآن فنجده وكأنه قد كتب اليوم .

أهدى هذا الفكر الى جيل عصرنا الحاضر والذى لم يعايش حسن البنا أو يتلقى فكره من نبعه الصافى ... أهديه كذلك الى المتشددين فى الدين والمتطرفين فى فهمه والدعوة الى ذلك التطرف، كما أهديه الى الشباب المغرر به والذى يستغله المضللون الجاهلون بأمور الدين أو يتجاهلونها لتحقيق مآرب خاصة ، ويتخذون من البسطاء أداة لنشر الارهاب باسم الاسلام ، والاسلام بريء من كل ذلك .

كان حسن البنا بليغا فى أدائه : كاتبا وخطيبا ومحدثا . وكان إذا خطب فإن كل مستمع يحس وكأن حديث الامام موجه اليه وحده ... وكان متفقها عالما بالقرآن والسنة والتفسير ، كما كان واسع الاطلاع على المذاهب والنظريات والايديولوجيات الجديدة . وكان شجاعا فى الحق ومقاوما للباطل ، لايقيده شىء إلا رباط الاسلام وحده .

ثم إنه كان بعيد النظر ، يرى المستقبل ببصيرته النفاذة التى هى هبة من الله تعالى .

وفيما يلى بعض أفكاره ، نقلتها عما كتبه من مقالات فى صحافة الاخوان ، ومما ورد فى رسائله (١) .

أهداف الاخوان (٢)

تتلخص أهداف الاخوان المسلمين فى هدف واحدا استراتيجى ، يمكن الوصول اليه بتحقيق أهداف مرحلية ، هى كالآتى :

(١) تكوين الفرد المسلم

ليكون نموذجا حيا لما يريده الاسلام فى الافراد من الادراك الصحيح للصواب والخطأ والارادة الحازمة التى لاتلين أمام الحق ، والجسم السليم القادر على تحقيق الارادة الصالحة ، وذلك بحسن أداء العبادات والتخلق بالخلق الاسلامى واتباع النظام الاسلامى فى كل نواحى الحياة .

(٢) تكوين الأسرة المسلمة

بتكوين الفرد المسلم - رجلا كان أو امرأة - يمكن تكوين الأسرة المسلمة على الأسس والقواعد التى وضعها الاسلام بالارشاد الى حسن

---

(١) انظر رسائل الامام الشهيد حسن البنا - دار القلم . بيروت . لبنان .

(٢) رسالة: دعوتنا فى طور جديد. ورسالة: الاخوان المسلمون تحت راية القرآن .

الاختيار وبيان أفضل الطرق للارتباط وتحديد الحقوق والواجبات ورعاية ثمرة هذه الأسرة حتى تنشأ فى بيئة إسلامية فتتكون الأسرة المسلمة فى تفكيرها وعقيدتها ، وفى خلقها وعاطفتها ، وفى عملها وتصرفها .

(٣) الأمة المسلمة

الأمة هى مجموعة الأسر ، وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة . لذا كان من أهداف الاخوان تكوين الامة الاسلامية التى يربط بين لبناتها - أى أسرها - أواصر الاخوة والحب والايثار والقضاء على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الأخوة والمحبة مع تحديد حقوق وواجبات أفراد الأمة من محكومين وحكام على أسس اسلامية .

(٤) الحكومة الاسلامية

يهدف الاخوان فى دعوتهم الى تكوين الحكومة الاسلامية التى تعمل بأحكام الاسلام وتطبق نظامه وتعلن مبادئه وتبلغ دعوته للناس وتقود الشعب الى المسجد ، وتقود الدول الى الاسلام وتضم شتات المسلمين تحت راية القران ، على أن يسبق ذلك سواد الفكرة الاسلامية حتى تؤثر فى كل أوضاع الامة وتصبغها بصبغة اسلامية . وقد أوضح الاخوان المسلمون أنهم لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الامة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الامانة والحكم بمنهاج اسلامى فهم جنوده وانصاره ، وإن لم يجدوا فسيعملون على استخلاصه من كل حكومة لا تنفذ أوامر الله بعد أن تنتشر مبادئهم وتسود ، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

(٥) وحدة الوطن الاسلامى

يهدف الاخوان المسلمون الى ضم كل جزء من اجزاء الوطن الاسلامى

الذى فرقته السياسات الخاطئة والاحقاد الاستعمارية . ولهذا لا يعترفون بالتقسيمات السياسية التى جعلت الوطن الاسلامى دويلات ضعيفة ممزقة سهل على الغاصبين ابتلاعها .

(٦) عودة الأوطان السليبة

وذلك بعودة راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالاسلام حينا من الدهر ثم انحسر عنها بعد أن وقعت فريسة فى يد أعداء الاسلام .

(٧) تبليغ الدعوة الى كافة البشر

وذلك بإعلان دعوة الاسلام على العالم كله وإخضاع كل جبار لها حتى تكون كلمة الله هى العليا وينتشر النور والهداية بين البشر أجمعين .

قال لى الامام الشهيد ذات مرة : إن هذه المبادىء لا نتوقع أبدا أن تتحقق فى حياتنا ، فهى تستغرق عشرات السنين ، وإذا وصل المسلمون الى تحقيقها بعد مائة عام ، فيكونون قد فعلوا شيئا عظيما . انما المهم هو أن نبدأ نحن ، ولاشك أن الله ناصرنا وإن طال الأمد .

منهج الاخوان المسلمين (١)

وضع الامام الشهيد منهجا لاعداد عضو الاخوان ، يقوم على دعامات ثلاثة ، هى البيعة ، والاسرة ، والأوراد .

(أ) فالبيعة هى عقد بين الفرد والدعوة ، تقوم على أركان ، هى الفهم والاخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة.

---

(١) رسالة نحو النور ورسالة الى أى شىء ندعو الناس ورسالة التعاليم

وتترتب على البيعة وأركانها واجبات هى :

١- حسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر فى معانيه ، وأن يكون للأخ ورد يومى منه .

٢- دراسة السيرة المطهرة وتاريخ السلف الصالح بقدر مايتسع له الوقت .

٣- الابتعاد عن أسباب الضعف الصحى والاهتمام بأسباب القوة والوقاية الجسمانية .

٤- الابتعاد عن المشروبات المنبهة إلا فى ضرورة والامتناع عن التدخين .

٥- العناية بالنظافة فى كل شىء .

٦- الصدق وعدم الكذب .

٧- الوفاء بالعهد والكلمة والوعد .

٨- الشجاعة والاحتمال بالصراحة في الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ .

٩- الوقار وإيثار الجد ولا يمنع ذلك من المزاح الصادق والضحك فى تبسم .

١٠- الحياء ودقة الشعور والتواضع فى غير ذلة .

١١- العدل فى الأحكام فى جميع الاحوال فى الرضا والغضب .

١٢- النشاط فى الخدمة العامة ، والمبادرة الدائمة الى فعل الخيرات .

١٣- الصفح والحلم والرفق بالانسان والحيوان وجميل المعاملة وحسن السلوك مع الجميع .

١٤- إجادة القراءة والكتابة والاهتمام برسائل الاخوان والالمام بالشئون الاسلامية العامة .

١٥- مزاولة اى عمل اقتصادى والاقدام على العمل الحر .

١٦- عدم الحرص على الوظيفة الحكومية مع اعتبارها أضيق أبواب الرزق ، ورفضها عند تعارضها مع واجبات الدعوة .

١٧- الاتقان والاجادة وعدم الغش وضبط المواعيد فى أداء المهنة .

١٨- حسن التقاضى وأداء حقوق الناس كاملة .

١٩- البعد عن الربا والكسب الحرام والميسر .

٢٠- تشجيع المصنوعات والمنشآت الاسلامية الاقتصادية .

٢١- أداء الزكاة الواجبة والاشتراك بجزء من المال فى تحمل أعباء الدعوة .

٢٢- الادخار للطوارىء وعدم التورط فى الكماليات .

٢٣- إحياء العادات الاسلامية وإماتة ما ينافيها فى كل مظاهر الحياة .

٢٤- مراقبة الله تعالى فى كل شىء من حسن الطهارة وحسن الصلاة والصوم واستصحاب نية الجهاد وحب الشهادة فى سبيل الله وتجديد التوبة والاستغفار ومحاسبة النفس وجهادها حتى يسلس قيادها .

٢٥- تجنب الخمر والابتعاد عن أقران السوء وأماكن اللهو والابتعاد عن مظاهر الترف .

٢٦- التخلى عن الصلة بأى هيئة أو جماعة لايكون الاتصال بها فى مصلحة الدعوة .

٢٧- العمل على نشر الدعوة فى كل مكان مع التعرف على أفراد الأسرة معرفة تامة بالمحافظة على الاجتماعات وإيثارهم بالمعاملة .

وهكذا كان فكر الامام الشهيد يتجه نحو السلوك السوى للاخوان وليس مجرد الايمان بالفكرة فحسب .

(ب) أما الاسرة (وهى تتكون من عدد من الاخوان لايتجاوز السبعة) ، فنظامها يقوم على التعارف والتفاهم والتكافل . وفى اجتماعاتها يباشر أعضاؤها أعمالا محدوة هى :

١- مدارسة نافعة لكتاب الله وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأحد الكتب القيمة .

٢- مذاكرة لشؤون المسلمين ومدارسة التوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسر .

٣- عرض المشاكل الخاصة بأفراد الأسرة لإيجاد الحلول فى جو صادق من الأخوة المخلصة .

٤- تحقيق معنى الأخوة خاصة فى المجاملات مثل عيادة المريض ، ومواساة المحتاج ، وتهنئة الناجحين ، وتعهد أسرة الغائب ، وتعزية أهل المتوفى، وصلة الرحم .

وفى الرسالة الثانية لقسم الأسر " من آداب الأسرة والكتيبة " شعبان ١٣٧٣ هـ جاء فى قسم آداب الاجتماعات بعض النقاط التى يجب أن يتذكرها الأخ عندما يذهب لاجتماع الأسرة متبعا فى ذلك الآداب التى سنها أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم وهى :

١- الاستئذان ٢- السلام ٣- الجلوس ٤- آداب التحدث والاستماع ٥- المناقشة ٦- أدب المزاح ٧- تلاوة القرآن ٨- آداب الطعام ٩- آداب النوم ١٠- آداب قيام اللّيل ٩- ختم المجلس .

ولزيادة الروابط بين أفراد الأسرة ، حُدّد لها برنامج عملى تقوم به مثل :

١- رحلات ثقافية ، أو رياضية .
٢- صيام يوم فى الأسبوع والافطار معا .
٣- صلاة الفجر جماعة .
٤- المبيت مرة كل أسبوعين أو أسبوع فى مكان واحد لقيام الليل وترديد الأوراد فيما يعرف بـ ((الكتيبة)) .

وكانت الكتيبة تتكون من حوالى ٤٠ شخصا ، أى نحو ثمان أسر .

(ج) وأما الأوراد ، فالغرض منها تربية الروح والمشاعر والوجدان ، والترقى بها الى مستوى الطهارة والعفه ، ونيل الرضا من الله تعالى . فهى تربية

روحية تقوم على الأتى :

١- قيام الليل ووقت السحر .

٢- الدعاء والاستغفار وآدابهما .

٣- نماذج من الدعاء : من القرآن الكريم ، ومن السنة المطهرة ، ومن مأثورات الصحابة ، ومن مأثورات الصالحين .

الوصايا العشرة

وضع الامام الشهيد وصايا ، يمكن على ضوئها أن يقيم الفرد نفسه ويتعرف على مدى التزامه بالدعوة . وتلك الوصايا هى :

١- قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف .

٢- أتل القرآن أو طالع أو استمع أو أذكر الله ولا تصرف جزءا من وقتك فى غير فائدة .

٣- اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الاسلام .

٤- لاتكثر الجدل فى أى شأن من الشئون أيا كان فإن المراء لا يأتى بخير .

٥- لاتكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .

٦- لا تمزح فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجد .

٧- لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامعون فإنه رعونة وإيذاء .

٨- تجنب غيبة الاشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير .

٩- تعرّف الى من تلقاه من إخوانك وإن لم يطلب إليك ذلك فإن أساس دعوتنا : الحب والتعاون .

١٠- الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك مهمة فأوجز فى قضائها .

حدثنى الاستاذ الدكتور سعيد عرفة - وهو معار لجامعة أم القرى ويهتم

بالدراسات الاسلامية ، أن تلك الوصايا هى أول ماجتذبه الى فكر حسن البنا، وشده نحو التحمس للدراسات الاسلامية .

الاصلاح الاجتماعى

يرى الامام الشهيد أن القرآن الكريم هو الجامع لأصول الاصلاح الاجتماعى الشامل ، فقد جمع الله فيه تبيان كل شىء ، واشتمل منهاجه هذا على أسس وركائز نجملها فيما يلى :

الربانية - التسامى بالنفس الانسانية - تقرير عقيدة الجزاء - إعلان الأخوة الانسانية ، النهوض بالرجل والمرأة جميعا - تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة ، والملك ، والعمل ، والصحة ، والحرية ، والعلم ، والأمن لكل فرد ، وتحديد موارد الكسب - ضبط الغريزتين الاساسيتين : غريزة حفظ النفس وغريزة حفظ النوع ، مع تنظيم مطالب الفم والفرج - الشدة فى محاربة الجرائم الاصيلة - تأكيد وحدة الأمة - إلزام الأمة بالجهاد فى سبيل الله - اعتبار الدولة ممثلة لفكرة وقائمة على حمايتها ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع وإبلاغها الى الناس جميعا .

وفي رسالة " نحو النور " حدد الامام حسن البنا منهج الاخوان المسلمين بشأن الاصلاح الاجتماعى على هيئة اقتراحات مقدمة للحكام والرؤساء شملت النواحى السياسية والقضائية والادارية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية على أسس إسلامية .

رأيه في الأحزاب المصرية (١)

فيما يلى نتفا مما كتبه الامام الشهيد حول الأحزاب :

---

(١) رسالة : مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى

... إن الحكم النيابى فى أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة ، فليس فى انجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر ، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة ، وتجمعهما دائما المسائل القومية المهمة ، فلا تجد لهذه الحزبية أثرا البتة - كما أن امريكا ليس بها إلا حزبان كذلك لانسمع عنهما شيئا إلا فى مواسم الانتخابات ، أما فيما عدا هذا ، فلا حزبية ولا آحزاب - والبلاد التى تطورت فى الحزبية وأسرفت فى تكوين الأحزاب ذاقت وبال امرها فى الحرب وفى السلم على السواء ، وفرنسا أوضح مثال لذلك ...

لقد انعقد الاجماع على ان الاحزاب المصرية هى سيئة هذا الوطن الكبرى ، وهى اساس الفساد الاجتماعى الذى نصطلى بناره الان ، وانها ليست احزابا حقيقية بالمعنى الذى تعرف به الاحزاب فى آى بلد من بلاد الدنيا، فهى ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الامة اقتضت الظروف فى يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية . كما انعقد الاجماع على أن هذه الاحزاب لا برامج لها ولا مناهج ، ولا خلاف بينها فى شيء أبدا إلا فى الشخصيات ، وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم . وبما أن الاحزاب هى التى تقدم الشيوخ والنواب ، وهى التى تسير دفة الحكم فى الحياة النيابية ، فإن من البديهى ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يسيرون دفته .

وإذا كان الامر كذلك فلا ندرى ماالذى يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم ، هذه الشيع والطوائف من الناس التى تسمى نفسها الاحزاب السياسية ؟ إن الامر جد خطير ، ولقد حاول المصلحون ان يصلوا الى وحدة ولو موقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد ، فيئسوا وأخفقوا ، ولم يعد الامر يحتمل أنصاف الحلول ، لا مناص بعد الان من أن

تحل هذه الاحزاب جميعا ، وتجمع قوى الامة فى حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها ، ويضع اصول الاصلاح الداخلى العام ، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق فى التنظيم فى ظل الوحدة التى يفرضها الاسلام .

الاخوان والسياسة

يقول الامام : .... ويقول قوم آخرون إن الاخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية ، ولهم من وراء ذلك مآرب آخرى ، ولا ندرى الى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالالقاب ، وتترك يقينا يؤيده الواقع فى سبيل ظن توجيه الشكوك ؟ .

ياقومنا إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الامة قدوتنا ، وندعوكم الى الاسلام وتعاليم الاسلام واحكام الاسلام وهدى الاسلام فان كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا وإن كان من يدعوكم الى هذه المبادىء سياسيا فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة ، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ماشئتم فلن تضرنا الاسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات .

ياقومنا لا تحجبكم الالفاظ عن الحقائق ، ولا الاسماء عن الغايات، ولا الاعراض عن الجواهر ، وإن للاسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الاخرة ؛ وتلك هى سياستنا لا نبغى بها بديلا فسوسوا بها أنفسكم ، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

فكرة الاخوان تضم كل المعانى الاصلاحية

كان من نتيجة الفهم العام الشامل للاسلام عند الاخوان المسلمين ان

شملت فكرتهم كل نواحى الاصلاح فى الامة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الاصلاحية ، واصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبى الاصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها ، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك إن الاخوان المسلمين :

(١) دعوة سلفية : لأنهم يدعون الى العودة بالاسلام الى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) وطريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شىء ، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

(٣) وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والاعراض عن الخلق والحب فى الله والارتباط على الخير .

(٤) وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر الى صلة الامة الاسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته الى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " إن لبدنك عليك حقا " وإن تكاليف الاسلام كلها لايمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق ، ولأنهم تبعا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيرا من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الاسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الاخوان هى فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية : لأن الاسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذى يقول نبيه صلى الله عليه وسلم: " نعم المال الصالح للرجل الصالح " ويقول : " من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له " ، " إن الله يحب المؤمن المحترف " .

ملحوظة : كان للاخوان ٥ منشآت اقتصادية ، هى دار الاخوان للصحافة ، ودار الاخوان للطباعة (ويرأس الامام مجلسى إدارتهما) وشركة الاعلانات العربية (التى كنت أشرف بإدارتها) وشركة المعاملات الاسلامية (التى كان يديرها الاخ رياض جمجوم يعاونه الأخ محمد عبد الكريم) ومستوصف الاخوان (الذى كان يديره الدكتور محمد سليمان الاستاذ بكلية الطب) .

رأيه فى الحكومة فى الاسلام

يقول الامام الشهيد : يفترض الاسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه :" إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه"، كما قال فى حديث آخر لبعض أصحابه كذلك : " وإذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلا " .

فمن ظن أن الدين ـ أو بعبارة أدق الاسلام - لا يعرض للسياسة ، أو أن السياسة ليست من مباحثه ، فقد ظلم نفسه ، وظلم علمه بهذا الاسلام ، ولا أقول ظلم الاسلام فإن الاسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وجميل قول الامام الغزالى - رضى الله عنه - "أعلم أن الشريعة أصل ، والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع " فلا تقوم " الدولة " الاسلامية إلا على أساس " الدعوة"

حتى تكون " دولة رسالة " لا تشكي إدارة ، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها - كما لاتقوم " الدعوة " إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها .

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل ، ففصلنا الدين عن السياسة عمليا ، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريا فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام ، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا " الذوق الاسلامى " فى الرءوس ؛ والنظرة الاسلامية فى النفوس ، والجمال الاسلامى فى الاوضاع باعتقادهم وإعلانهم وعملهم أن يباعدوا دائما بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة ، وهذا أول الوهن وأصل الفساد .

ويقول عن دعائم الحكم الاسلامى أن الحكومة فى الاسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة ، هى الهيكل الأساسى لنظام الحكم الاسلامى .. فهى تقوم على " مسؤلية الحاكم " و " وحدة الأمة " و" احترام إرادتها " ، ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

كذلك فإنه يقول ردا على من يتهم الاخوان بالسعى الى حكم البلاد ... فالاخوانالسملمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الامة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الامانة والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لاتنفذ أوامر الله .

وعلى هذا فالاخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الامة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنشر فيها مبادىء الاخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

رأيه فى نظام الانتخاب

يرى الامام أنه لابد من تعديل واصلاح نظام الانتخاب ، ومن وجوه هذا الاصلاح مايلى :

١- وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم ؛ فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح - وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهم من الصفات والمناهج الاصلاحية مايؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة ، وهذا المعنى مرتبط الى حد كبير بإصلاح الأحزاب فى مصر ، ومايجب ان يكون عليه امر الهيئات السياسية فيها .

٢- وضع حدود للدعاية الانتخابية ، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود . بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعانى الشخصية البحتة التى لا دخل لها فى أهلية المرشح وانما تدور حول المناهج والخطط الاصلاحية .

٣- إصلاح جداول الانتخاب ، وتعميم نظام تحقيق الشخصية ، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمرا عجبا بعد ان لعبت بها الاهواء الحزبية والاغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة ، وفرض التصويت إجباريا.

٤- وضع عقوبة قاسية للتزوير من أى نوع كان . وللرشوة الانتخابية كذلك .

٥- وإذا عدل الى الانتخاب بالقائمة ، الى الانتخاب الفردى كان ذلك أولى وأفضل ، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم ، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية فى تقدير النواب والاتصال بهم .

رأيه فى النظام الاقتصادى

يتلخص نظام الاسلام الاقتصادى فى عوامل أهمها :

١- اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره .

٢- إيجاد العمل والكسب على كل قادر .

٣- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ، ووجوب الاستفادة من كل مافى الوجود من قوى ومواد .

٤- تحريم موارد الكسب الخبيث .

٥- تقريب الشقة بين مختلف الطبقات ، تقريبا يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٦- الضمان الاجتماعى لكل مواطن ، وتأمين حياته ، والعمل على راحته وإسعاده .

٧- الحث على الانفاق فى وجوه الخير ، وافتراض التكافل بين المواطنين ، ووجوب التعاون على البر والتقوى .

٨- تقرير حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصة مالم تتعارض مع المصلحة العامة .

٩- تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم ، والتدقيق فى شؤون النقد .

١٠- تقرير مسؤولية الدولة فى حماية هذا النظام .

والذى ينظر فى تعليم الاسلام ، يجد فيه هذه القواعد مبينة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الاسلامى بأوسع بيان .

رأيه فى القومية المصرية والعربية والشرقية والعالمية

كما أن دعوتنا هذه ربانية تدعو الى هجر المادية ومقاومتها والوقوف فى وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار الى الله والايمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته فى كل عمل ، فهى كذلك انسانية تدعو الى الاخوة بين بنى الانسان وترمى الى اسعادهم جميعا لانها اسلامية ، والاسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون آخرى " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " " قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى

له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون " " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ...

(أ) فالمصرية أو القومية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها من الكفاح والنضال .

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة فى الارض التى نبتنا فيها ونشأنا عليها ومصر بلد مؤمن تلقى الاسلام تلقيا كريما وذاد عنه ورد عنه العدوان فى كثير من أدوار التاريخ وأخلص فى اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وانبل العواطف وهو لا يصلح إلا بالاسلام ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا طب له إلا بعلاجه ...

(ب) والعروبة : لها فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر ، فالعرب هم أمة الاسلام الأولى وشعبه المتخير وبحق ماقاله صلى الله عليه وسلم : " إذا ذل العرب ذل الاسلام " ولن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها وإن كل شبر أرض فى وطن عربى نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا .

فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لاتمزق فى انفسنا أبدا معنى الوحدة العربية الاسلامية التى جمعت القلوب على امل واحد وهدف واحد وجعلت من مكان هذه الاقطار جميعا أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون ....

(ج) والشرقية لها فى دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذى يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتيا طارئا إنما ولده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته وانعزاله عن هذه الامم التى سماها الامم الشرقية بتقسيمه العالم الى شرقي وغربى ، وندائه بهذا التقسيم ... أما حين يعود الغرب الى الانصاف ويدع سبيل الاعتداء والاجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل

محلها الفكرة الناشئة ، فكرة التعاون بين الشعوب على مافيه خيرها وارتقاؤها .

(د) أما العالمية أو الانسانية فهى هدفنا الاسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الاصلاح والدنيا صائرة الى ذلك لا محالة فهذا التجمع فى الأمم ، والتكتل فى الأجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة ، كل ذلك ممهد لسيادة افكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التى آمن بها الناس من قبل ؛ ......

رأيه فى الخلافات الدينية

يقول الامام الشهيد تحت عنوان " تجمع لاتفرق " . أن دعوة الاخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب الى طائفة خاصة ، ولا تنحاز الى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة ، وهى تتوجه الى صميم الدين ولبه ، ونود ان تتوحد وجهة الانظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والانتاج أعظم واكبر ، فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملوثة بلون، وهى مع الحق أينما كان ، تحب الاجماع وتكره الشذوذ ، وان أعظم مامنى به المسلمون الفرقة والخلاف واساس ما انتصروا به الحب والوحدة ، ولن يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها ....

رأيه فى الأقليات غير المسلمة

يظن الناس أن التمسك بالاسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الامة المسلمة ، وينافى الوحدة بين عناصر الامة

وهى دعامة قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر ، ولكن الحق غير ذلك بالمرة فإن الاسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة ، وذللها من قبل ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لايحتمل لبسا ولا غموضا فى حماية الأقليات ، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص:"لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان إليهم ، وإن الاسلام الذى قدس الوحدة الانسانية العامة فى قوله تعالى : "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الايمان بالاديان السماوية جميعا فى قوله تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " أ..

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولا عدوان فقال تبارك وتعالى : " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون "

هذا الاسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والوسطية البالغة لايمكن أن يكون اتباعه سببا فى تمزيق وحدة متصلة ، بل بالعكس إنه أكسب هذه

الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط...

ذلك موقف الاسلام من الأقليات غير المسلمة ، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه ، وموقفه من الاجانب موقف سلم ورفق مااستقاموا وأخلصوا .

رأيه فى الاصلاح بالقوة

يقول الامام الشهيد فى معرض موقف الاخون من مصر الفتاة فى قضية تحطيم الحانات :

... ومعلوم أنه ما من غيور فى مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة ، وقد كتب الاخوان يلقون تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه لأنها هى التى أحرجت شعبها المسلم هذا الاحراج ولم تفطن الى ذلك التغيير النفسانى والاتجاه الجديد القوى الذى طرأ عليه من تقديس الاسلام والاعزاز بتعاليمه · وقديما قيل قبل أن تأمر الباكى بالكف عن البكاء تأمر الضارب أن يرفع العصا ، ونحن نعتقد أن هذا التحدى لم يحن وقته بعد ، ولا بد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه ، وإنفاذه بصورة أخف ضررا ...

طبيعة الاخوان

يقول الامام الشهيد مخاطبا الاخوان :

أيها الأخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الامة فيحييه بالقرآن ؛ ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ؛

وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم : ومن الحق الذى لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ! فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لانعرف هذه الأقسام ...

تلك بعض أفكار الامام نقلتها بنصها ، وهى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على أنه كان سابقا لعصره .

الباب الثانى

أما بعـــد

كان الامام الشهيد معى فى حياته ، واستمر معى بعد استشهاده ، أتمثله فى كل عمل أقوم به ، وأطبق ماتعلمته منه : الصبر ، والاخلاص ، والتفانى فى العمل ، والاتقان فيه ... فالعمل عبادة .

الفصل السادس : العمل فى منشآت الأعمال

الفصل السابع : الجامعة وماصاحبها من أحداث

الفصل السادس

العمل فى منشآت الاعمال

ماكانت منشآت الأعمال التى عملت بها ، إلا مدارس تعلمت منها الكثير ، بقدر ماأعطيتها من وقت وجهد ، آخذت منها خبرة لاتقدر بمال ، كانت عونا لى فى مرحلة العمل بالجامعة ومنشآت آخرى للأعمال فيما بعد .

البحث عن عمل

تعلمت من الامام الشهيد الاخلاص فى العمل والاتقان باعتبار أن الله يحب إذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه ، والعمل هنا هو أى عمل مهما كان المخدوم . كذلك تعلمت منه الوفاء ، وهو صفة نادرة فى هذا الزمان .

وكنت وأنا أعمل مديرا لشركة الاعلانات العربية فى الفترة من ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٠ معروفا لمندوبى الاعلان العاملين لدى الصحف المصرية ، كما كنت معروفا لمديرى الاعلانات . وكنت مهتما بدراسة الاعلان من الوجهة العلمية، لذلك سجلت رسالتى للماجستير فى الاعلان : " دراسة تحليلية لوكالات الاعلان فى مصر " فى عام ١٩٤٧ وقطع الاعتقال فى ديسمبر ١٩٤٨ مسيرتها حتى أنتهيت منها فى عام ١٩٥٣ ، ثم تقدمت للدكتوراه ، وحصلت عليها فى عام ١٩٦٣ ، وكانت فى الاعلان ايضا ، وموضوعها : " الاعلان وعلاج مشكلات مندوبيه فى مصر " .

فى مصنع صابون شاهين

بعد خروجى من المعتقل فى يناير ١٩٥٠ ، عملت مديرا لمصنع صابون شاهين . كان محمد بك شاهين صاحب المصنع قد اختلف مع حمدى ابنه من زوجته الأولى والذى كان يدير المصنع ، فأقسم يمينا بالطلاق ليجدن مديرا للمصنع من خارج الأسرة . رشحنى لهذه الوظيفة المرحوم الاستاذ السيد أبو النجا الذى كان يعرفنى جيدا - وكان آنذاك مديرا لشركة الاعلانات المصرية التى توليت إدارتها بعده .

بعد عملى فى المصنع لمدة شهر ، لاحظت أن حمدى بدأ يتردد عليه ، ثم علمت من محاسب المصنع أن الأهل قد تدخلوا بين صاحب المصنع وابنه

وأصلحوا ذات بينهما ، فلم يكن أمامى إلا أن أقدم استقالتى بعد شهر واحد من عملى هناك . أثناء هذا الشهر حاولت أن أصلح من أمر المصنع ، حيث كان الصابون النابلسى لا يتيسر إمساكه باليد لكبر حجم القطعة منه ، وكانت المبيعات تتم عن طريق البريد إذ يرسل العملاء طلباتهم للمصنع بريديا ثم يتولى موظف فيه بإرسالها اليهم على هيئة طرودبالسكة الحديدية . فلم يكن هناك جهاز للبيع ، وعملت الدراسة الخاصة بإنشاء ذلك الجهاز ، غير أنه لم تتح لى الفرصة للتنفيذ .

محاولات

جلست بعد ذلك ثلاثة شهور أبحث عن عمل . ذهبت مع صديقى المرحوم عز الدين عطاطة لمقابلة يس سراج الدين الذى كان محاميه الخاص ، لكى أعمل مديرا .لاعلانات جريدة النداء الاسبوعية ، فأحالنى الى المسيو كوهين مدير إدارة الجريدة الذى عرض على ٢٠ جنيها فى الشهر . تركته وانصرفت ... ذهبت بعد ذلك الى حافظ رمضان باشا الذى كان يلتقى مع الامام فى مكتبى ، فأحالنى الى أحد الباشوات رئيس مجلس إدارة شركة جركو، فاعتذر لى بأن راتبى كبير والشركة لاتستطيع تحمله . (علمت بعد ذلك أن هذه الشركة كانت فى ضائقة مالية بسبب سوء إدارتها) .

شركة مصر للمستحضرات الطبية

فى يوم ما اطلعت فى جريدة الاهرام على أعلان يطلب مديرا تجاريا لاحدى الشركات على عنوان بريد معين . بادرت بإرسال طلب الى ذلك العنوان موضحا مؤهلاتى ، فجاءنى الرد بعد أربعة أيام طالبا منى التوجه لمقابلة رئيس مجلس إدارة شركة مصر للمستحضرات الطبية . توجهت لمقابلته ،

ووافق فى نفس الجلسة على تعيينى ، وسألنى كم أطلب راتبا ، فأجبته بأنى أفضل أن أعمل لمدة شهر بدون ارتباط على راتب ، وله فى آخر ذلك الشهر أن يقرر مايراه ملائما . أثناء ذلك الشهر أخذت اتعرف على أحوال الشركة ونظام البيع فيها ، فوجدت أنها تستخدم مندوب مبيعات واحد للوجه البحرى ، وآخر للوجه القبلى وثالثا للقاهرة . كما كان لها مندوب دعاية (يشرح الأدوية للأطباء) للوجه البحرى وآخر للوجه القبلى وثلاثة مندوبين للدعاية بالقاهرة ، وهم من الصيادلة غير المتفرغين .

وضعت تنظيما جديدا للميعات ، يقضى بتقسيم مصر الى ٨ مناطق بالاضافة الى توكيل بالاسكندرية يغطى الاسكندرية والبحيرة . واخترت مندوبين بناء على اعلان ، بمواصفات معينة وراتب صغير من ١٠ الى ١٢ جنيها ، وعمولة ٣ ٪ (كانت العمولة من قبل ١٪ والراتب ٣٠ جنيها) بحيث يصلح المندوب للبيع والدعاية فى آن واحد ، وذلك حتى نتلافى إلقاء مندوب الدعاية العجز فى المبيعات على مندوب البيع فى حين يلقى مندوب البيع التبعية على إهمال مندوب الدعاية .

بعد شهر قفزت المبيعات من ٣ الاف جنيه شهريا الى ٦ الاف ، ثم ٩ الاف ... الى أن وصلت الى ٣٠ الفا شهريا فى نهاية العام .

فى عام ١٩٥٢ حضر الى مكتبى الدكتور احمد السرياقوسسى وكيل الشركة بالاسكندرية من اجل جدولة الديون المدين بها للشركة . وأحضر معه علبة من الحلوى وعلبة صغيرة مغلفة بالقطيفة . ثم ذهبنا معا لقلم القضايا ببنك مصر (الذى تتبعه الشركة) لتوقيع الاتفاق هناك . بعد أن خرجنا ، هرول الى سيارة تاكسى ليلحق بالقطار . ناديته وقلت له : لقد نسيت شيئا ما فى مكتبى ، فقال : إنها هدية بسيطة من ابنتى الى ابنتك المولودة

حديثا . غضبت جدا ، ولكنه كان قد فر بالسيارة ... ذهبت له بعد ذلك في الاسكندرية ولقنته درسا لن ينساه ، وأعدت له الحلية الذهبية التى تركها بمكتبى . أما الحلوى فكنت قد وزعتها على الموظفين .

تعرفت أثناء عملى بالشركة على أنواع الأدوية وتركيباتها ومسمياتها ، وكذلك المستحضرات الصيدلية الأخرى كالكولونيا ومواد التجميل ، وعاوننى على ذلك الدكتور رياض زين الدين مدير المعامل رحمة الله عليه .

كانت سكرتيرة رئيس مجلس الادارة زوجة أحد الشيوعيين الذين قابلتهم بالمعتقل ولعبت معهم الشطرنج .

شركة النيل للاعلان

فى عام ١٩٥٤ جاءنى الاستاذ فرج حفنى مندوب الاعلانات بدار الهلال، يدعونى لمقابلة وجيه أباظة رئيس مجلس إدارة شركة النيل للاعلان ، وكان فرج قد انتقل للعمل بها . أبلغنى أن الشركة فى حالة سيئة ، وأن مندوبى الاعلانات - الذين يعرفوننى من قبل - قد رشحونى لادارة الشركة . ذهبت الى وجيه أباظة - وكنت زميلا له فى مدرسة الزقازيق الثانوية - فطلب منى الاستقالة من شركة مصر للمستحضرات الطبية ، ولما كان فى ذلك مخاطرة ، فقد عرضت عليه أن أعمل معه مساء كل يوم لمدة ستة شهور ، أقرر بعدها الاستقالة ، ذلك حتى أتعرف على الشركة وتتعرف الشركة على .

بعد ثلاثة شهور قال لى : لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك ، وعليك أن تستقيل فورا وتحضر لتعمل معى كل الوقت . قدمت استقالتى من شركة مصر ، وتسلمت عملى مديرا عاما لشركة النيل للاعلان .

كانت شركة النيل للاعلان هى باكورة شركات الثورة ، وافتتحها قبل ذلك بعام الرئيس عبد الناصر . وكان وجيه أباظة حتى ذلك الوقت يعمل مديرا لادارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

لم أعلم أن الشركة قد فقدت رأسمالها كله إلا بعد أن عملت بها لمدة ٤ شهور ، حيث أخفى عنى الاستاذ محمد عبد الله رئيس حساباتها الأمر حتى لا أترك الشركة . وكان محمد عبد الله يعمل مديرا ماليا لاخوان جعفر - أصحاب ٣ من كبار دور السينما فى مصر ، وعمل بعد ذلك رئيسا لشركة الفنادق المصرية ، ولازالت تربطنى به صداقة حميمة .

كانت احوال الشركة سيئة للغاية إذ أن نفقاتها تزيد على ضعفى إيراداتها. وكان بها مجموعة من السكرتيرات اليهوديات واليونانيات والايطاليات اللائى لايتميزن إلا بالجمال فحسب . سرعان ماتخلصت من هؤلاء جميعا ، لدرجة أنه أشيع فى الشركة أنى ضد البنات . وهذا غير صحيح فى جملته ... كذلك كان هناك اثنان من الضباط : النقيب على الجارحى وقائد الاسراب محمود زكى ، وكانا لايدريان عن الاعلان شيئا ، وإذا توجه أحدهما لمقابلة أحد العملاء أبلغه أنه من المخابرات . لذلك أشيع عن الشركة - ظلما وكذبا - بأنها من أجهزة المخابرات .

جلست فى الشركة حتى نهاية عام ١٩٥٤ احاول إصلاح حالها ، واستطعت بفضل الله مع الجد والمثابرة أن أحول خسائرها من ٣٠٠٠ جنيه شهريا الى أرباح قدرها ٢٥٠ جنيها ... وعينت بها مجموعة من المتخصصين فى الاعلان مثل محى الدين ترك للحملات الاعلانية ، وموسى عبد الحفيظ لاعلانات السينما ، والمرحوم صلاح عبد الجيد لاعلانات الصحف .

كانت الشركة مدينة بالشىء الكثير ، وكنت أعانى لأجمع مرتبات العاملين ، لدرجة أنى كنت أوقف الصرف بعد منتصف الشهر لكى تتجمع المرتبات من الايرادات .

حضر الى مكتبى مدير الاعلانات بإحدى الشركات الكبرى عارضا على استئجار لافتات بمحطات السكك الحديدية - وكان امتيازها ملكا لنا - لمدة ٥ سنوات على أن تسدد شركته ايجار العامين الأولين مقدما ، ويبلغ عشرة الاف جنيه ، بشرط أن يتقاضى هو ثلاثة الاف لنفسه . تلك رشوة ... والراشى والمرتشى فى النار ... ولكى لا أضيع فرصة على الشركة بعثت به الى رئيس مجلس الادارة الذى اتفق معه .وحرر له شيكا بالمبلغ .

ثم ساءت العلاقة بينى وبين وجيه أباظه ، بسبب تمسكه بالضابطين فى حين أنى طلبت استبعادهما من الشركة ، وبسبب الدس والوقيعة التى يمارسها المحيطون به ، ولرفضى صرف مبالغ مجاملة لضباط بحجة سفرهم للحصول لنا على توكيلات فى حين أنهم لايدرون شيئا عن الاعلان أو عمل الشركة.

وأثناء القطيعة التى حدثت بينى وبينه ، اتصل بى أحد أصدقائه الحيميين ، وأبلغنى أن محسن عبد الخالق عضو مجلس الادارة المنتدب لدار التحرير للطبع والنشر التى يرأسها أنور السادات والتى تتبعها شركة الاعلانات المصرية ، يريد مقابلتى .

ذهبت لمقابلتهما فى مقصف بشارع عماد الدين ، وسألنى محسن عن عملى بالشركة وأحوالها فقلت له إنها على مايرام . قال اننى أعرض عليك

أن تأتى معنا مديرا عاما لشركة الاعلانات المصرية مكان الاستاذ السيد أبو النجا . فقلت له : حقيقة إنى غير مرتاح فى شركة النيل ، ولكنى أحس أنى إذا تركتها فستتعرض للافلاس ، فضلا عن أن ذلك يعد خيانة من جانبى. غضب زميله قائلا : ابحث عن مصلحتك ولا تتمسك بهذا الوجيه أباظة . استغربت ذلك القول منه وهما صديقان . فقال محسن معبرا عن خلقه العالى : إنك كبرت كثيرا فى نظرى ، وأقول لك إن أبواب شركة الاعلانات المصرية مفتوحة لك فى أى وقت تشاء .

لم تمر ثلاثة أيام إلا واجتمع مجلس إدارة شركة النيل ، وقرر بناء على توصية وجيه أباظة ، ترقية على الجارحي ومحمود زكى مساعدين للمدير العام. كان هذا تحديا ، وفهمت المقصود منه وهو دفعى الى الاستقالة .

توجهت فور سماعى بهذا الخبر الى محسن عبد الخالق الذى طلب منى أن أقدم استقالتى فورا من شركة النيل واتسلم عملى ، فورا كذلك ، فى شركة الاعلانات المصرية .

ذهبت الى وجيه اباظة أقدم اليه استقالتى ، فوجدته على علم بمقابلة محسن عبد الخالق ، ذلك لأن رجال الثورة كانوا يتجسسون على بعضهم البعض.

أذكر أن وجيه أباظة سألنى يوم جمعة - وكان أجازتنا يوم الأحد - أين كنت من ساعة ؟ قلت كنت أصلى الجمعة . قال : فى مسجد الكخيا؟ قلت نعم لأنه أقرب مسجد . قال : أنظر ! هذا تقرير جاءنى توا يقول إنك صليت الجمعة فى مسجد الكخيا ، وهذا يدل على أن ميولك الاخوانية كما هى . أرجوك ! صل فى مكتبك ظهرا ولا داعى للجمعة فى هذه الأيام.

كان ذلك أثناء محاكمات ١٩٥٤ والأعصاب كلها مشدودة .

شركة الاعلانات المصرية

كان الهدف من تعييني مديرا للشركة ، هو أن أعمل على تمصيرها حيث كانت الادارة العليا يهودية ، كما كان رؤساء الأقسام من الأجانب : مسيو زيزوس مديرا للمكتب الفنى ، وجريسبوس مديرا لوكالة الاعلان ، وايزيدور حكيم للملصقات ، وبرونشتاين للادارة والحسابات ، علاوة على المندوبين اليهود .

بدأت أفكر فى كيف أمصر الشركة دون أن أعرضها لهزة قد تضر بمسيرتها ، فاخترت عددا من العاملين بها من حملة الشهادات العالية والذين أتوسم الخير فيهم ، وذلك بعد أن استعرضت كشوف العاملين جميعا . فوقع اختيارى على : عبد الحميد حمروش (عضو مجلس الادارة المنتدب لدار الهلال حاليا) ليعمل مع برونشتين مدير الادارة والحسابات ، وسيد مرسى (رحمه الله) ليعمل مع حكيم مديرا للملصقات ، وخضر عبد السلام (مدير عام الشركة بعد ذلك ومدير اعلانات العالم اليوم حاليا) ليتولى ادارة اعلانات الصحف، وسمير عبد السلام (سفير بالخارجية حاليا) ليتولى إدارة الاعلانات الصغيرة ، ومحمد خليل (رحمه الله) ليحل محل زيزوس ، وسمير جريس (مدير وكالة الاخبار للاعلان بعد ذلك) ليحل محل جريسبوس مديرا لوكالة الاعلان بالشركة . كلفت كلا منهم بأن يلاحظ عمل المدير الذى الحق به ، بشرط ألا يشعر المدير أنه رقيب عليه . ونبهت عليهم أنه إذا أحس أحد المديرين بأن الموظف عين عليه ، فإنى سأبادر بإلغاء تكليف الموظف .

سارت الأمور كما ينبغى . وكنا نجتمع سويا لنعرف مدى التقدم الذى آحرزه كل منهم ، حتى إذا جاء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وكنت آنذاك فى روسيا ، احتل كل من آولئك مكان المدير اليهودى أو الأجنبى ، حيث

اخرجت الحكومة الأجانب واليهود الفاقدى الجنسية من البلاد فجأة وبدون مقدمات .

كنت وأنا مدير للشركة أتجول في أنحائها لأتعرف على سير العمل بها، وكانت أبواب المكاتب شفافة من نصفها الأعلى ليتيسر رؤية مابداخلها . لاحظت أن احدى الموظفات تسير فى الطرقة الرئيسية التى تنتظم المكاتب على يمينها ويسارها ، جيئة وذهابا ، وهى ترتدى رداء أسودا قصيرا بغير أكمام، وتضع فى قدميها حذاء ذهبى اللون وتحكم الرداء بحزام ذهبى اللون كذلك . استدعيتها الى مكتبى ونصحتها كأخ كبير لها ألا تفعل ذلك ، فالموظفون معظمهم شبان وهم ينظرون اليها نظرة اشتهاء وليس نظرة اعجاب كما تظن . وعدتنى خيرا ، وعادت فى اليوم التالى بملابس فيها حشمة .

أقامت الشركة حفلها السنوى بكازينو عابدين - وأنا غائب فى روسيا - وأجريت مسابقة للرقص اشتركت فيها الموظفة المذكورة ، ورقصت رقصا بلديا جعل أنور السادات - وكان يتصدر الحفل - يتساءل عن هذه الفتاة ، فقال له من بجواره : هذه موظفة عندنا ، وهى ابنة أخت ... (راقصة مشهورة) . فقال أنور السادات : افصلوها .

بعد أعوام قابلتها مصادفة في مصعد العمارة التى كانت تقطنها شركة النصر للتصدير والاستيراد ، وإذا بها تحيينى وتقول : فاكر سعادتك لما فصلتنى ؟ لو لم تفعل لظللت شحاذة حتى اليوم !! .. ذلك لأنها كانت تعمل عارضة أزياء وممثلة فى تلك الأيام .

كانت غرفة أنور السادات الى جوار غرفتى فى بادىء الأمر عندما التحقت بشركة الاعلانات المصرية . وكان بيننا باب يفتح الى ناحيتى ،

فوضعت خلفه أريكة لكى لايتيسر دفعه من الجانب الاخر ليفتح . وأشهد أن أنور السادات كان شهما خدوما وعادلا ولايحيد عن الحق .

حينما تقرر سفرى لروسيا ومعظم دول الكتلة الشرقية فى صيف ١٩٥٦ ، بعث أنور السادات بخطابات تعريف عنى الى سفراء مصر فى تلك الدول ، وأخذت صورا من تللك الخطابات . فكنت إذا وصلت الى مطار دولة منها وجدت من ينادينى ، فأذهب فأجد سائق سيارة السفارة فى انتظارى ، وعليها العلم المصرى الحبيب ، وأذهب الى دار السفارة ليرحب بى السفير ويدعونى للعشاء، ثم يشكو لى احوال السفارة ونقص الاعتمادات ، لأنقل ذلك الى أنور السادات .

فى عام ١٩٥٧ تقرر سفرى مرة آخرى ممثلا لدار التحرير للطبع والنشر. وسألنى أنور السادات : أتريد خطابات تعريف أخرى ياعساف ؟ قلت : شكرا ياسيادة الرئيس (رئيس الدار) فإنهم يعرفوننى الآن . سافرت وطلبت كل سفير من الفندق الذى أنزل به . فكان ردهم جميعا: أهلا وسهلا .. أى خدمة ؟ فأقول : لا . شكرا .

ولأنور السادات موقف ينبغى تسجيله ويخص عصمت السادات شقيقه:

قصة عصمت السادات

وردت الى أنور السادات شكوى من مجهول تفيد بأن عصمت السادات وكيل الشركة بطنطا يختلس أموال الدار . أحال الى هذه الشكوى ، فرأيت أن أحققها بنفسى حتى لايشيع خبرها بين الموظفين ، ذلك بالرغم من أن الشكاوى من مجهول لم نكن نعيرها التفاتا ، بيد إن تلك الشكوى تتعلق بشقيق الرئيس ، ففيها شىء كثير من الحساسية .

فكرت فى كيف يمكن أن يتم الاختلاس ؟ ليس من سبيل إلا إعطاء العميل المعلن أو المشترك إيصالا بالمبلغ الذى يكون قد دفعه ، وتكون الصورة المبلغة للشركة والتى بكعب دفتر الايصالات بمبلغ أقل .. أخذت كعوب الايصالات وطلبت جراج الشركة وقلت جهزوا لى سيارة الى طنطا . ولم أكن أدرى أن لعصمت عيونا فى الشركة ... سافرت لكى أطابق الايصالات التى لدى كبار العملاء مع الكعوب التى معى . ذهبت الى الدكتور اميل عماد (مدير مصانع الصابون فى مدخل طنطا) وسألته عن الايصالات حتى نصحح بعض الأخطاء التى اكتشفناها فى دفاترنا إذ اختلطت حسابات بعض العملاء مع بعضهم الآخر ، فكان رده أن المدير المالى يحتفظ بالايصالات عنده وهو فى عطلة لمدة شهرين . ذهبت الى محلات الويشى ومحلات البشبيشى والقصراوى وحلمى ، وهم من كبار عملاء الشركة ، فكانت الاجابات تهربا بأساليب مختلفة ، مثل : نحن لانحتفظ بأية ايصالات .. أو نحن نعدمها لانها تدل على أننا نعلن عن أنفسنا وهذا يضرنا لدى مصلحة الضرائب ... وهكذا .

عدت بخفى حنين ، وكتبت لأنور السادات تقريرا بما حدث وانتهيت منه الى أن هناك شبهات ولكنها لاترقى لمستوى الحقائق . فأشر على التقرير بكلمتين : " يفصل فورا ". والتقرير وتأشيرة الرئيس عليه ، محفوظ ضمن مستندات دار التحرير للطبع والنشر حتى اليوم .

وهكذا فصل عصمت السادات ، وحرم عليه أنور السادات أن يدخل منزله ، وظل محروما من ذلك الى أن استشهد أنور السادات يوم احتفاله بذكرى انتصاره على اسرائيل .

فى عام ١٩٧٥ ، وكنت آنذاك عميدا لكلية التجارة بالمنصورة ، مررت على الدكتور محمد الدكرورى محافظ الدقهلية فى مكتبه ، فى طريقى

الى القاهرة . وجدت عنده رجلا جالسا أمام المكتب . سلمت وجلست .. قال لى الرجل : كيف حالك يادكتور عساف ؟ ألا تعرفنى ؟ فقلت : الشكل ليس بغريب على ! قال : أنا عصمت السادات . أتتذكر عندما فصلتنى من دار الجمهورية ؟ قلت له مصححا ، ليس أنا الذى فصلتك ، إنه أخوك والكل يعلم ذلك .

موقف آخر لأنور السادات

ساقر محسن عبد الخالق العضو المنتدب لدار التحرير وشركة الاعلانات المصرية ، الى المانيا ليشترى آلات طباعة حديثة للدار . كانت شركة النيل للاعلان فى ذلك الوقت تحتضر ، وعلم يقينا أن قرارا من مجلس قيادة الثورة على وشك الصدور بتصفيتها وتصفية شركات النيل الأخرى : للسينما ، وللنشر والتوزيع .

وبينما كان محسن عبد الخالق فى الخارج ، صدر قرار من عبد الناصر بتعيين وجيه أباظة عضوا منتدبا لدار التحرير . ولم يصدر بالقرار شىء عن محسن عبد الخالق .. احتفل الموظفون فى شركة النيل للاعلان بهذا النبأ لأنهم سوف ينقلون الى دار التحرير . وخرج أحدهم من مكتب وجيه أباظة فرحا قائلا : الآن يتم توقيع قرار فصل عساف من شركة الاعلانات المصرية .

جاءنى خبر ذلك عن طريق صديق كان موجودا هناك . فجلست فى مكتبى ذلك اليوم واليوم التالى لا أفعل شيئا وأنتظر ذلك القرار .

لست أدرى كيف عرف أنور السادات بهذا الأمر ، إذ استدعانى .. ذهبت اليه فقال : فيه ايه ياعساف ؟ قلت : لاشىء . قال : لا بل هناك أشياء . قل لى ماذا حدث ؟ فحكيت عليه ماسمعته ، فقال : ياعساف

أنت تعمل مع أنور السادات .. وطرق المكتب بشدة بقبضة يده وقال : أعلم أنه إذا أصابك أحد بأى سوء فسأنسفه . اذهب الى عملك مطمئن البال !

هكذا كان الرجل ، الذى كان والده حتى ذلك اليوم يعمل كاتبا فى مستشفى سليمان جوهر ، وكنت كلما ذهبت الى هناك لاجراء عملية لأحد أطفالى أو أقاربى - أجلس اليه وأتسامر معه . كان رجلا طيبا ، وكان رافضا أن يترك عمله ، بل ظل متمسكا به وابنه نائب لرئيس الجمهورية ... رحمة الله عليه وعلى ابنه الذى لم يجد غضاضة فى أن يعمل أبوه فى عمل بسيط بينما هو قريب من قمة السلطة .

أخلاق رجال الثورة

جاءنى الضابط صديق وجيه أباظة الحميم والذى عرفنى بمحسن عبد الخالق ، وكنت جالسا بمكتبى المجاور لمكتب الرئيس فى الساعة الثانية عشرة مساء أعد التنظيمات الجديدة المتعلقة بتمصير شركة الاعلانات المصرية . كان معى آنذاك صديقى موسى عبد الحفيظ صاحب الشركة الأهلية للدعاية والسينما بعد أن فصل من شركة النيل للاعلان فى أعقاب استقالتى منها . قال صديق وجيه : مارأيك .. أعزمك على العشاء فى مطعم التريومف فى مصر الجديدة ؟ قلت : المكان بعيد . قال : معى سيارة .

نزلنا من الشركة نحن الثلاثة ، وركبنا سيارة بيضاء مكشوفة (كابريوليه) علمت أنها سيارة ستوديو مصر التى كثيرا مانراها فى الأفلام القديمة . توجهنا الى شارع الخليفة المأمون . وعند مبنى من مبانى الجيش ، تحول هذا الصديق بالسيارة ودخل المبنى قائلا : هنا صديق سنراه لخمس دقائق . قلت : أنتظرك فى السيارة . قال : لا . تعال معى للحظات .

ارتقينا درجا حديديا الى الدور الأول ، ودخلنا غرفة ، كان بها شخص جالس الى مكتب ويرتدى بيجامة . قدمنى الصديق اليه : العقيد ع . ش .

جلست فنظر الى ع . ش . قائلا : نعم ! قلت : ماذا ؟ قال : الم تقل له يا (ج): قال لا ! أنا أحضرته لك وحسب ! ... كان الموقف عصيبا حيث كانت محاكمات الاخوان على عدم وساق . وأحسست أنى قد استدرجت الى فخ .

قال الرجل : لقد استدعيتك بناء على تعليمات من (عضو مجلس قيادة الثورة) لتقول لنا ماتعرفه عن وجيه أباظة !! ارتاحت نفسى ، فالأمر لايتعلق بسابق صلتى بالاخوان .. قلت : ماذا تريد أن تعرف عنه ؟ قال : علاقته بليلى مراد واختلاساته من شركة النيل . نحن نعرف أنك تركت شركة النيل وأنت على خلاف معه . قلت أجل .. ولكن ليس ذلك بمبرر لأدعى على وجيه أباظة ماليس فيه ... إن موضوع علاقته بليلى مراد تلوكه ألسنة الناس وتكتب عنه المجلات الفنية كل اسبوع، والعلاقة بينى وبينه لم تصل بعد الى أن يحكى لى أسراره الشخصية . أما عن تصرفاته فى الشركة فكلها سليمة، وأنا الذى أدير الشركة ، فإن كان بها اختلاسات فإنى أكون المسئول عن ذلك...

أسقط فى يده وقال : أفهم من ذلك أنك غير متعاون مع الثورة! (تهمة خطيرة فى ذلك الوقت) .. قلت : إن كان الذين يتعاونون مع الثورة هم ممن لاأخلاق لهم ، فأنا عندى أخلاق ومثل (تعلمتها من حسن البنا) .

انصرفنا ، ومن يومها انقطعت علاقاتى بـ (ج) ولم أعد أراه ، وعلمت أنه اشتغل بالأعمال الفنية ويملك مؤسسة كبيرة . والفضل فى ذلك لوجيه أباظة الذى عرفه بالوسط الفنى .

كانت علاقتى به من قبل حميمة ، ووالده كان يعمل معنا فى شركة النيل ، وكثيرا ماكان يدعونى للعشاء فى بيت والده المتواضع فى الدقى ، لأن والدته أعدت عشاء خصيصا لى .

توجهت فى اليوم التالى للشركة ، وأبلغت محسن عبد الخالق بما حدث، فقال لى معبرا عن كريم خلقه وتمسكه بالمثل العليا : ولا يهمك ... أنا معك على طول الخط .

بعد أيام من هذه الواقعة حضر الى مكتبى ألبير مزراحى ، الصحفى اليهودى ، وأبلغنى أنه مكلف من المباحث العامة بجمع معلومات عن وجيه أباظة .. قلت له أكتب ... فبدأ يكتب فى كراسة معه .. قلت : وجيه أباظة رجل شريف ... ولم أكمل ، لأنه توقف عن الكتابة وقال : ليس هذا الذى يريدونه . قلت له : الذى يريدونه ليس عندى .

وبعد يومين من ذلك حضر الى مكتبى أيضا ، مندوب إعلان كان يعمل فى جريدة الأساس لسان حال الحزب السعدى والتى أغلقت بعد الثورة ، وطلب منى نفس الطلب ، وأجبته نفس الاجابة . معنى هذا أنه كان هناك الحاح على تجريم وجيه أباظة - ولو بغير حق - من جانب زملاء السلاح وشركاء الثورة .

بعد أيام قليلة حضر الى مكتبى الضابط ع . ش . (الذى اقتادنى "ج" اليه فى مكتبه) ومعه ملف أزرق عليه شريط قماشى أخضر ، وقال : هذه هى ميزانية شركة النيل للاعلان ، وقد أظهروها رابحة ، ونحن نعلم أنها خاسرة، والسيد (وزير وعضو مجلس قيادة الثورة) يطلب منك أن توضح

مواطن التزوير فيها . قلت له : حقيقة هى خاسرة ، ولكن تخصصى هو إدارة الأعمال واليس المحاسبة ، ويمكنك أن تعرضها على خبير محاسب فيظهر لك مافيها من تزويرات .

ومرت الأيام ، ثم انتدبت للتدريس بقسم الصحافة الذى أنشأه المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وفى أول محاضرة آخذت أتفرس فى الطلاب الحاضرين ، وفوجئت بأن ع . ش . من بينهم .

هؤلاء الناس لايعلمون حقيقة الذين تربوا فى كنف حسن البنا ... كنت قد تبرعت بمكافأة التدريس وهى هزيلة - لصالح الطلبة غير القادرين بالكلية - ونشر الطلاب ذلك فى مجلة القسم ، وإذ بباقى الاساتذة المنتدبين للتدريس من المحررين والعاملين بالصحف المصرية يهاجموننى لموقفى هذا . ثم إنه قرب نهاية العام ، جاءنى ع . ش . فى مكتبى طالبا أن أساعده بتبيان الأجزاء المهمة من المذكرات له ... تصفحت معه المذكرات صفحة صفحة مبيننا أهميتها .. فقال فى النهاية : أيعنى هذا أن جميع المذكرات مهمة ؟ قلت : أجل . وإلا فما كان ينبغى لى أن أكتبها !!

عودة الى موضوع وجيه أباظة

فى اليوم التالى لصدور قرار عبد الناصر بتعيين وجيه أباظة عضوا منتدبا لدار التحرير للطبع والنشر وشركة الاعلانات المصرية ، تقابل وجيه صدفة مع صديقى محى الدين ترك ، الذى فصله وجيه بعد استقالتى لمجرد أنه صديقى. وقال له معاتبا : كيف يصح أن يحضر اليّ جميع المديرين بشركة الاعلانات (قبل تمصيرها) مهنئين ولا يحضر محمود عساف ؟ فقال له محيى : إنه ينتظر صدور قرارك بفصله مثلما قال سامى ندا وهو خارج من مكتبك ، ثم بعد ذلك سوف يحضر لتهنئتك ! أنكر وجيه ذلك وطلب منه

أن يدعونى باسمه الى العشاء فى بيته بمصر الجديدة ... ذهبنا الى العشاء وأصررت على اصطحاب محيى وصلاح عبد الجيد (صحفى قديم وصديق عزيز) ليكونا شاهدين على ماسوف يحدث .

تحدث وجيه أباظة قائلا : لننس مافات ، ولنبدأ من جديد .
قلت: لا . إن الجرح المتقيح ينبغى تنظيفه لاتغطيته ، لهذا لابد أن نتحاسب والمخطىء يقر بخطئه وحينئذ ينتهى الأمر . قال : ابدأ أنت .
قلت: هل صحيح أنك نبهت على موظفى شركة النيل أنه إذا قابلنى أحدهم مصادفة وسلم علىّ فإنك ستفصله ؟ قال : نعم حدث هذا ، قلت : لماذا ؟
قال : لأنى كنت غاضبا عليك . قلت : وما أسباب غضبك ؟ قال :
أولا : أنك تركت شركة النيل لتعمل بشركة الاعلانات براتب أكبر .
ثانيا : أنك كتبت تقريرا ضدى فى المخابرات ذكرت فيه أشياء عن ليلى مراد .
ثالثا : أنك صرفت رشوة لأنطون شوشة .

قلت : ألا يوجد رابعا ؟ قال : لا .

رددت عليه بالاتى : أولا : أنا لم أتركك طمعا فى راتب أكثر ، بل كنت أتقاضى عندك ١٤٠ جنيها شهريا (تعادل اليوم ٧ الآف جنيه) وأنا أتقاضى الآن مبلغ ١٠٠ جنيه تحت الحساب الى أن يجتمع مجلس الادارة المكون من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محى الدين وانور السادات ، ليقرروا ماينبغى لى من راتب . وتستطيع أن تتعرف على راتبى بالتليفون باعتبارك عضوا لمجلس الادارة المنتدب وفقا للقرار الصادر لك بالامس .

أما عن التقرير ، فقصصت عليه المحاولات التى جرت لكى أقول شيئا ضده . ولكن لم أذكر له الأسماء برغم الحاحه على معرفتها . وقال إن

الملف الأزرق المحتوى على الميزانية هو الذى قدمه بنفسه لعضو مجلس الثورة .
وأما عن صرف الرشوة ، فذكرته بأنه هو الذى اتفق عليها وهو الذى وقع على شيكها . ثم ذكّرته بأن هناك واقعتان أعرفهما أنا وهو والاستاذ رشاد الميقاتى، وأنى لو أردت أن أبلغ شيئا عنه ، فكان لابد من أن يتضمن تقريرى تلك الواقعتين ... وسألته : هل يتضمن إحداهما أو كليهما ؟ فقال : لا. قلت: إن ماتقوله عن تقرير عن علاقتك بالفنانة (ل . م) ، يعد شيئا تافها بالمقارنة مع هاتين الواقعتين . وأنا بصفة عامة لم أشر اليهما لأنهما لم يوضعا موضع التنفيذ فرجعت عنهما بعد مناقشتى لك فيهما .

قال فى نهاية اللقاء : مارأيك فى أن أذهب غدا للدار وأتسلم عملى هناك ؟ قلت له : من رأيى أن تنتظر حتى يعود محسن عبد الخالق من الخارج . فأنت تعرف صلته بعبد الناصر، ويحتمل أن يقابله ومن ثم يلغى قرارك.

استمع الى نصيحتى . وجاء محسن عبد الخالق بعد اسبوع ، وفى اليوم التالى لعودته ، ألغى قرار تعيين وجيه أباظة .

شركة النيل للنشر والتوزيع

فى أحد أيام عام ١٩٥٤ - وأنا أعمل مديرا لشركة النيل للاعلان - حدثنى السيد وجيه أباظة رئيس مجلس إدارتها ، قائلا إن الرئيس عبد الناصر قد أصدر تعليماته بتأسيس شركة لنشر وتوزيع الكتب والصحف بأنواعها، على أن تكون شركة توصية بسيطة ، برأسمال قدره خمسة آلاف جنيه ، يدفع منها وجيه أباظة ٣٠٠ جنيه وأدفع ٢٠٠ جنيه باعتبارنا شريكين متضامنيين ، ويدفع الاستاذ شكرى ديمترى المحامى مبلغ ٤٥٠٠ جنيه كشريك موصى . وكان شكرى ديمترى وقتذاك نقيبا للمحامين بالشرقية ومستشارا قانونيا لشركة النيل للاعلان .

أبلغته أنى لا أملك مبلغ المائتى جنيه المطلوبة ، فقال : لايهم ، فإن الذى سيدفع كل رأس المال هى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

حضر الموثق من الشهر العقارى ووقعنا أمامه ، وبدأت الشركة فى العمل . وباعتبارها مملوكة للشئون العامة فإنه لم يكن لى الحق فى التدخل فى إدارتها . علمت فيما بعد أنهم يستعدون لاصدار مجلة البعكوكة، وهى مجلة هزلية كانت تصدر فى الماضى وتوقفت عن الصدور ، ثم أصدروا دليل الجيزة .

اشترت الشركة مطابع مسامرات وروايات الجيب التى كانت يملكها الاستاذ عمر عبد العزيز أمين . ثم انقطعت أخبار الشركة عنى الى أن أشيع أن مجلس قيادة الثورة سيصدر قرارا بتصفية شركات النيل : للاعلان والسينما والنشر والتوزيع .

حينئذ حاول وجيه أباظة أن يبيع المطابع بيعا صوريا لأحد أصدقائه ، هو أحمد رفعت حسين ، الذى كان شديد التملق لوجيه وهو فى السلطة ، لدرجة أن وجيه ساعده على تعيين شقيقه عضوا بمجلس الامة .

أعد وجيه أباظة عقد البيع بواسطة أحد المحامين ، وكذلك أعد ورقة ضد ، تثبت أن المطبعة المباعة ملك لوجيه أباظة وأن البيع لاغ ، وكانت هذه الورقة مؤرخة بعد يوم واحد من تاريخ عقد البيع .

طلب وجيه أباظة من أحمد رفعت حسين أن يوقع على العقد وعلى ورقة الضد . فاستأذنه رفعت فى أن يعرض العقد والورقة على أحد المحامين ،

فسمح له بذلك . أخذ رفعت العقد والورقة ، وعاد بهما بعد ساعة . موقعا عليهما منه ... قال وجيه أباظة مازحا : أهذا توقيعك يارفعت ؟ قال : إذا كنت تشك .. أوقع مرة أخرى أمامك إذا لم تكن لك بى ثقة ! قال وجيه : لابأس أنا لا أستطيع أن أفترض فيك الخيانه ونحن أصدقاء . ثم طلب من صديقه محمد أبو الفضل الجيزاوى وكان جالسا الى جواره ، أن يوقع بصفته شاهدا على صحة التوقيع . (كان أبو الفضل أحد الضباط الأحرار الذين تفرغوا للعمل الخاص كمحام واشتغل بالنشاط السياسى وكان عضوا بمجلس الامة عن دائرة الجيزة) .

مرت الأيام ، وصفيت شركة النيل للنشر والتوزيع مع أخواتها من شركات النيل . ونمى الى علم وجيه أن أحمد رفعت حسين يبيع الآلات الخاصة بالمطبعة . فاستدعاه وسأله : يارفعت ! أنت تبيع ماكينات المطبعة؟ قال : نعم . قال : كيف ؟ أليست المطبعة ملكا لى ؟ فقال رفعت : لا ياسيادة قائد الجناح ، إن المطبعة ملكى أنا واشتريتها منك بعقد رسمى مسجل بالشهر العقارى . قال وجيه : ألم توقع ورقة ضد وسجلناها تسجيلا تاريخيا بالشهر العقارى ؟ فقال رفعت : آسف ياوجيه بك .. أنا لم أوقع على ورقة ضد!!

أبلغ وجيه اباظة النيابة عن هذه الواقعة ، وأحالت النيابة ورقة الضد الى مصلحة الطب الشرعى ، التى قارنت التوقيع عليها مع توقيع احمد رفعت حسين، فتبين لها أنه ليس بتوقيعه !!

بناء على ذلك وجهت النيابة للاستاذ محمد أبو الفضل الجيزاوى تهمة شهادة الزور !! وكانت جلسات فى النيابة ... وانتهت الى حفظ التحقيق بعد أن ثبت للنيابة حسن النية من جانب ابو الفضل .

عين وجيه أباظة بعد ذلك عضوا منتدبا لشركة الاعلانات المصرية ، ثم ألغى ذلك القرار مثلما أسلفنا ذكره ، ثم أعيد اصداره مرة خرى ، وتسلم وجيه أباظة عمله هناك . اتصل بى هاتفيا ، فذهبت أزوره مهنئا ، فعرض على أن أعود مديرا عاما للشركة ، فاعتذرت له شاكرا ، حيث كنت أعمل مديرا عاما بشركة النصر للتصدير والاستيراد ، وقلت له : أنا أفضل ألا نعمل معا حتى نظل أصدقاء .

ثم عين وجيه أباظة محافظا للبحيرة ، ثم محافظا للقاهرة ، ثم قبض عليه أنور السادات ضمن المتهمين بإعداد انقلاب ضده .

قضية الضرائب

أثناء ماكان وجيه أباظة محافظا للبحيرة ، جاءنى إخطار من الضرائب بأنى مدين للمصلحة بمبلغ ثلاثة الاف جنيه (مايعادل ١٥٠ ألفا حاليا) كضرائب مستحقة علىّ عن نشاط شركة النيل للنشر والتوزيع ، وأن السيد وجيه أباظة مدين بمبلغ ٤٥٠٠ جنيه . ونظرا لأننا شريكان متضامنان، فإن المصلحة سترجع على بمبلغ ٧٥٠٠ جنيه ... وهذا مبلغ ماكنت أملك عشره .

أحلت الموضوع لشقيقى علوى المحامى ، الذى طعن فى هذا التقدير لأن الشركة خاسرة وصفاها مجلس قيادة الثورة لهذا السبب ، ولأنى شريك صورى ماكنت أقدر على الاعتراض على اشتراكى فيها .

استشرت بعض الأصدقاء من المديرين بالضرائب ، فأشار على المرحوم الاستاذ اسماعيل عامر (وكان يمثل زكريا محى الدين فى مجلس إدارة شركة

الاعلانات المصرية) بأنه من الأفضل أن نطالب : أنا ووجيه أباظة ، التخارج من قضية الضرائب باعتبارنا كنا ممثلين لادارة الشئون العامة للقوات المسلحة والتى حل محلها الاتحاد الاشتراكى فى رأسمال الشركة .

كان المحضر كلما توجه لمكتب وجيه أباظة بالمحافظة ، ليسلمه اخطار الضرائب ، يطرده السكرتير الخاص ، فيكتب المحضر على الاخطار : غير معروف العنوان . أى أن المحافظ غير معروف العنوان !!

وهكذا كدت أتورط وحدى فى هذا الموضوع ... لهذا ذهبت الى وجيه أباظة فى دمنهور ، وشرحت له أنى لا أملك شيئا ، وأنه فى النهاية سيتحمل هو كل دين الضرائب ، فهو متضامن معى . وطلبت منه حضور جلسة الطعن المقبلة مزودا بخطاب رسمى من الاتحاد الاشتراكى يقول بأننا (أنا وهو) اشتركنا فى هذه الشركة باعتبارنا ممثلين للاتحاد الاشتراكى .

حضر وجيه أباظة الجلسة التالية ، ومعه خطاب موقع من على صبرى وممهور بخاتم الاتحاد الاشتراكى ، ينص على أن وجيه أباظة شريك فى هذه الشركة ممثلا للاتحاد الاشتراكى ، ولم يأت أى ذكر لى .

غضبت جدا ، فقال وجيه للجنة : هل يمكن أن أقدم لكم إقرارا بأن محمود عساف كان معى ممثلا للاتحاد الاشتراكى ولم يكن يمثل نفسه ؟ وافقت اللجنة وقدم وجيه ذلك الاقرار ... ثم أصدرت اللجنة قرارها الذى أبلغ لى رسميا بعد ذلك ، وهو " عدم مسئولية وجيه أباظة أو محمود عساف عن الضرائب المستحقة على الشركة ، وعلى مأمورية الضرائب المختصة أن تطالب الجهة المسئولة عنها وهى الاتحاد الاشتراكى أو أحمد رفعت حسين مثلا" .

وهكذا انتهت مشكلة ضرائب هذه الشركة التى تورطت فى تأسيسها .. وكان احمد رفعت حسين مختفيا تماما ، ولم تجد له الشرطة أثرا حتى تطالبه المصلحة بالضرائب المستحقة عن الشركة التى اشترى مطابعها .

غير أنه بعد أن عين وجيه أباظة محافظا للقاهرة ، ثم محاكمته ووضعه بالسجن ، حضر الى منزلى شخص ، سألته عما يريد ، فقال : أنا مندوب الحجز ، جئت أحجز على منزلك وفاء لمستحقات الضرائب عن شركة النيل للنشر والتوزيع . أريته القرار الرسمى الصادر من لجنة الطعن والذى تحصن بمرور ٦٠ يوما على صدوره ولم تعترض عليه المصلحة . فطلب منى أن أشرح ذلك لمراقب الجيزة .

ذهبت اليه فى اليوم التالى ومعى المستندات .. اطلع عليها واندهش لمطالبة المصلحة ، وقال : اعتبر الموضوع منتهيا .

بعد شهور جاءنى مندوب حجز آخر مطالبا بسداد الضرائب أو الحجز على منزلى .. كانت مصلحة الضرائب قد أعيد تنظيمها على أساس نوعى فى عهد الدكتور عبد العزيز حجازى حينما كان وزيرا للمالية ، وتحول اختصاص النشر والتوزيع الى مأمورية فى شبرا اختصت بمنشآت الطباعة والنشر .

توجهت الى المأمورية ، وقابلت المأمور المختص ، الذى أذهلنى قائلا: لابد من وجود من نطالبه بالضرائب ، سواء أنت أم وجيه اباظة حيث لانجد رفعت حسين ، وليس من المعقول أن نطالب الاتحاد الاشتراكى .

توجهت الى مدير المأمورية أشكو له تصرف المأمور ، فاستدعاه وأنبه، وقال لى : اعتبر الموضوع منتهيا .

فى مساء ذلك اليوم توجهت لمقابلة الدكتور عبد العزيز حجازى فى وزاارة المالية وشرحت له الموضوع ، وأوضحت له أنى أخشى أن يطالبوا وجيه أباظة وهو حاليا فى السجن ، ولايستطيع أن يشكو أو يعترض ، ولعلهم يحجزون على منزله دون أن يدرى هو . تجاوب الدكتور حجازى معى ، وطلب منى مذكرة بالموضوع ، لكى يضع له حلا نهائيا ... وقد كان . وبهذا أغلق موضوع شركة النيل للنشر والتوزيع .

في الشركة العربية للاعلان والنشر

أثناء عملى مديرا لشركة الاعلانات المصرية ، حضر الى مكتبى الضابط محمد احمد غانم وبصحبته الضابط حسن بلبل (وكيل وزراة الخارجية فيما بعد)، وطلبا منى الموافقة على أن اعار مديرا عاما للشركة العربية للاعلان والنشر ببيروت ، حيث أن هذه الشركة تملك المخابرات المصرية رأسمالها ، وتعرضت الى خسارة كبيرة ، وأنه تقرر أن تدار على أساس اقتصادى فحسب .

وافقته ، ثم رتب لى مقابلة مع السيد / شعراوى جمعه المسئول عن المخابرات العامة فى ذلك الوقت . وأوضحت للسيد شعراوى شروطى . وهى أنه لا علاقة لى بنشاط المخابرات ، لا بطريقة مباشرة ولا غير مباشرة ، وأنه ينبغى أن أعرف الأشخاص الذين يعملون بالشركة من جهاز المخابرات ، حتى أتيح لهم الفرصة لأداء عملهم الأصلى ، ولا أحرج نفسى مع أحدهم إذا تغيب عن العمل لسبب لا أعرفه .

وافقنى على ذلك ، وسافرت .. وأدرت الشركة ، واستطعت بفضل الله أن أوقف خسارتها ، ثم أنشأت فرعا لها فى دمشق وآخر فى بغداد وثالثا

فى الكويت ... وبعد ذلك نقلنا المركز الرئيسى الى دمشق ، ثم بعد الوحدة بين مصر وسوريا ، نقلنا المركز الى القاهرة .

فى فترة إقامتى فى بيروت ، جاء شهر رمضان ، وكان يسكن فى الدار التى أمام مسكنى زميلى عزيز جرجس سليمان الذى كان يعمل مديرا للمكتب الفنى بالشركة . فكان لا يأكل ولا يشرب بالنهار ، لكى يفطر معى فى المغرب ولا يتركنى وحيدا أثناء الافطار .

هاجر عزيز سليمان الى استراليا مع أسرته منذ عام ١٩٦٩ . وعندما بلغت سن الستين فى عام ١٩٨١ أرسل الى برقية يهنئنى فيها ببلوغ السن . ومنذ أيام قليلة - فى أوائل فبراير ١٩٩٣ - فوجئت بمكالمة منه من استراليا، يطمئن فيها عليّ . " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..."

بديعة مصابنى

أذكر بهذه المناسبة انى كنت استريح فى الطريق بسيارتى بين بيروت ودمشق عند الحدود اللبنانية لتناول الافطار . وقفت مرة عند مقصف صغير فى الطريق يبيع شطائر الخبز باللبنة والخبز بالزعتر فى الصباح . وجدت امرأة مسنة تفترش سجادة صغيرة خارج باب المقصف ، وتستمتع بشمس الشتاء ، وأمامها كوم من الملوخية تقطف أوراقها . شدت الملوخية انتباهى فاقتربت منها محييا ، وتبادلت معها الحديث فعلمت أنها بديعة مصابنى الراقصة المصرية الشهيرة فى الثلاثينات والأربعينات . سألتها : لماذا هربت من مصر ، فقالت إن كل ماكان فى حوزتها من مال بلغ ٣٠ الف جنيه ، ومصلحة الضرائب كانت تطالبها بثلاثين ألفاكذلك . ومعنى هذا أنها ستعيش

بعد ذلك تشحذ طعامها . فقررت الهرب بالمبلغ ، واتفقت مع طيار انجليزى ليهربها بطائرته الحربية الى لبنان (بلدها الأصلى) ، وقد كان . وأسست بالمبلغ هذا المقصف الذى تعيش على دخله .

قالت : كان باشوات مصر ورؤساء وزاراتها يشربون الشمبانيا فى كعب حذائى . واليوم أكاد لا أجد قوت يومى . ولكن أملى الكبير ، هو أن يرضى عنى رجال الثورة ويسمحوا لى بأن أزور القاهرة ليوم واحد ، أتطلع الى مبانيها وأستعيد ذكرياتى فيها ، وبعدها ليكن مايكون !!

شركة النصر للتصدير والاستيراد

أذكر أنى كنت أصحب الاستاذ محمد غانم فى سيارته فى الطريق من بيروت الى دمشق ، أن ففاتحنى فى تأسيس شركة للتصدير والاستيراد . قلت له: ليست لدى أو لديك خبرة فى ذلك . قال : نكتسب الخبرة .. وهكذا تأسست شركة النصر للتصدير والاستيراد .

وإحقاقا للحقيقة أود أن أسجل أن السيد محمد غانم هو من الضباط النادرين الذين لم يتأثروا بالنظام العسكرى الذى نشأوا فيه ، عندما أداروا شركات الأعمال ، فكانوا مثالا يحتذى .

كان محمد غانم فى وقت من الأوقات : الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر فى الشرق الأوسط ، وكان يستقبل استقبالات رسمية من أمراء الخليج . ثم إنه بعد أن انكشف للسلطات اللبنانية أن الشركة العربية للاعلان والنشر مملوكة للمخابرات المصرية ، بالرغم من وجود شركاء سوريين فيها من اللبنانيين ، طلبت السلطات استبعاد محمد غانم من البلاد ، فما كان من

عبد الناصر إلا أن عينه مستشارا ثقافيا فى سفارتنا ببيروت. وعينت أنا مكانة مديرا للشركة.

كانت شركة النصر للتصدير والاستيراد مدرسة ، تعلم فيها الكثيرون بما فيهم أنا . وكانت تطبق المبادىء والقواعد العلمية فى عملها ، اعتبارا من اختيار وتعيين العاملين وتدريبهم لاجراء الصفقات تصديرا واستيرادا ، الامر الذى استفدت منه كثيرا عند تأليف كتبى فى الادارة والتسويق وبحوث التسويق وسياسات التصدير . وكذلك استفاد من الخبرة فيها كثير من العاملين بها ، والذين استقالوا منها بعد ترك محمد غانم لها، وأسسوا مشروعات ناجحة حتى اليوم .

كنت وأنا أعمل بالشركة ، منتدبا للتدريس فى كليات التجارة بجامعة القاهرة وجامعة الازهر والمعهد العالى للتجارة الخارجية والمعهد العالى للسينما وكلية الفنون التطبيقية ، وقبل ذلك كنت منتدبا للتدريس بقسم الصحافة بكلية الآداب منذ إنشائه ... كانت اتجاهاتى نحو التدريس غالبة على احساسى . لذلك رحبت بالعمل فى الجامعة فى وظيفة استاذ كرسى .

حسن خليل

فى عام ١٩٦٥ ، قامت حكومة عبدا لناصر باعتقال الاخوان وكل من انتمى اليهم فى يوم ما ، غير آخذة فى الاعتبار بما إذا كان المعتقل له نشاط فى الاخوان أم لا . اعتقلوا الشيخ الغزالى والشيخ السيد سابق وعبده قاسم واحمد فراج ... وكثيرين ممن ليس لهم دور مع الاخوان بعد عام ١٩٥٠.

اعتقلوا شقيقى علوى من منزله القريب من منزلى . قلت فى نفس :

لابد وأن يكون الدور علي . أبلغت الاخ الاستاذ سعد نصار المستشار القانونى للشركة بما حدث لعلوى وتوجسى مما أتوقعه . وفى اليوم التالى ، كنت جالسا مع سعد نصار ، فجاء سكرتيره يقول إن شخصا بالباب يريدنى ، خرجت فقال : أنا النقيب فلان من المباحث العامة . قلت : تفضل . فدخل .. سألته أهو اعتقال ؟ قال : نعم . قلت لسعد : لقد حدث ما توقعته .

كان محمد غانم رئيس مجلس إدارة الشركة مسافرا فى الاسكندرية . وتعذر الاتصال به .

طلب سعد نصار من الضابط أن يجلس قليلا ، فجلس على مضض . فاتصل سعد بالعميد حسن خليل رئيس المباحث الجنائية العسكرية ، شارحا له الأمر ومبلغا إياه بأني عضو مجلس إدارة الشركة وزميل محمد غانم (الذى يعرفونه جيدا ويعلمون بصلته بعبد الناصر) . فقال حسن خليل : دع الضابط ينتظر قليلا الى أن يكلمه رئيس المباحث العامة اللواء حسن طلعت . وقد كان . فبعد دقائق تكلم اللواء حسن طلعت مع الضابط .. ثم انصرف الضابط وهو متجهم الوجه .

الذى علمته بعد ذلك ان اللواء حسن طلعت اتصل بعلى صبرى الذى قال له : يفرج عنه مؤقتا دون اعتقال . وظل هذا الافراج المؤقت الى يومنا هذا .

وفى يوم من الأيام جاءتنى رسالة من شقيقى علوى من معتقل الواحات - وكان مريضا - يطلب فيها ملابس داخلية شتوية ... أعددت الملابس ، وذهبت بها بصحبة سعد نصار الى حسن خليل فى مكتبه . استقبلنا الرجل بحفاوة بالغة . وأخذ منى الملابس ، وشرحت له مرض شقيقى. فما كان منه إلا أن أمر بنقله الى المستشفى . جزاه الله خيرا .

قال لى حسن خليل فى ذلك اليوم : ان المباحث العامة قبضت على أحد الاخوان ، وعذبوه فاعترف بأنه اشترى مسدسا من شخص ما . وكان الغرض هو أن يعتقلوا ذلك الشخص . ولما ورد المقبوض عليه الى المباحث الجنائية العسكرية، أعاد حسن خليل التحقيق معه بنفسه ، فتبين له أن التهمة مدبرة ولا أساس لها من الصحة ، وأنه اعترف حتى يتفادى مزيدا من التعذيب . فأفرج حسن خليل عنه فى الحال ، غير أن المباحث العامة أعادت اعتقاله مرة أخرى بغير تهمة .

على الجارحى

فى أواخر أيام عملى بشركة النصر للتصدير والاستيراد ، جاء لزيارتى الاستاذ على الجارحى الذى كان يعمل معى فى شركة النيل للاعلان ، وكان هو وضابط آخر السبب فى ما حدث بينى وبين وجيه أباظة من خلاف . فوجئت به قد فقد بصره ... فى مثل هذا الموقف ينسى الانسان ماكان ، ويصفو قلبه . ففقدان البصر من الله وكلنا معرضون الى ذلك .

جاءنى ليعترف لى بأنه أخطأ فى حقى كثيرا ويطلب منى أن أسامحه. ولقد سامحته ودعوت الله له ... إن الله يحب التوابين .

مات بعد ذلك بأيام قليلة ، أسأل الله له المغفرة وأن يرضى عنه .

الفصل السابع

الجامعة وماصاحبها من أحداث

عملت استاذا لكرسى إدارة الأعمال بجامعة الزقازيق ثم استاذا وعميدا لكلية التجارة بالمنصورة . وكانت هذه الفترة من ١٩٦٩ حتى ١٩٨١ تجربة فريدة من نوعها.

كانت كل تصرفاتى فيها مستوحاة مما تعلمته من الامام الشهيد وما اقتديت به من خلقه وتصرفاته الرشيدة الساعية الى الحق والمنزهة عن الهوى .

الشيخ الباقورى

أثناء زياراتى لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى وهومديرلجامعة الأزهر ، كنا نتسامر خلال زياراتى الأسبوعية له فى منزله .

شرح لى مرة موقفه من الأخوان ، فقال : إن عبد الناصر عند تشكيله لأول وزارة بعد الثورة ، اتصل بالاستاذ الهضيبى وطلب منه ترشيح ثلاثة من الاخوان ليشاركوا فى الوزارة . فرشح مكتب الارشاد الشيخ الباقورى، ومنير دلة ، وحسن عشماوى . فاعترض مجلس قيادة الثورة على الاثنين الأخيرين باعتبارهما حديثى عهد بالاخوان ، وطلبوا ترشيح غيرهما من قدامى الاخوان . رفض مكتب الارشاد هذا الطلب .. ثم اتصل عبد الناصر بالشيخ الباقورى فى منزله قائلا له : إن البلد فى حاجة اليه ، وأن الوزارة التى يعرضها عليه تكليف لا تشريف ، وأنه يعرض عليه وزارة الأوقاف وشئون الأزهر . لم يتردد الباقورى فى القبول لصالح البلد أولا ، ولأنه لم يكن مقتنعا بأسباب رفض مكتب الارشاد طلب مجلس الثورة .

ما إن أعلن قبول الباقورى للوزارة ، حتى أصدر مكتب الارشاد قرارا بفصله من الاخوان ... أصيب الباقورى على أثر ذلك بمرارة شديدة وأبدى استنكاره الشديد لقرار المكتب ، ذلك لأنه لايجوز أن يفصل أحد من الاخوان ، مادام الاخوان رجال دعوة ، وليسوا حزبا أو جمعية أوتشكيلا اجتماعيا أو سياسيا .

وانشغل الباقورى بالوزارة ، وأعاد تنظيم الأزهر وأدخل به الكليات التى تخرج العاملين لصالح المجتمع من مهندسين وأطباء ورجال أعمال ورجال

قانون ورجال علم تطبيقى ، فضلا عن كلية للبنات فيها ذات التخصصات ، فلا ينبغى أن يقتصر الأزهر ، وهو أقدم جامعة فى العالم لازالت حية ، على علوم الدين فحسب .

وكانت الفكرة الأساسية للكليات الجديدة ، هى أن تخرج دعاة للاسلام يحترفون مهنة ، ويستطيعون أن ينشروا الدعوة فى المجتمعات الافريقية والآسيوية ، بل الأوربية والأمريكية ، عن طريق المهن التى تحترفونها ، مثلما يفعل المنصرون (ولا أقول : المبشرون) فى دول العالم الثالث .

قرب عبد الناصر الشيخ الباقورى اليه ، فقد كانت الصلة بينهما وثيقة منذ كان عبد الناصر من الاخوان المسلمين . غير أن المخربين والعابثين وأتباع المذاهب الهدامة الذين كانوا يحيطون بعبد الناصر ، أبوا إلا أن يفسدوا هذه الصلة . فانتهزوا فرصة أن الشيخ الباقورى يتردد على الاستاذ محمود شاكر فى داره بمصر الجديدة ويلتقي معهم بعض أصدقاء الطرفين ويتبادلون الحديث فى شتى المور ، كما انتهزوا حادثا سجله أحد الحاضرين - وكان عينا عليهم - هاجم فيه أحد المتحدثين سياسة عبد الناصر ، فادعوا لدى عبد الناصر أن الباقورى يتردد على بيت مشبوه ومراقب من الآداب فى مصر الجديدة ، وأنه يهاجم سياسة عبد الناصر ، وأسمعوا عبد الناصر الشريط الذى لم يكن الصوت فيه واضحا تماما .

أصدر عبد الناصر قرارا بإعفاء الشيخ الباقورى من جميع مناصبه غير موضح أى سبب لذلك ... ذهب الشيخ الى بيته . واستيقظ من نومه على أصوات القطط وهى تموء بصوت مزعج خارج باب الفيلا التى يقيم فيها . خرج يتساءل عما حدث فى هذه الليلة ، فوجد أن شرطة المرافق قد رفعت الكشك الخاص بجندى الحراسة ، ووضعت مكانه صندوقا حديديا ضخما

للقمامة ، فاجتذبت القمامة قطط الحى كله ... حضر اليه جمال سالم (عضو مجلس قيادة الثورة) فى المساء مواسيا ، فأبلغه الباقورى بالواقعة ، فطلب رئيس شركة مصر الجديدة ، وهو المسئول عن ذلك قبل تكوين مجلس للحى ، وبعد أن نهره جمال سالم بشدة ، بعثوا بسيارة نقل لترفع صندوق القمامة من مكانه .

وعند عودة عبد الناصر من روسيا ، وجد الباقورى واجبا عليه أن يذهب لاستقباله . ووقف ضمن المستقبلين فى الصف الأول ، كما يقضى البروتوكول باعتباره وزيرا سابقا . فجاء ضابط شرطة صغير برتبة ملازم ، ودفع الشيخ الباقورى بعصاه الى الخلف قائلا : هذا ليس مكانك . فوقع الشيخ الباقورى على الأرض ، وأصيب بالشلل الكامل فورا . نقلوه الى مستشفى القوات المسلحة ، وأمكن علاجه الى أن صار الشلل نصفيا فقط . وظل كذلك حتى نهاية عمره .

فى تلك الأثناء استطاع عبد الناصر أن يتبين الحقيقة حول الباقورى وعرف أنه دسيسة من المخابرات ، فذهب لزيارته بالمستشفى وقال له : لقد ظلمناك ياشيخ أحمد ... ثم أصدر قرارا بتعيين الباقورى رئيسا لجامعة الأزهر ومستشارا دينيا لرئاسة الجمهورية بدرجة وزير ، وظل كذلك الى أن مات .

فى أحد الأيام - وأنا فى مكتبه - عرض على أن أعمل استاذا بكلية المعاملات الاسلامية (التجارة) تمهيدا لتعيينى عميدا للكلية ، حيث أن الكلية فى وضعها الحالى تعتبر نسخة ممسوخة من كليات التجارة الأخرى ، وأنه يتمنى أن تكون كلية ذات اتجاهات اسلامية ، أو بمعنى آخر أن تتم أسلمة المواد التى تدرس فيها على قدر الاستطاعة .

كان مرتبى فى شركة النصر للتصدير والاستيراد ٢٧٠ جنيها فى حين أن أقصى مربوط لدرجة استاذ بالجامعة هو ١٥٠ جنيها . وهذا يقتضى صدور قرار جمهورى بمنحى أقصى مربوط الدرجة ، لأن أول المربوط هو ١٢٠ جنيها فقط .

بعد أن استخرت الله قبلت بالتضحية ، وذهبت معه لنقابل الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، الذى رحب بالفكرة ووعد باستصدار القرار الجمهورى .

قدمت أبحاثى ، واستشارنى الشيخ الباقورى فى تشكيل اللجنة التى تحكم على مدى رقى صاحب الأبحاث لشغل وظيفة استاذ كرسى ، فاخترت أقدم ثلاثة أساتذة لادارة الأعمال : الدكتور على عبد المجيد والمرحوم الدكتور مصطفى زهير والدكتور حسن توفيق .

وما إن شاع خبر انتقالى الى جامعة الأزهر ، حتى قامت قيامة عدد من الاساتذة بكلية المعاملات الاسلامية ، وبدأوا يحاربوننى حربا لا أخلاقية ، وكانوا من قبل يتظاهرون بصداقتى ، بل كانوا يخطبون ودى . ذهب بعضهم ومعه بعض المعيدين والمدرسين المساعدين (بالماجستير) وقابلوا عبد العزيز كامل وأبلغوه أن الخبر المنتشر فى الكلية هو أنه أحضر عساف اليها لأنه صديقه !! كانت هذه تهمة فى ذلك الوقت حيث أن اتجاهاتى الاسلامية معروفه، فخشى عبد العزيز كامل من مغبة ذلك ، ولم يصادق على قرار مجلس جامعة الأزهر بتعيينى ، الأمر الذى أغضب الشيخ الباقورى وقرر أن يجمع مجلس الجامعة ، ويصر المجلس على تعيينى ، وقراره هو الذى ينفذ فى نهاية الأمر .

اعترضت على ذلك ، فإنى لا أحب أن أبدأ عملا فى جو مضطرب كله مؤامرات ... وبقيت ثلاثة أيام آسفا على ماحدث وبخاصة وأنى كنت قد أعددت برنامجا لأسلمة بعض المواد كالإدارة والتسويق والتمويل وشئون العاملين، وأعددت أفكارا حول الاقتصاد الاسلامى والمحاسبة فى المعاملات الاسلامية .

كنت جالسا فى مكتبى فى الساعة العاشرة صباحات ، وإذا بضيف يزورنى ، هو الدكتور على عبد المتعال استاذ المحاسبة بجامعة عين شمس ، وهو صديق عزيز . قال لى أنه حاضر توا من لدى الدكتور عبد العزيز حجازى الذى طلب منه أن يأخذ الدكتور س . ع . من تجارة الزهر الى تجارة الزقازيق لكى يذهب عساف الى تجارة الزهر ، فقال له على عبد المتعال : أنا أفضل أن يبقى س . ع . فى أزهره ، ونأخذ نحن عساف... قلت الى أين ؟ قال: الى تجارة الزقازيق وهى فرع من تجارة عين شمس ، وقد صدر قرار بإنشائها، وآخر موعد لتقديم الطلبات لشغل وظائف الأساتذة هو غداً . ثم قال : سأنتظرك فى الساعة الحادية عشرة صباحا أمام المجلس الأعلى للجامعات ومعك الأوراق والمستندات المطلوبة ... وفى الصباح الباكر ، ذهبت الى إدارة جامعة الأزهر ، وسحبت أوراقى من هناك ، وذهبت الى مقر المجلس الأعلى للجامعات ، فوجدت على عبد المتعال فى انتظارى أمام الباب الخارجى .

وكان الله قد اختار الخير لى ، فعينت استاذا لكرسى إدارة الأعمال فى كلية تجارة عين شمس - فرع الزقازيق .

فى كلية التجارة بالزقازيق

إن خبرتى بالتدريس الجامعى ترجع الى عام ١٩٥٥ ، وكانت لى كتب فى الاعلان والتسويق وبحوث التسويق وأصول الادارة . وكانت خبرتى فى

مجال الأعمال منذ عام ١٩٤٣ حتى ١٩٦٩ حين عملت بالجامعة ، خير عون لى ، حيث أن علوم إدارة الاعمال كلها مستقاة من التطبيق .

كانت علاقاتى مع الطلاب فى الكلية علاقة أبوية ، إذ كنت أومن بأن الاستاذ والد للطالب وليس معلما فحسب . وكنت أعمل على حل مشاكل طلابى ، حتى العائلية منها ، لذلك علاقاتى بأولياء أمورهم كانت حميمة .

وهناك خمس وقائع لا تغيب عن ذكرى حدثت بالزقازيق :

الواقعة الولى : أنه فى أثناء محاضرتى لطلاب السنة الأولى ، جاء طالب ووضع ورقة على مكتبى فى المدرج . قرأتها فى غرفتى بعد المحاضرة ، فوجدتها شكوى من أحد الطلاب يقول : إنه من بلدة تسمى العصلوجى ، وهى تبعد عن الزقازيق بحوالى ٤ كيلو مترات ، وأن والدته تعمل غسالة وخادمة ببيوت الأثرياء من أهل القرية ، وأنها تتكسب مايكفى الأسرة من طعام بالكاد ، وأنه لفقره يحضر الى الكلية ماشيا ويعود الى بلدته ماشيا كذلك ، وأنه لايجد موردا يسدد منه رسوم الكلية ، وتقدم بطلب للعميد لكى يسمح له بقرض من بنك ناصر ، يسدد منه الرسوم . وكان بنك ناصر يمنح الطلاب قروضا حسنة يسددونها بعد تخرجهم على أقساط . فأفاده العميد أن القرض يمنح للطالب المقيد بالكلية فحسب ، وهو غير مقيد إلا بعد سداد الرسوم ... طلب منى الطالب أن أتوسط له عند العميد لكى يسمح له بالقرض حتى يسدد الرسوم منه وقت استلامه تماما .

بحثت فى جيبى فوجدت خمسة عشر جنيها . وكانت حالتى المالية حرجة ، حيث نقص مرتبى بمبلغ ١٢٠ جنيها أى ٢٤٠٠ جنيه بمقاييس هذه الايام (حيث كان كيلو اللحم البتلو بستين قرشا، وهو الأن بستة عشر جنيها).

طلبت الاستاذ مسلم فايد مسجل الكلية ، وأعطيته عشرة جنيها ، وقلت له : اطلب الطالب صاحب الورقة فى الميكرفون ، وسدد له الرسوم ، ثم اصحبه معك الى السكة الحديد واقطع له اشتراكا من الزقازيق الى العصلوجى والعودة ، وإن بقى معك شىء بعد ذلك فأعطه للطالب . وأرجوك ألا تسمح للطالب بأن يحضر لى لشكرى ، حيث لا أحب أن أعرف شكله أو أشعره بأى حرج لو التقى معى فى المحاضرة أو فى فناء الكلية .

عاد الاستاذ مسلم الىّ بعد ٣ ساعات . أرانى ايصال سداد الرسوم ، والاشتراك ، وقال إنه بقى معه جنيه ونصف فأعطاه للطالب .

بعد ذلك بيومين على وجه التحديد ، اتصل بى الاستاذ نجيب رسلان وكيل المعهد العالى التجارى - الذى كان مهجرا من بورسعيد - وقال لى : لك كتاب فى إدارة المنشآت المالية . وهذه المادة مقررة عندنا وكنا نعتمد على رجال البنوك فى تدريسها ، غير أنهم غير قادرين على تأصيلها علميا . ونحن نرجوك أن تقبل آن تدرسها عندنا لمدة ساعتين كل اسبوع ، فى الوقت الذى تحدده وفى اليوم المناسب لك .

كنت قد ألفت كتابى فى " إدارة المنشآت المالية " ، وهى مادة مقررة على السنة الثانية بالكلية ، وطبعت منه آلفى نسخة . ومن المعروف أن تكلفة الطباعة والنشر ، تستغرق نصف ثمن الكتاب . ومعنى هذا أنه إذا وزع من الكتاب ألف نسخة ، فإنه لايكون رابحا ولا خاسرا . فإذا تعدى ذلك بالزيادة ، فإن ايراد هذه الزيادة يعتبر ربحا صافيا للمؤلف ... وكان قد وزع من الكتاب ٨٠٠ نسخة فى الكلية ، وهذا يعنى أن هناك خسارة مؤقتة بقيمة ٢٠٠ نسخة .

ولكن بعد أن بدأت أدرس المادة فى المعهد ، وزع من الكتاب على طلبته ٦٠٠ نسخة . وبذلك صار الموزع من الكتاب ١٤٠٠ نسخة ، منها ٤٠٠ نسخة تمثل ربحا صافيا ... ولما كان ثمن الكتاب ٨٠ قرشا فإن الايراد الذى لم يكن متوقعا من قبل قد بلغ ٣٢٠ جنيها .

حمدت الله تعالى ، فإن العشرة جنيهات قد أتت بثلاثمائة وعشرة جنيهات ، وليس مائة جنيه باعتبار أن الحسنة تقّيم بعشر أمثالها ... وصدق الله العظيم : " والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " .

أما الواقعة الثانية : فهى أن أحد طلاب السنة الثانية جاءنى فى مكتبى ، وأبلغنى أن والده يعمل مديرا للادارة الهندسية بالمحافظة ، وأنه كان زميلى فى مدرسة الزقازيق الثانوية ويريد زيارتى . قلت له : مرحبا به فى أى وقت . وأعطيته نسخة من كتاب إدارة المنشآت المالية ، وكتبت علها اهداءً لوالده .

جاءنى الرجل فى اليوم التالى ، وأخذنا نتذاكر أيام المدرسة ... ثم قال لى : انى أعتب عليك ! قلت : لم ؟ . قال : لأنك تتصرف كباقى الأساتذة الذين يضعون المادة فى أولى اهتماماتهم . قلت : لعلك فهمت خطأ ممن أبلغك ذلك ، فإن المادة لا تدخل فى حسابى قط . قال : لم إذا تبيع كتابك فى إدارة المنشآت المالية بمائة وعشرين قرشا ؟ قلت : من قال لك ذلك ؟ قال : ولدى . فقد أخذ منى ١٢٠ قرشا ثمنا للكتاب !! قلت له : إنك لم ترب ولدك التربية الصالحة . إن الكتاب الذى ادعى أنه اشتراه ، ثمنه ٨٠ قرشا فقط ، ثم إنى أهديته اليك . ولا بد أن ولدك قد فصل الصفحة الأولى التى عليها البسملة والتى كتبت لك عليه الاهداء ، ثم سرق منك المائة والعشرين قرشا . عليك بتأديبه .

وأما الواقعة الثالثة : فهى أنه فى امتحانات آخر العام ، كان طلاب السنة الثالثة يمتحنون فى أحد المدرجات . وأثناء مرور الدكتور عبد الحميد القاضى (مدرس الاقتصاد وقتئذ) وجد ورقة على الرف الذى تحت القمطر ، تبعد عن أحد الطلاب ، وفيها إجابة لأحد الأسئلة فى امتحان الاقتصاد المنعقد فى ذلك اليوم . فأخرج الطالب وأبلغ العميد بأعتبار أن الورقة كانت فى متناول يده فى حين أنها تبعد عنه بأربع خطوات . ألغى العميد امتحانه كله فى ذلك العام وأحاله الى مجلس التأديب . حاولت أن اثنى العميد عن قراره حيث يوجد شك لأن الورقة ليست بخط الطالب وأنها تبعد عنه مسافة لاتجعلها فى متناول يده ، فأصر على قراره ... قدم الطالب الى مجلس تأديب برئاسة الدكتور أحمد عزام نائب رئيس جامعة عين شمس لفرع الزقازيق وعضويتى أنا والدكتور اسماعيل هاشم ، ولما اطلع الدكتور اسماعيل هاشم على الورقة ، تذكر شيئا فقال : فى هذه الورقة إجابة عن مسألة أعطيتها للطلبة فى آخر محاضرة ، ويبدو أن هذه إجابة أحدهم تركها بالمدرج .

ثبت عندئذ أن الطالب برىء من تهمة الغش ، وبخاصة وأن شخصيته تبعث على الاحترام ، فهو ريفى أصيل ... قال الدكتور أحمد عزام: إذا فما العمل ؟ قلت : نعلن أن الطالب برىء من تهمة الغش . قال : ولكن هذا سيوقع الجامعة فى المسئولية وقد يطالب الطالب بتعويض عن هذه السنة التى ضاعت عليه . قلت : هذه من حقه ، والجامعة ممثلة فى عميد الكلية مخطئة ، ومن حقه التعويض عما أصابه من ضرر (هذا ماتعلمته من الامام الشهيد ، ألا تأخذنى فى الحق لومة لائم) . قال الدكتور عزام : أرجو تأجيل قفل المحضر حتى آخذ رأى رئيس الجامعة ... ذهب الى رئيس الجامعة الدكتور اسماعيل غانم فى القاهرة ، وعرض عليه الموضوع . أبلغنى بعد ذلك أن الدكتور اسماعيل سأله : وما هو رأى الدكتور عساف؟ فقال له: رأيه أن يبرأ الطالب ويأخذ حقه. قال: إذا فليكن ذلك .

اجتمع مجلس التأديب مرة أخرى ، فأبلغ الدكتور عزام الطالب قائلا إنه ثبتت براءته ، وله أن يرفع قضية على الجامعة ، وله أن يتغاضى عن ذلك ، فتلك إرادة الله ... قال الطالب الذى كان يفيض إيمانا : أنا شاب مؤمن ، ولعلى أكون قد أخطأت فى أمر ما ، فأراد الله أن يقتص منى فى الدنيا بدلا من الأخرة . وأنا أسلم بإرادته ، وأتنازل عن كل شىء .

هذا الطالب تخرج فى العام بعد التالى حاصلا على البكالوريوس بدرجة جيد جدا مع مرتبة الشرف ، وكان ترتيبه الثالث على الخريجين .

أما الواقعة الرابع : فهى أن احدى الطالبات ، واسمها الشيماء حضرت الى مكتبى تشكو أهلها . قالت إن والدها ووالدتها لازالا يعاملانها كما لو كانت طفلة صغيرة . فهما يطلبان منها أن تشرتى طبق الفول والخبز من الشارع فى الصباح ، ولا يعطيان بالا الى سنها وأنها صارت طالبة بالجامعة ، كما أنهما يضغطان عليها لكى تتزوج ابن عم لها فى حين أنها لاتميل اليه ... قلت لها إن معاملة الأبوين لها باعتبارها صغيرة ، أمر طبيعى . فإن الابن مهما كبر فهو فى نظر والديه صغير . وأنا شخصيا أعامل أولادى كما لو كانوا لازالوا صغارا بالرغم من أنى أعتبرهم كأصدقاء وليس أولادا فحسب . ولها أن تسر بذلك لا أن تحزن . وأما فيما يتصل بابن العم ، فقد طلبت منها أن تجلس معه عدة مرات ، لعلها تتفهمه أكثر ، وألا تضع فى بالها الرفض قبل الدراسة . وقلت لها إن الله تعالى قال فى سورة النساء (الأية ١٩) " ... وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا " . وإن ماينطبق على النساء ينطبق على الرجال ، فعسى أن يجعل الله فى هذا ابن العم خيرا .

بعد شهر جاءتنى وقالت إنها اكتشفت أنه شخص طيب ، ووافقت على خطبته لها .

وبعد ذلك بعام - وأنا مشرف على كلية التجارة بالمنصورة قبل أن أعين عميدا لها ، كانت تتردد عليّ فى المنصورة مرة كل شهرين تقريبا تطمئننى على حالها ، وتحضر معها آيات قرآنية موضوعة داخل أطر مذهبة، وتشرف على تعليقها على جدران غرفة مكتبى .

هذا يذكرنى بموضوع آخر ، وهو أن الشيخ محمد محرم ، مؤذن مسجد السيد البدوى ، كان رجلا صالحا . وكان من المعروف عنه أنه يتحدث مع زواره أو من يزورهم أحاديث تتصل بأسرار لايعرفها إلا هم . تلك كانت هبة من الله الى ذلك الرجل ، ولم يكن يستغلها فى أى مصلحة ، حيث أنه مستور ، وله ولدان يدرسان فى أمريكا ، وكان كريما مع زواره الذين يترددون عليه بالمسجد .. فى يوم ما جاء الى زيارتى فى مكتبى فى شركة النصر للتصدير والاستيراد . وأثناء الحديث قال : إنى أرى على رأسك " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " ، وإن شاء الله نبارك لك فى نوفمبر .. وكان ذلك قبل التحاقى بكلية التجارة بالمنصورة بثلاثة أعوام .

العجيب أن قرار تعيينى عميدا صدر فى نوفمبر ١٩٧٣ ، وجاءنى المهنئون ، فكنت استقبلهم عند باب المكتب ، وإذا بى وانا أنظر نحو مكتبى، أجد اللوحة المعلقة فوق رأسى بها : " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " ، التى جاءتنى هدية من الشيماء .

رحم الله الشيخ محمد محرم رحمة واسعة فقد كان رجلا عميق الايمان كثير الاحسان لدرجة أن محافظى الغربية كانوا يتقربون اليه .

وأما الواقعة الخامسة : فهى أن الدكتور سلطان أبو على ، وكان استاذا مساعدا للاقتصاد فى ذلك الوقت ، لاحظ اثناء امتحان نهاية العام ، أن أحد الطلاب يرتدى الحلة الرسمية لعميد فى الشرطة . فتعجب لهذا الأمر وقال فى نفسه : لابد فى الأمر من شىء . وبناء على ذلك وضع الضابط تحت المراقبة . وبعد أقل من نصف ساعة ضبط الضابط متلبسا بجريمة الغش وفى يده ورقة ينقل منها . فأخرجه من الامتحان وأخذه الى مكتب العميد ، وكنت هناك ... جاء الضابط منتفخ الأوداج يحتج بشدة .. قلت له إنك ستحال الى مجلس التأديب وسيلغى امتحانك كله هذا العام - وكان فى السنة الأولى - وسوف نبعث بقرار المجلس الى وزير الداخلية لكى يعلم حقيقة من يعملون تحت إمرته من الضباط . فإذا بالضابط يتضاءل ويبدأ فى الرجاء بألا نفعل هذا . قلت له إنك لازلت مبتدئا فى السنة الأولى ، والحل الوحيد هو أن تقدم طلبا لإلغاء قيدك بالكلية لأسباب خاصة ، وحينئذ يقبل العميد ذلك الطلب ، وتنتهى المسألة عند هذا الحد . وقد كان .

فى عدن

فى أحد الأيام اتصل بى الدكتور حسن توفيق - وكان وقتئذ يعمل مديرا عاما للمنظمة العربية للعلوم الادارية التابعة للجامعة العربية ، وطلبنى لزيارته للتحدث فى أمر هام . ذهبت اليه فوجدت عنده الدكتور عبد المنعم محمود استاذ المحاسبة بتجارة القاهرة . شرح الدكتور حسن لنا المهمة ، وهى أن حكومة اليمن الجنوبى (عدن) ترغب فى معاونتها فى إنشاء كلية للتجارة بعدن .

التقينا عنده مرة أخرى بحضور وكيل وزارة المعارف اليمنية الجنوبية ، واتفقنا على موعد السفر .

صرفت لنا المنظمة بدل السفر بواقع خمسة جنيهات استرلينية ونصف عن الليلة . وسافرنا حيث استقبلنا مندوب من الوزارة يعمل مديرا للمعهد الفنى هناك .

وجدت أن أجر الفندق وثمن الوجبات به يكاد يبلغ مقدار ثلاثة أمثال بدل السفر . ذهبت الى سفارتنا هناك ، وقابلت القائم بالاعمال وشرحت له الوضع ، فاتصل بوزير المعارف وأفهمه أن ماحصلنا عليه من مصر ليس بدل سفر كما هو مفهوم ولكنه مقابل المصروفات النثرية فحسب ، وأنه إذا لم ننزل ضيوفا على الوزارة ، فإننا سنرجع على الفور ... قبلت الوزارة ضيافتنا... وعلمنا عندما عدنا للفندق أن كل رواده خبراء وهم ضيوف على الحكومة ، من بلغاريا وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى - اى من كافة أنحاء الكتلة الشرقية .

قابلنا فى اليوم التالى على ناصر محمد رئيس الوزراء فى ذلك الوقت. أبلغنا أن هناك محاولات بذلت من قبل لإقامة كلية للتجارة ، ولكنها فشلت بسبب التكاليف حيث أن الحكومة ليس لديها أموال تنفق منها على الكلية .

غادرنى الدكتور عبد المنعم بعد ٤ أيام وتركنى أكمل الدراسة ، وكنا قد وضعنا مناهج الكلية معا ، بما يتناسب مع ظروف عدن ، فى مواد الادارة والمحاسبة والاقتصاد .

بدأت أبحث عن مكان لايكلف الدولة شيئا ، فوجدت معهدا للمعلمات أنشأته حكومة الكويت وقدمته هدية لحكومة اليمن الجنوبى . كان ذلك المعهد يعمل من الصباح حتى الثانية بعد الظهر ، ووجدت فيه غرفتان

خاليتان . رأيت من المناسب أن يتخذ هذا المعهد مقرا للكلية ، على أن تبدأ الدراسة بها من الرابعة عصرا الى التاسعة مساء ، وأن تخصص إحدى الغرفتين للعميد والأخرى لموظفين اثنين إداريين .

بحثت عن أعضاء لهيئة التدريس يعملون فى المساء . فوجدت نائب محافظ البنك المركزى ، وهو يحمل الماجستير فى الاقتصاد من بريطانيا ، ووجدت أحمد المصريين يعمل فى برنامج الأمم المتحدة ويحمل درجة الدكتوراه فى الاقتصاد . وكان هذا كافيا بالاضافة الى من سيكلفون بالتدريس من المصريين الذين أحيلوا للمعاش ، وكان فى ذهنى استاذ إدارة وأستاذ محاسبة.

اتصلت من هناك بحسن بلبل وكيل وزارة الخارجية ، وسألته عما إذا كانت الوزارة مستعدة لإعارة هؤلاء الاثنين على أن تدفع رواتبهما فى مصر، فوافق .

عرضت الأمر بعد ذلك على " على ناصر " رئيس الوزراء ، الذى سر كثيرا وأبدى تفاؤله بقيام الكلية ، حيث أن المبنى لن يكلف شيئا ، والمكافأة التى ستعطى للمدرسين اليمنيين ضئيلة ، وأن الاستاذين المصريين لن تتحمل الدولة هناك أكثر من إقامتهما الكاملة بالفندق ، شأنهما شأن الوفود الكثيرة المقيمة فيه .

لاحظت أن الجنود اليمنيين كلهم شباب دون الخامسة والعشرين ، وأن كلا منهم يضع مصحفا أحمر اللون فى جيب قميصه .. سألت الأخ محمد (السائق المرافق لى) عن هذه الظاهرة الجميلة ، فقال : لا يادكتور إن هذه ليست بمصاحف ، انها نسخ من الدستور الروسى !! أى والله من الدستور الروسى وليس الدستور اليمنى !!

وفى زيارة لمؤسسة الصحافة هناك - وهى تصدر مجلة من ٨ صفحات فى حجم التابلويد (نصف الجريدة) ذكرتنى بالنشرات الشيوعية التى كانت تصدر فى مصر قبل عام ١٩٤٩ - وجدت خلف مكتب مديرها تمثالا للينين !! وكذلك الأمر فى مكتب وزير المعارف ، وهو متخرج من آداب القاهرة قبل ذلك بعامين فقط .

وفى يوم الأحد - وهو يوم عطلة بالدولة ؛ سألت الاخ محمد السائق ، أن يأخذنى الى مكان فيه نسمة من الهواء حيث الرطوبة هناك عالية ولا يكاد الانسان يحس بالهواء ، بل يحس بشىء من الاختناق عندما يستنشق . فأخذنى الى قمة جبل عالية ، بها تبة محاطة بسور حجرى ، وبها كشك من الصفيح أمامه رجل نائم فى ظله . قال الأخ محمد : إن هذا الرجل هو صاحب الكشك ، وهو الذى بناه من مخلفات الصفيح .. وبعد أن أممت الحكومة المساكن ، فرضت عليه ١٠ جنيهات يمنيه جنوبية (تعادل ١٠ استرلينى) ايجارا شهريا للكشك ، فى حين أن الكشك لا يدر هذا المبلغ لأنه يبيع المشروبات الغازية والسجائر فحسب . فأغلق الرجل الكشك ونام فى ظله !!

جلسنا على السور الحجرى ، فوجدته يطل على جرف ينتهى الى شاطىء خليج عدن . ورأيت رجلا جالسا القرفصاء ، وجهه الى الجبل ، وظهره الى الماء .. بعد ساعة نظرت خلفى الى أسفل فوجدت الرجل مكانه . فقلت : يا أخ محمد ، أخشى أن يكون الرجل الذى بالأسفل قد مات على هذا الوضع لأنه لم يتحرك منذ ساعة . فقال : لا . إنه يقيّت (أى يمضغ القات ويخزنه فى فمه ثم يستحلبه بعد ذلك) . سألت : وهل من أصول مضغ القات أن ينظر الانسان الى الصخور الجرداء أم ينظر الى البحر ؟ قال : بل الى الصخور حتى لاينشغل بشىء عن مضغ القات !!

قابلت أحد اليمنيين من عدن فى عام ١٩٩٢ ، بعد توحيد شطرى اليمن ، وسألته عن أخبار كلية التجارة بعدن ، فقال إنها تسير سيرا طيبا وأنه متخرج منها ، فحمدت الله أن جهودى لازالت مثمرة .

فى كلية تجارة المنصورة

بعد أن انتهيت من تأسيس قسم إدارة الأعمال بكلية التجارة بالزقازيق، وزودته بأحد المدرسين وبعدد من المعيدين ، وشرعت فى نقل أحد الأساتذة اليه من المعهد القومى للتنمية الادارية ، اتصل بى الدكتور عبد المنعم البدراوى الذين عين وقتذاك رئيسا لجامعة المنصورة ، وقال لى أن الدكتور حسن توفيق رشحنى له لأشرف على كلية التجارة .

قابلت الدكتور عبد المنعم البدراوى فى منزله ، واتفقنا على أن أشرف على الكلية الى أن أنقل استاذا بها ثم أعين عميدا لها ، مع استمرارى بكلية تجارة الزقازيق الى أن يتم النقل .

قدمت طلبا بعد ذلك الى مجلس كلية التجارة بالزقازيق ليوافق على نقلى ، تمهيدا لعرض الأمر على مجلس الجامعة . فاعترض الدكتور عبد العزيز حجازى - وكان عضوا بالمجلس - على هذا النقل قائلا: لا ينبغى أن نعمر تجارة المنصورة على حساب تخريب تجارة الزقازيق ... وكانت مساجلات بينى وبينه ، ثم ذهبت أشكو لرئيس جامعة عين شمس الدكتور اسماعيل غانم رحمه الله رحمة واسعة . وفى النهاية حلت العقدة ووافق مجلس الجامعة على النقل ، وبخاصة وأنى تركت قسم الادارة بالزقاريق مكتملا .

قامت جامعة المنصورة على أشلاء المعاهد العالية : التجارية والصناعية والزراعية ، بالاضافة الى كلية الطب التى كانت فرعا تابعا لطب القاهرة . وكانت المعاهد العالية تضم مجموعة من أسوأ المدرسين ، حيث أنه عند إنشائها ، رشح لها مدرسون ممن يعملون فى المدارس الثانوية التجارية والصناعية والزراعية ، فكان إذا طلب من ناظر إحدى هذه المدارس ترشيح بعض مدرسيه ، كان يختار أسوأهم ليتخلص منهم .

كنت كلما ذهبت الى الكلية ، أجد أعضاء هيئة التدريس بها منتظرين قدومى فى الطريق الى مكتبى . ثم يدخلون معى . ثم يريدون أن يضيفونى فى مكتبى ... سألتهم أليس عندكم محاضرات ؟ فقالوا : بلى ، ولكننا أردنا أن نرحب بك . قلت الترحيب بى يكون فى مدرج الدراسة بإلقاء الدروس !!

سمعت عن المعهد التجارى العالى بالمنصورة الشىء الكثير : مدرسون غير أكفاء ، يعطون الطلبة دروسا فى منازلهم بأجر ، ويبيعون الامتحانات ، ويزورون فى النتائج ... الخ مما لايشرف التعليم .

كان هناك استاذ مساعد لادارة الاعمال ، يحمل مؤهل بكالوريوس محاسبة بتقدير مقبول . وآخر للمحاسبة يدعى أنه يحمل الماجستير والا يوجد بملفه مايدل على مؤهله ، وأستاذ مساعد اقتصاد يحمل البكالوريوس بدرجة مقبول ... الخ فعندما تسلمت الكلية ، اتفقت مع رئيس الجامعة على ضرورة تنظيفها أولا ، ثم نبنيها من جديد على أسس جامعية سلمية . فجمعت أعضاء هيئة التدريس وأوضحت لهم أنهم يعتبرون معارين من وزارة التعليم العالى الى الجامعة حتى نهاية العام الدراسى ، حيث أنهم غير مستوفين لشروط التعيين فى الجامعة ، فليس منهم واحد يحمل الدكتوراه ، كما أنه

ليس من بينهم من هو مؤهل للحصول على الماجستير فالدكتوراه ، حيث يشترط للحصول على الماجستير أن يكون الطالب حاصلا على البكالوريوس بتقدير جيد على الأقل . وخيرتهم بين ثلاثة بدائل :

أ- إما أن يعين المدرس منهم ، مدرسا من خارج هيئة التدريس ، وحينئذ يطبق عليه قانون العاملين المدنيين بالدولة ولا يطبق عليه قانون الجامعة، وفى هذه الحال يمكن أن يرقى مسستقبلا الى أن يصل الى درجة وكيل وزارة ، ولكنه لن يحصل على بدل الجامعة البالغ ٣٠٪ من الراتب الأساسى ، ولا يتمتع بميزات أعضاء هيئة التدريس كعضوية مجلس القسم ومجلس الكلية ورئاسة اللجان والامتحانات ورئاسة ووكالة الأقسام .

ب- أو يختار أى معهد عال تجارى لينقل اليه ، ووعدتهم بالمساعدة فى ذلك لدى وزير التعليم العالى بناء على وعد من رئيس الجامعة .

ج- أو يتمسك بأنه عضو هيئة تدريس بالمعهد ومن حقه الاستمرار بالكلية ويرفع دعوى قضائية ، وحينئذ سنطلب منه أن يقدم أبحاثه للتعيين بدرجة أستاذ مساعد . وأوضحت لهم أنى عضو اللجنة العلمية الدائمة للترقية بالمجلس الأعلى للجامعات ، ولن تمر أية أبحاث من اللجنة باعتبارها مقبولة .

سألنى أحدهم : حتى ولو كانت الأبحاث على مستوى ؟ قلت له : ياأستاذ (ع) حتى ولو كانت الأبحاث على مستوى ، فأنت تعرف تماما كيف أعدت هذه الأبحاث ، بأمارة الـ ٢٥ قرشا !! فسكت مندهشا .

الاستاذ (ع) هذا أحضر الى مكتبى صباح أحد الأيام (مشنة) وبها حوالى ١٥ فطيرة مشلتتة ، وقدرا مليئا بعسل النحل ، وطاجنا به جبن قديم

ومش . أوضحت له أن هذا عيب ولا يجوز . قال : هذه هدية والنبى صلى الله عليه وسلم قبلها . قلت : هذه ليست هدية ، فليس بيننا من الود وسابق المعرفة ما يجعلنا نتبادل الهدايا . ثم أعطيت المشنة والقدر والطاجن للفراش الخاص بمكتبى " عبد الحميد القزنجى" وقلت له : وزع هذه الأشياء على أعضاء هيئة التدريس والمعيدين . وقل لهم إنها هدية من الاستاذ (ع) . فاغتاظ الأستاذ (ع) كثيرا .

قصة الـ ٢٥ قرشا

كنت عضوا بلجنة ترقية المدرسين الى أساتذة مساعدين بالمعاهد التجارية العالية . وكان العضوان الآخران يعتمدان على تقريرى الخاص بفحص الأبحاث . وأثناء اطلاعى على بحث مقدم للترقية لدرجة استاذ مساعد لادارة الأعمال ، تذكرت أن الكلام الذى أقرأه قد مر على من قبل . بحثت فى الأبحاث الأخرى إلتى قدمت لى قبله ، فوجدت أحدها ، هو صورة طبق الأصل من البحث المقدم . فكتبت تقريرى عن مقدم البحث ، بأنه لايرقى لشغل وظيفة استاذ مساعد لعدم أمانته العلمية .. جاءنى هذا الشخص فى المنزل يبكى وقال : خربت بيتى ! قلت له : أنت الذى خربت بيت نفسك ، فأنت قد سرقت بحثا آخر ونسبته الى نفسك . قال : لايمكن أن يحدث هذا . فأحضرت له البحث المنقول منه ، وقلت له : اقرأ فى بحثك وأنا أكمل من هذا البحث ، ثم أقرأ أنا وأنت تكمل . وما قرأنا صفحة حتى تراخى فى الكرسى الجالس عليه وقال : ياخبر اسود ! يظهر أننا نحن الاثنان قد نقلنا من مصدر واحد . قلت له إحك لى القصة وأصدقنى القول كيف تم ذلك ، ولك على أن أبدل تقريرى من عدم الصلاحية لعدم الأمانة العلمية والتى تؤدى الى فصلك من العمل ، الى عدم الصلاحية لضعف الأبحاث ، وعندئذ يصير من حقك أن تتقدم بأبحاث جديدة بعد سنة ... وافق على ذلك وقال : إنه يوجد بالمعهد القومى للبحوث عدد من الباحثين لاهم لهم إلا البحث ،

ومجالات تخصصهم مختلفة وتغطى إدارة الأعمال . والأبحاث التى يعدونها تحفظ فى مكتبة ، مفتاحها مع أحد الفراشين . فعرفنا طريق هذا الفراش ، وكنا ندفع له ٢٥ قرشا عن كل بحث نأخذه منه ، وعلى ذلك يشترى كل منا ٣ أبحاث ٧٥ قرشا ، ونقدمها للجنة ، ونترقى بها !!!

الشكاوى الكيدية

بدأ أعضاء هيئة التدريس فى المعهد بشن حرب شعواء ضدى . فكانوا يبعثون بشكاوى ضدى مليئة بالاكاذيب ، مثل أنى لم أعين فى الكلية إلا لأنى زوج أخت الدكتور عبد العزيز حجازى ، وهذا أمر ليس له أى أساس، أو أنى غير حاصل على الدكتوراه ، أو أنى أسىء معاملة الطلاب ... الى غير ذلك من الافتراءات . وكانت هذه الشكاوى ترسل الى محافظ الدقهلية ووزير التعليم العالى ورئيس مجلس الامة ومدير الرقابة الادارية والنائب العام ومدير النيابة الادارية ومدير المخابرات العامة ومدير المباحث العامة ... الخ ، وكانت كلها تعود فى النهاية محالة الى رئيس الجامعة بطلب الرد ، فكان يحيلها لى ، وكنت قد أعددت ردا عليها طبعت منه صورا ، أبعث بالواحدة منها الى كل جهة يشكوننى اليها .

وكنت فى كل مرة أجمع هؤلاء المدرسين وأقرأ عليهم شكاواهم معنفا وموضحا ماهم عليه من سوء أدب .

خطاب حقير

عندما عدت الى منزلى من المنصورة فى مساء أحد الأيام ، جاء ساعى البريد يقول : خطاب الى حرم الدكتور محمود عساف . أخذت منه

الخطاب وأعطيته لزوجتى التى فتحته ثم تمتمت : ماهذا .. ماهذا .. خذ . وأعطتنى الخطاب . قرأته وحفظت صيغته لأهميتها . كان يقول : السيدة الفاضلة حرم الدكتور محمود عساف . إن ابنتى مديحة علام طالبة بكلية تجارة المنصورة (لم تكن توجد طالبة بهذا الاسم) وزوجك الدكتور عساف يعطف عليها كثيرا ، ويساعدها بالدروس فى الكلية وفى المنزل عندنا ، وقد تقدم لخطبتها ، ونحن حيارى : إن وافقنا فسيكون هذا على حساب زوجة بريئة ، إذا رفضنا فسترسب فى الامتحان حتما . دلينا على مايجب أن نفعله أو أجعليه يتعقل ...

من حسن الحظ أن زوجتى سيدة عاقلة ومتزنة ، وكانت تعلم بمشاكلى فى الكلية ... طلبت رئيس الجامعة هاتفيا وقرأت عليه الطاب ، فأخذ يضحك ... ثم قال : هاته معك يوم السبت لكى أريه للدكتور حافظ غانم وزير التعليم العالى ، لكى نتخلص من هؤلاء فى أسرع وقت .

الامتحانات وضبطها

عندما تسلمت العمل بالكلية ، ألغيت جميع المذكرات التى كانت تدرس بها ، لأنها كلها عبارة عن أجزاء مسروقة من كتب الأساتذة . ثم انتدبت أساتذة كبارا من تجارة القاهرة وتجارة عين شمس متخصصين فى مواد الادارة والمحاسبة . وانتدبنا أساتذة من حقوق القاهرة لتدريس مواد القانون .

ونظرا لأن السنة الدراسية كانت قد بدأت منذ ٣ شهور ، ولا يتبقى فيها غيز ٤ شهور فقط ، وكان الاساتذة قد ارتبطوا مع كلياتهم بجداول الدراسة المقررة ، لذلك اتفقت معهم على أن يحضر الاستاذ الينا مرة كل ٤ أسابيع ، ويدرس عضو هيئة التدريس بالمعهد الأسابيع الثلاثة الأخرى تحت

اشراف الاستاذ ومن كتابه . فكان كلما جاء أحد الأساتذة ، فإنه يجتمع بأعضاء المعهد ويطلع على مادرسوه ، ثم يكمل هو الموضوعات مع الطلاب ... وهكذا دواليك كل شهر .

اطمأننت تماما لمستوى التدريس ، فهو لايقل بحال عن مستواه فى جامعتى القاهرة وعين شمس .

الذين اعتمدت عليهم من أعضاء المعهد كانوا أربعة :

ابراهيم مهدى ، الذى قبل أن يكون مدرسا من خارج الهيئة ، وساعدته فى التسجيل للماجستير فالدكتوراه مع الدكتور عادل عز بكلية تجارة القاهرة . وقد حصل على الدكتوراه وسار فى الطريق الطبيعى ، ورقى الى استاذ مساعد ثم الى استاذ . وهو الآن عميد الكلية ويديرها بكفاءة منقطعة النظير .

أنور اسكندر ، الذى قبل أن يتحول من استاذ مساعد إدارة أعمال الى مدرس من خارج الهيئة للغة الانجليزية ، وكان عونا لى فى الامتحانات واتسم بالخلق الكريم والأمانة .

جورج فيغالى ، المدرس من خارج الهيئة للغة الفرنسية .

صفوت البسيونى ، الذى كان استاذا مساعدا بالمعهد ، ورشحته ليكون أمينا مساعدا للجامعة حين خلت تلك الوظيفة ، فعينه رئيس الجامعة أمينا لها ، ثم استقال مفضلا الأعمال الحرة .

جاء موسم الامتحانات . فشكلت لجان المراقبة من :

- أعضاء الهيئة القضائية بالمنصورة
- أعضاء النيابة العامة
- أعضاء النيابة الادارية
- اعضاء الرقابة الادارية
- المديرين الماليين للشركات
- مديرى البنوك
- وكلاء الوزارة بالمحافظة
- موجهى التعليم بالمحافظة

وضممت اليهم المعيدين والمدرسين المساعدين الذين تم تعيينهم حديثا ، واخترناهم من كلية التجارة بجامعة القاهرة . وبذلك منعت أعضاء هيئة التدريس بالمعهد والمعيدين المعينين به من مباشرة أى نشاط فى الامتحانات ، سواء فى المراقبة أو الملاحظة .

وعهدت الى قدامى المدرسين - الذين رشحتهم نقابة المعلمين بأعمال الملاحظة . ثم قررت أن يكون الامتحان فى خيمة كبيرة مفتوحة لسهولة الملاحظة ، بعد أن كانت تتم من قبل فى غرف الدراسة المغلقة .

كلفت كل استاذ بأن يضع امتحانه ، ويسلمه لى فى ظرف مغلق ، ووضعت الأظرف فى الخزانة الحديدية بمكتبى . وفى يوم الامتحان ، أبيت فى استراحة أعددتها بالكلية ، وأقوم بعد صلاة الفجر ، وأكتب الامتحان على الآلة الكاتبة على ورق الاستنسيل . وفى الساعة السابعة صباحا ، أصحب لجنة طبع الأسئلة ، وهى مكونة منى والاستاذ أنور اسكندر وكاتب آلة (احتياطى) ورئيس السعاة (لادارة آلة الطباعة) . وخصصت غرفة للطباعة كانت مخصصة من قبل كاستراحة للبنات وملحق بها دورة مياه .

كنا ندخل الغرفة فى الساعة السابعة صباحا ، ونطبع الامتحان فى المادة التى سيختبر فيها الطلاب فى ذلك اليوم ، ونوزع الأسئلة على الظروف بحسب عدد لجان الامتحان ، ثم أصحب رئيس السعاة حاملا الأسئلة الى الخيمة . وبعد نصف ساعة من بداية الامتحان أعود الى الغرفة فأفتحها ليغادرها من فيها ... كل ذلك حتى لا تتسرب الأسئلة .

ثم أصدرت قرارا بأن يتم التصحيح بالكلية ، وأنه غير مسموح بإخراج أية أوراق إجابة منها ، فيما عدا مايحمله أساتذة جامعتى القاهرة وعين شمس معهم ليصححوا بمنازلهم كما اعتادوا .

ونظرا لأن ايرادات التصحيح تعد رزقا هاما لأعضاء هيئة التدريس ، فلم أشىء أن أحرم أعضاء المعهد من هذا الرزق ، لذلك قررت ألا ينفرد المصحح بورقة ، بل عليه أن يصحح سؤالا واحدا فيها ، والذى يصحح السؤال الأخير هو استاذ المادة والذى عليه أن يراجع تصحيح من سبقه من المصححين .

على أنغام الموسيقى

نظرا لأن الطلاب يكونون متوترين أثناء الامتحان ، أعددت إذاعة داخلية فى الخيمة ، تذيع أغانى أم كلثوم قبل الامتحان بنصف ساعة والى أن يبدأ ، ثم تتوقف . وفى أيام امتحانات المواد التى تحتاج الى تفكير هادىء كمواد الرياضة والاحصاء وبحوث العمليات ورياضيات التأمين وما اليها، كنا نذيع موسيقى خفيفة تريح أعصاب الطلاب ، لدرجة أن جريدة الأخبار نشرت خبرا يقول : طلاب كلية التجارة فى جامعة المنصورة يؤدون الامتحان على أنغام الموسيقى (صورة هذا الخبر منشورة فيما يلى) .

ضبط الغش

بقدر ماكنا نهتم بأحوال الطلاب الجادين ، كنا نحارب الانحراف بشدة وعنف . ففى اليوم الأول للامتحان ضبطنا ٥٣ طالبا متلبسين بالغش . وكنت كلما ضبطنا أحدهم ، أذيع فى الميكرفون فى أنحاء الخيمة ، بأنه ضبط الآن الطالب فلان الفلانى متلبسا بجريمة الغش ، وألغى امتحانه كله هذا العام ، وأحيل الى مجلس التأديب .

فى اليوم التالى ضبطنا ١٠ فقط ، وفى اليوم الثالث ضبطنا أربعة . ثم امتنع الغش بعد ذلك ، إلا فيما ندر عندما يحضر طالب الامتحان فى

ماذا يجري خارج القاهرة ؟

طلاب كلية التجارة في جامعة المنصورة يؤدون الامتحان على أنغام الموسيقى !

طلاب جامعة المنصورة يؤدون امتحانات نهاية العام الدراسي على انغام الموسيقى .. قرر المسئولون وضع جهاز تسجيل في خيمة الامتحانات لتذاع من خلاله الموسيقى والاغاني الخفيفة ..

يقول فؤاد أيوب المحرر المقيم في الدقهلية : ان هذه التجربة أثنى عليها كل الطلاب . ويمكنها ان تحقق نجاحا كبيرا لو نقلت في لجان الثانوية العامة ..

كان الدافع لتنفيذ هذه الفكرة ـ على حد قول الدكتور محمود عساف عميد الكلية ـ ازالة الرعب من قلوب الطلاب وخاصة بعد أن تقرر عقد الامتحانات هذا العام ، داخل خيمة مساحتها ٤ آلاف متر مربع ، شبيهة بخيمة امتحانات الثانوية العامة ، التي تعطي انطباعا رهيبا لدى الطلاب

بدأت التجربة في اليوم الاول للامتحانات بحيث أذيعت الموسيقى والاغاني قبل الامتحان بنصف ساعة .. وقضت هذه الفكرة على انشغال الطالب قبل الامتحان بقراءة المذكرات العاجلة التي تمنعه من التركيز

واذا كانت الدقهلية ، قد

x حوادث x حوادث x حوادث x حوادث x حوادث x حوادث x

جريدة الاخبار ١٨/٦/١٩٧٤

مادة تخلف فيها من العام السابق ولا يعرف شيئا عن اسلوبنا فى إدارة الامتحان .

كان الفضل فى ضبط الغشاشين يرجع الى يقظة الدكتور ابراهيم مهدى والدكتور فتحى محرم والدكتور محمد سويلم والدكتور حاتم قابيل والدكتور طلعت أسعد والدكتور ناجى خشبة ، وكلهم كانوا معيدين أو مدرسين مساعدين فى ذلك الوقت .

ومما يذكر أنه فى العام التالى ، تقدم طالب بتقرير طبى من مستشفى الجامعة ، بأنه مريض وملازم الفراش بالمستشفى ، ويطلب تشكيل لجنة خاصة لامتحانه هناك . سألت عنه فعرفت أن والده كبير الممرضين بالمستشفى ، فشكلت لجنة ملاحظة من اثنين من المعيدين الجادين المتمسكين بالمثل العليا ، وذهبا يراقبانه أثناء تأدية الامتحان . لاحظا أنه يجلس بالقرب من النافذة ووجهه الى الضوء ، فطلبا منه تغيير اتجاه مقعده حتى لا يؤذى الضوء بصره أثناء الاجابة . فرفض . فأثار ذلك شكهما . ففحصا النافذة ، وإذا بمذكرات كاملة مكتوبة على ضلفها الزجاجية وجوانبها بقلم دقيق . كان الطالب قوى البصر وأعد الاجابات ليغش منها . أثبت الملاحظان ذلك فى محضر . وأتيا لى بالطالب الذى تبين أنه متمارض ، والغى امتحانه كله وأحيل الى مجلس تأديب ، كما تلقى الطبيب الذى كتب تقريرا بأنه مريض وملازم الفراش إنذارا من مدير المستشفى بعد شكوانا له .

وساطات

ومما يذكر أيضا بهذه المناسبة ، أن أحد الطلاب فى اختبارات ١٩٧٦ ، ضبط متلبسا بالغش هو وطالب آخر ، بالرغم من أنى فى أول أيام الامتحان كنت أذيع على الطلاب نص مادة الغش فى قانون الجامعات ،

وكنت قد علقت على باب خيمة الامتحان نص تلك المادة وتحذيرا للطلاب للامتناع عن الغش . هذا الطالب ضبط متلبسا ، فأذعت فى الميكرفون واقعة ضبطه والغاء امتحانه وتحويله الى مجلس التأديب .

وفى عصر ذلك اليوم وأنا جالس فى مكتبى بالكلية ، وإذا بمكالمة من سكرتير عام المحافظة ، يحيينى فيها باشتياق ويطلب موعدا لكى يزورنى فيه بسبب موضوع يؤرقه . سألته عن ذلك الموضوع فقال : إن الطالب فلان (الذى ضبط مع آخر يغش فى ذلك اليوم) يتيم الأب ، وأمه منزعجة لضياع مستقبل ولدها ، وأنه من الرحمة التجاوز عن هذه الواقعة . قلت له: إن الموضوع قد انتهى وصدر قرار إلغاء الامتحان وبلغ للجامعة . قال : أكلم رئيس الجامعة . قلت له : حتى لو كلمته فو أكثر تشددا منى .

وبعد ساعة جاءتنى مكالمة آخرى من أمين الاتحاد الاشتراكى - ولم أكن قد تعرفت به من قبل - وبعد التحية سألنى عن السبب فى أنى لا أزورهم ولا أشاركهم فى العمل السياسى والاجتماعى ، ثم تطرق من ذلك الى ذات الطالب الذى ألغى امتحانه . قلت له : إن الموضوع قد انتهى أمره ، ولا نستطيع أن نكيل بكيلين .

وبعد ساعة أخرى حضرت والدة الطالب ، فقابلتها بجفاء وأفهمتها أن الخطأ خطأها لأنها لم ترب أبنها التربية الصالحة ، فانصرفت باكية .

وفى اليوم التالى ، حكيت فى بداية الامتحان ماحدث معى مساء اليوم السابق ، وقلت للطلاب : إن مهمتنا هى تحقيق العدالة بين الطلاب ، فإذا شددنا فى الامتحانات فهذا لصالحهم . ونحن لا نفرق بين طالب وآخر ، ولا ميزة عندنا لابن الوزير على ابن الغفير ، فكلهم أمام القانون سواء .

فى آخر الاسبوع توجهت الى منزلى بالقاهرة ، وإذا بمكالمة من الاستاذ جلال الدين الحمامصى الصحفى المشهور والذى كنت أعرفه منذ عام ١٩٥٧ ، وسألنى ع · مدى صحة واقعة هذا الطالب فأجبته بصحتها ، وسألنى عمن حاول التوسط له ، ولما وعد بألا ينشر اسميهما أبلغته بهما . وفى اليوم التالى فوجئت بعموده " دخان فى الهواء " وقد نشر فيه الواقعة تحت عنوان " قصة معبرة مهداة الى المسئولين " . قال لى جلال الحمامصى إن طالبا من طلابى ذهب اليه وأبلغه قصة ذلك الطالب ، وقال له : لقد كنا يائسين من اصلاح هذا البلد ، الى أن سمعنا حديث الدكتور عساف معنا . حينئذ استبشرنا خيرا بالمستقبل .... الخ (صورة مقال جلال الحمامصى منشورة بالصفحة التالية) .

قصة أبو ...

أثناء التصحيح فى عامى الأول بالمنصورة ، حضر الى مكتبى الاستاذ مكرم عبد المسيح ، ومعه كراسة إجابة فى مادة التكاليف وقال إنه يشك فى تلك الكراسة . (هو الآن استاذ المحاسبة بجامعة قناة السويس) .

كان مكرم عبد المسيح مدرسا مساعدا . وكان يبيت فى الكلية مع باقى المعيدين والمدرسين المساعدين فى الاستراحة التى أعددتها لهم كمعسكر اثناء الامتحانات . وكانوا يقومون فجر كل يوم للصلاة . ولم يكن الماء قد وصل الى الدور الذى فيه الاستراحة ، فكان الاستاذ مكرم يقوم معهم ويصب لهم الماء من الابريق للوضوء . شكر الله له وجزاه خيرا .

أخذت منه الكراسة وتطلعت فيها . . الطالب لم يجب بشىء ، واكتفى بكتابة الأسئلة دون إجابات . قال لى مكرم إن الفراغات الموجودة بعد الأسئلة ستملأ بالاجابات ، وهذا اسلوب معهود من أيام المعهد .

قصة معبرة مهداة الى المسئولين

.. واستمعت الى القصة الاخبارية بشغف شديد . ولم اهتم بتفاصيلها : كيف . ومتى . ولماذا حدثت وانما اركز اهتمامي على نواح قد تبدو جانبية ، ولكنها في الواقع ومن وجهة نظرى تحمل دلالات كثيرة ..

لقد جاء الطالب الجامعى الشاب الى مكتبى من المنصورة يحمل القصة ويرويها بحماس شديد مؤكدا كل كلمة فيها وقائلا بفخر ان العميد اعلنها في سرادق الامتحان على مسمع من خمسة الاف طالب .

وحاولت الاتصال بالعميد الاستاذ الدكتور محمود مساق ، ولكن الاتصالات التليفونية لم تسمح بذلك (!) ومع هذا فقد سألت نفسى : ((لو افترضت ان القصة لم تكن صحيحة تماما في تفصيلاتها ، فما الذى يمنع من استخلاص ((عبرة)) تسلط عليها الاضواء ، وتكشف بها عن فرحة الشباب بالتصرف الرسمى الشجاع الجرىء متمنيا ان يكون هو ((دستور)) الموظف العام الذى يحرص على نزاهة موقعه ويتحدى الذين يريدون اغراق الشباب في بحر الانحرافات والاستثناءات الصارخة التى تقتل تكافؤ الفرص ..

.. ..

.. ..

والقصة تقول : ان طالبين بكلية تجارة جامعة المنصورة ضبطا في حالة تلبس بالغش وتقرر حرمانهما من الامتحان واحالتهما الى مجلس التأديب تطبيقا للوائح الجامعة .

ويبدو ـ وهكذا تقول القصة ـ ان واحدا من هذين الطالبين وجد المسئول الكبير الذى يشفع له ويطلب من عميد الكلية الدكتور مساق الاذن له بالاستمرار في الامتحان والرجوع عن القرار . ورفض العميد الطلب واصر على الرفض . بل لم يكتف بذلك وانما وقف في سرادق الامتحان ليعلن الوقائع كلها على الطلبة معلنا انه رفض الاستجابة لطلب المسئول ـ الذى وصف بأنه كبير ـ وان قرار الكلية بالحرمان لا رجعة فيه ..

والقصة ـ كما تبدو ـ عادية في كل جوانبها حتى في المحاولة التى قبل أن المسئول الكبير ذاتها ، بل ان اصرار العميد على احترام القانون وتطبيقه على الجميع بلا استثناء هو امر روتيني .. !

ومع هذا فان الطالب الجامعى الذى سارع بالحضور الى القاهرة من المنصورة الى مكتبى ليعلن هذا الامر (!!) قد وجد في تصرف العميد شجاعة لابد من الاعلان عنها وان في تطبيقه مبدأ العدالة ما يستوجب على رجال الصحافة الاشادة به ..

والطالب معذور ومحق في رأيه .

فهو (اولا) يرى في هذا التصرف جديدا بالنسبة له . لانه وامثاله يعيشون في جو لا يتحدث فيه الناس ـ وشباب المستقبل خاصة ـ الا عما يسمونه مجاملة كبار المسئولين على حساب الاخرين . وهو واقع يكشف عن تطلع يسيطر على الشباب في ان تكون قاعدة المساواة في المعاملة هى السائدة في كل تصرف من تصرفاتنا وبذلك تمسح من افكارهم ما زالوا يطلقون عليه اسم مراكز القوى .

وهو (ثانيا) فخور بتصرف العميد بالنسبة له ولكل زملائه وذلك بالاتجاه اليهم ليعلمهم بالحقائق كاملة ويفسر لهم ما حدث وما واجهه به الموقف . والطالب يفخر بهذا التصرف لان العميد عامله وعامل كل اقرانه معاملة صاحب الحق في معرفة الحقائق الخاصة بكليته . وهو في هذا يعبر ـ بغير حاجة الى تفسير من جانبه ـ عن اصرار الشعب في ان توضع امامه حقائق كل موقف كاملة ، لانه بهذا يحس باحترام لنفسه واحترام الذين بيدهم امره . اذ لا يعتبرونه كما مهملا ، بل صاحب حق والشريك الاكبر في كل شأن من شئونه العامة .

.. ..

.. ..

والقصة بعد هذا تحمل دلالات كثيرة ، دلالة فرحة الشباب بالعثور على رجل شجاع . ودلالة فرحة الشباب بالقرار معناه ان المسئول الكبير ليس هو الشخص الذى يفرض ارادته بغير مناقشة او حساب . ودلالة الفرحة بان عميده قد عامله معاملة الفرد الذى لا تختفى الحقائق من امامه بغير مسئولية بل يسمعها ويفهمها فورا من موقع المسئولية .

.. ..

.. ..

والقصة ، حتى ولو لم تكن كل وقائعها صحيحة ، الا انها جديرة بالاهداء (اولا) الى المسئولين ليعرفوا اى نوع من التطلعات يتطلع اليه الشعب ـ وشبابه خاصة ـ و (ثانيا) الى الذين يقولون ويدعون أن مجتمعنا كله قد استسلم للحال الذى وصل اليه . انها غير صحيح . فالشباب يكافح ويناضل من أجل الوضع الاحسن ، والى ما لم يصل اليه وباسرع وقت . لانه لابد ان يفرضه وان يؤكده بنفسه رضينا ام لم نرض .

جلال الدين الحمامصى

حملت الكراسة وعرضتها على رئيس الجامعة وأبلغته بالشك فيها وأنى سأصورها كما هى ثم تسلم بعد ذلك للمصحح . أقرنى على خطتى .

بعد يومين جاءنى الاستاذ حامد شعبان (هو الآن استاذ المحاسبة بجامعة طنطا) وفى يده كراسة فى مادة المراجعة ، وقال : إنى أشك فى هذه الكراسة . اطلعت عليها فوجتها شبيهة بالكراسة الأخرى الخاصة بمادة التكاليف . قارنت الكراستين ببعضهما . وجدت أنهما لطالب واحد ، وأن الطالب كتب فى أول صفحة كلمة البسملة ، وفيها الباء بغير نقطة تحتيه ، والهاء فى لفظ الجلالة عليها نقطتان ، وكأنه يقول باسم اللات . والعياذ بالله .

كشفنا عن اسم الطالب ، وعرفت أنه ابن متعهد الاسمنت بالمحافظة، وعلمت أنه كان يأخذ دروسا على يد أحد أساتذة المعهد ، وكانت وزارة التعليم العالى قد أجرت تحقيقا مع هذا الاستاذ فى العام الفائت ، ولكن لم يثبت التهمة عليه لعدم كفاية الأدلة . طلبت أسماء الطلاب الآخرين الذى أجرت الوزارة معهم التحقيق ، فوافونى بأسماء خمسة طلاب . طلبت كراساتهم فى المادتين المشكوك فى أمرهما ، فوجدت طالبا آخر هو ابن متعهد النقل بالمحافظة ، قد حذا حذو أخيه فى الاجابة ، وترك فراغات بعد رؤس الأسئلة.

كلفت الاستاذ ابراهيم مهدى بتصوير الكراسات الأربعة ، وكان ذلك فى الساعة الثانية عشرة مساء ، ثم طلبت رئيس النيابة العامة باعتباره عضو لجنة المراقبة ، فحضر الى مكتبى وهو مرتد البيجامة . عرضت عليه الأمر ، فأبلغنى بكيفية معالجة الموضوع حتى لايتعرض للطعن من الوجهة القانونية . وبناء على نصيحته شكلت لجنة منى ومن وكيل وزارة المالية ومدير بنك مصر وهما من خارج الكلية وعضوان بلجنة المراقبة ، لمضاهات أصل

الكراسات الأربع مع صورها والتوقيع على كل صفحات الصور بانها صورة طبق الأصل . ثم سلمت الكراسات الأربع لأنور اسكندر الذى كان مختصا بتوزيع الكراسات على المصححين ، لوضعها فى أماكنها فى ظروف إجابات الطلاب .

طلبت من الاستاذ يحيى عبيد المدرس المساعد (هو الآن استاذ للمحاسبة فى المنصورة) بأن يغيب عن الكلية ، حتى يبدأ الاستاذ (أبو...) فى التصحيح وحده ، ولا تتاح له الفرصة بأن يلقى التهمة فيما بعد على من صحح قبله .

أبلغت المشرف على قسم المحاسبة بالواقعة ، حتى لايتهمنى بأنى أهملته فى مثل هذا الأمر الهام . وإذا بـ " أبو ... " الذى كان يدرس هاتين المادتين مع الاستاذين المنتدبين من القاهرة وعين شمس ، يكلمنى فى الصباح الباكر ، قائلا إنه تلقى مكالمة من القاهرة بالنداء الآلى من شخص لم يفصح عن اسمه ، يحذره من أن هناك تلاعبا فى ورقتين !! كاد الموضوع أن ينكشف !!

رددت عليه بحدة وغضب : ياأستاذ (أبو ...) أعلم أن الامتحانات أنا الذى أديرها ، وإذا كان هناك تلاعبا فأنا المسئول عنه ، وأنا لا اسمح لك أو لغيرك بأن تسيئوا لسمعة امتحاناتنا التى تتسم بالدقة التامة واتخاذ كل حيطة ممكنة ... اطمأن باله .. وأخذ يصحح .. وفى اليوم التالى أتانى الاستاذ أنور اسكندر بالكراستين ، فإذا بهما مختلفتان عن الصورتين اللتين عندنا ، والفراغات ملئت ، كما أن صفحة كاملة كانت متغيرة تماما فى كل كراسة . فى حين أن الاجابات متطابقة فى الكراستين وبخط الطالبين.

فى اليوم التالى جاءنى الاستاذ (أبو ...) يقول إنه لاحظ أن

كراسات مادة التكاليف فى غير مكانها من الترتيب فى الأظرف . فقلت له أنى أنا الذى آمر بذلك حتى لا تنكشف الأرقام السرية إذا كانت متتابعة . فاطمأن كذلك ، وقام بالتصحيح ، وجاءنى الاستاذ أنور بالكراستين فى مادة التكاليف وهما مختلفتان تماما عن الصور الأصلية .

كان الاستاذ (أبو ...) يخلع دبوسى الكراسة ، ويأخذ الورقة أو الورقتين اللتين سيغيرهما معه داخل الجريدة التى يحملها فى يده ، ويسلم الظرف للاستاذ أنور ، الذى يحصى عدد الكراسات فيجدها مضبوطة . وطبعا هو لا يحصى عدد أوراق كل كراسة . ثم يأتى الاستاذ (أبو...) فى اليوم التالى ويطلب الظرف لاكمال التصحيح ، ويجرى مايشاء من تعديلات فى الكراسات بإضافة الاجابات الصحيحة للطالبين ، والتى يكون قد أملاها عليهما فى منزله فى الليلة الفائتة .

كتبت تقريرا لرئيس الجامعة بجميع الوقائع ، مرفقا به صور الكراسات الأصلية ،، والكراسات التى حدث بها التزوير . وكان للاستاذ (أبو...) ابن نخاف على مستقبله إذا أحيل أبوه للنيابة العامة لأنه سوف يسجن ويفصل من العمل ، ففصلنا إبلاغ الواقعة للنيابة الادارية اكتفاء بفصله وحفاظا على مستقبل ولده .

حققت النيابة الادارية فى الموضوع ، وأثبتت فى تقريرها جميع الوقائع السابقة ، وحققت مع الطالبين الذين أنكرا التزوير أو صلتهما بـ (أبو...) ولما سئلا عن كيفية تطابق إجاباتهما ، قالا إنهما غشا من بعضهما، وكان هذا سببا كافيا لفصلهما .

أحالت النيابة الادارية تقريرها الى مجلس تأديب الجامعة ، فاجتمع

المجلس وقرر إحالته لمجلس تأديب وزارة التعليم العالى للاختصاص ، بالرغم من أن الدكتور عبد المنعم البدراوى استاذ اساتذة القانون ، قال بأن مجلس تأديب الجامعة هو المختص لأن الجريمة وقعت عندنا .

ذهبت مع الدكتور البدراوى الى الدكتور حافظ غانم ، ومعنا ملف القضية موقعا على كل صفحاته المرقمة والتى بلغت حوالى ٧٠٠ صفحة ، فتسلمه ، ونادى مدير مكتبه وأعطاه الملف قائلا ، يعرض هذا على مجلس تأديب الوزارة فورا .

مضى عام كامل . ثم علمت أن (أبو ...) يعمل فى معهد آخر - بالرغم من أن هناك قرار صدر بوقفه عن العمل من جامعة المنصورة ، وهو سارى المفعول فى أية جهة أخرى - وأنه يقوم بالتدريس وأعمال الرقابة على الامتحانات والتصحيح ، وكأن شيئا لم يحدث قط .

وفى جلسة فى مرسى مطروح جمعتنى مع الاستاذ محسن محمد - رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الجمهورية - كان يحكى عن انحرافات بعض كليات الجامعة . حكيت له القصة السابقة ، فطلب تقرير النيابة الادارية واطلع عليه ، ثم كتب مقالا فى جريدة الجمهورية بعنوان : " لماذا يتكلم الناس عن الانحراف ؟ " ذاكرا الوقائع السابقة ومستنكرا النتيجة التى انتهت الى لا شىء .

وفى الصحفة التالية صورة لذلك المقال ، الذى انتهى الى طلب اجراء تحقيق بواسطة النيابة العامة أو المدعى العام الاشتراكى .

لماذا يتكلم الناس عن الانحراف؟

الأستاذ الجامعي ساعد الطلبة على تغيير أوراق الاجابة في الامتحان وملف الأستاذ يضيع بعد تسليمه لمدير مكتب الوزير!

المستشار القانوني للوزير يقول:

لا أحد يملك محاكمته!

والآن ..

أريد تحقيقاً تجريه النيابة العامة أو المدعي العام الاشتراكي

نتيجة سحب يوم ٧٦/٨/١٠	شهادات استثمار ذات الجوائز — البنك الأهلي المصري — المجموعة ج			
فازت الشهادة رقم	٣٩٥٥٥٨٦٣	الجائزة الأولى وقدرها	٥◆◆◆ جنيه	
وفازت الشهادة رقم	٤٤٤١٧٣٤٠	الجائزة الثانية وقدرها	١◆◆◆ جنيه	
[illegible]	٩٩٠٨٧٨٧	٢٨٠٢٥١٠٨	٣٥٤٢٩٠٠٥	٤٠٥١٣٦٨٠	٤٨٤٨١١٨٣
[illegible] بمبلغ ٥٠٠ [illegible]	٦٤٨٧٣٨٤ ٨٩٤٥٣٥٤	١٢٠٠٩٠٩٢ ١٥٣٩٥٥٨٦	٢٣٣٥٧٥٤٣ ٢٥٠٣٤٦١١	٢٦٠٦٧٨٤٢ ٢٤٢١٥٣٩٠	٣٤٦٠٢٩٨٧ ٥٠٥٤٧٥٢٣
٢٠ شهادة [illegible] بمبلغ ٢٥ جنيها	٧٤٥٧٤٣ ٢٧٢٦٠٩٢ ٤١٢٧٧٩١ ٤٢٠٨٦٥٧	٩٦٨٥٨٠٤ ١٢٤١٢١٥٤ ٢١١٩٠٣٠ ٢٣١٣٩٠٢٧	٢٤٦١٦٢٧٨ ٢٧٤٥١٢١٢ ٣٠٨٠٢٢٤٦ ٣٢٦٥٢٤٥٥	٣٢٨٧٢٥٥٢ ٣٤٢٢٦٣٢١ ٣٦٢٤٦٣٨٠ ٣٨٥٢٧٩٤٨	٢٨٨٢٢٣٥٠ ١٠٦٦٤١٩٢ ٤٥٧٥٧٢٢ ٤٩١٨٠٩٦٥

٣٣٣ شهادة [illegible] بمبلغ ١٠ جنيهات [illegible]

شركة النصر العامة للمقاولات

اعلان رقم ٧ لسنة ٧٦

تعلن الشركة عن حاجتها لشغل

وظيفة مراقب ورش نجارة

شركة النصر للملابس والمنسوجات

مطلوب خطاطون

للعمل بجريدة الجمهورية

من خريجي مدرسة تحسين الخطوط

فوجئت بعد أيام بدعوى جنحة مباشرة مرفوعة على وعلى الاستاذ محسن محمد بأننا طعنا فى (أبو ...) واتهمناه بتهم باطلة أساءت الى سمعته ... بعد ٣ جلسات حكمت المحكمة برفض الدعوى ... ثم فوجئت مرة أخرى بدعوى تعويض ، رفعها (أبو ..) ضدى وضد محسن محمد وضد الجامعة بالتضامن ، قيمتها ١٠٠ ألف جنيه تعويضا عما أصابه من أضرار بسمعته ... لم يكن أمامنا عندئذ إلا أن نبلغ النيابة العامة بالواقعة ، وليسجن أو يضار ابنه ، فهو الجانى على نفسه ...

طلبنا الملف من وزارة التعليم العالى ، فتبين أنه قد فقد !!!

علمت بعد ذلك أن (أبو ...) قد اشتراه بمبلغ كبير وأعدمه .

استمرت دعوى التعويض ١٦ سنة مابين حكم ابتدائى واستئنافى ونقض، كلفتنى مايزيد على ٥٠٠ جنيه- بأسعار ذلك الوقت- كأتعاب للمحاماة

صار أعضاء هيئة التدريس بالجامعة يتهاونون فى الانتحانات ، حتى لايحدث لهم ماحدث لى ، الى أن تولى الدكتور ابراهيم مهدى عمادة الكلية فأعاد الأمور الى نصابها ، وطبق الأسس والمثل التى اعتاد عليها معى .

وهكذا كنت أطبق مبادىء الامام الشهيد فى الأخلاق والتمسك بالحق والصبر عليه .

وفى عام ١٩٨٩ ، اتصل بى أحد أصدقائى السعوديين متسائلا عما إذا كنا قد منحنا درجة الدكتوراه فى المحاسبة عام ١٩٧٣ ؟ قلت له :

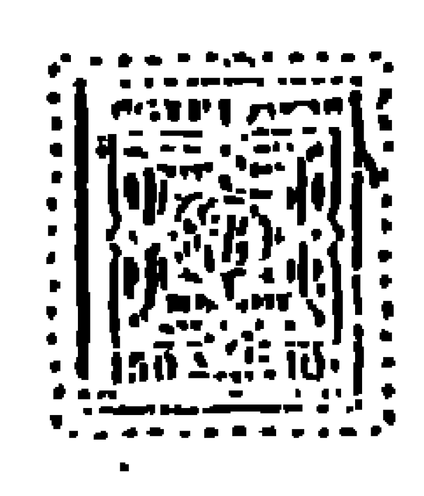
لايمكن فالكلية أنشئت في منتصف ذلك العام . فقال : إن شخصا ما قد تقدم لشغل وظيفة مدير مالى لاحدى الشركات ، وقدم شهادة فيها شىء من التشويه باعتبارها صورة من الشهادة الأصلية ، ومصدقا عليها من وزارة الخارجية ، تقول إنه حصل على درجة الدكتوراه فى المحاسبة من كلية بتوقيع المراقب ، الذى كان قد مات في ذلك العام .

أخبرته بأنه مزورة (أنشر صورتها فيما يلى) . وكان من سوء حظ (أبو ...) أن يعرض علىّ أنا بالذات هذا الموضوع . فسبحان الله الذى لايضيع عنده الحق، وصدق المثل العامى:" يموت الزمار وصابعه يلعب"!!!

هكذا كانت كلية تجارة المنصورة نقطة تحول فى حياتى وحياة العشرات من أعضاء هيئة التدريس ومئات الطلاب ، الذين أعتز بهم ، وأقابل الكثيرين منهم مصادفة فيلاقوني بشوق وتقدير ، وأحس أنى قد أنجبت المئات من الأبناء البررة .

الشراقوة عزموا الوابور

اختارنى صاحب برنامج " لقاء الثلاثاء " فى التلفزيون ، حين كنت عضواً باتحاد الاذاعة والتلفزيون عام ١٩٧٢ وأنا استاذ بكلية التجارة ، فقدمنى للمشاهدين لأقدم برنامجا عن الادارة .. قدمت البرنامج وكان شيقا : فيه إدارة الناس ، والمديرين الشاذين (قدمه أحد علماء النفس) وإدارة الحيوانات (قدمها مدير السيرك القومى) وإدارة الفيلم السينمائى (قدمتها الفنانة ماجدة) . ثم سألتنى السيدة سلوى حجازى مقدمة البرنامج عن بلدى الأصلى. قلت: الشرقية . فقالت : هل صحيح أن الشراقوة عزموا الوابور ؟ قلت نعم ، ولذلك قصة :



بسم الله الرحمن الرحيم

كلية التجارة
جامعة المنصورة

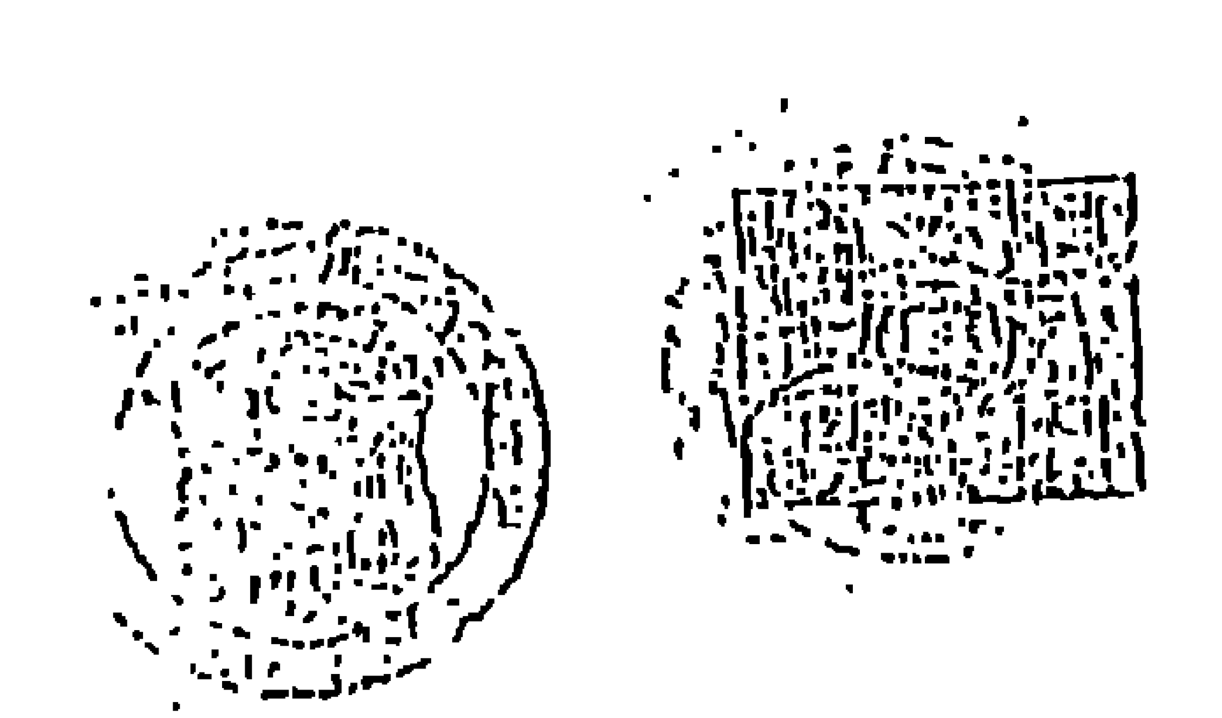
(شهادة مؤقتة)

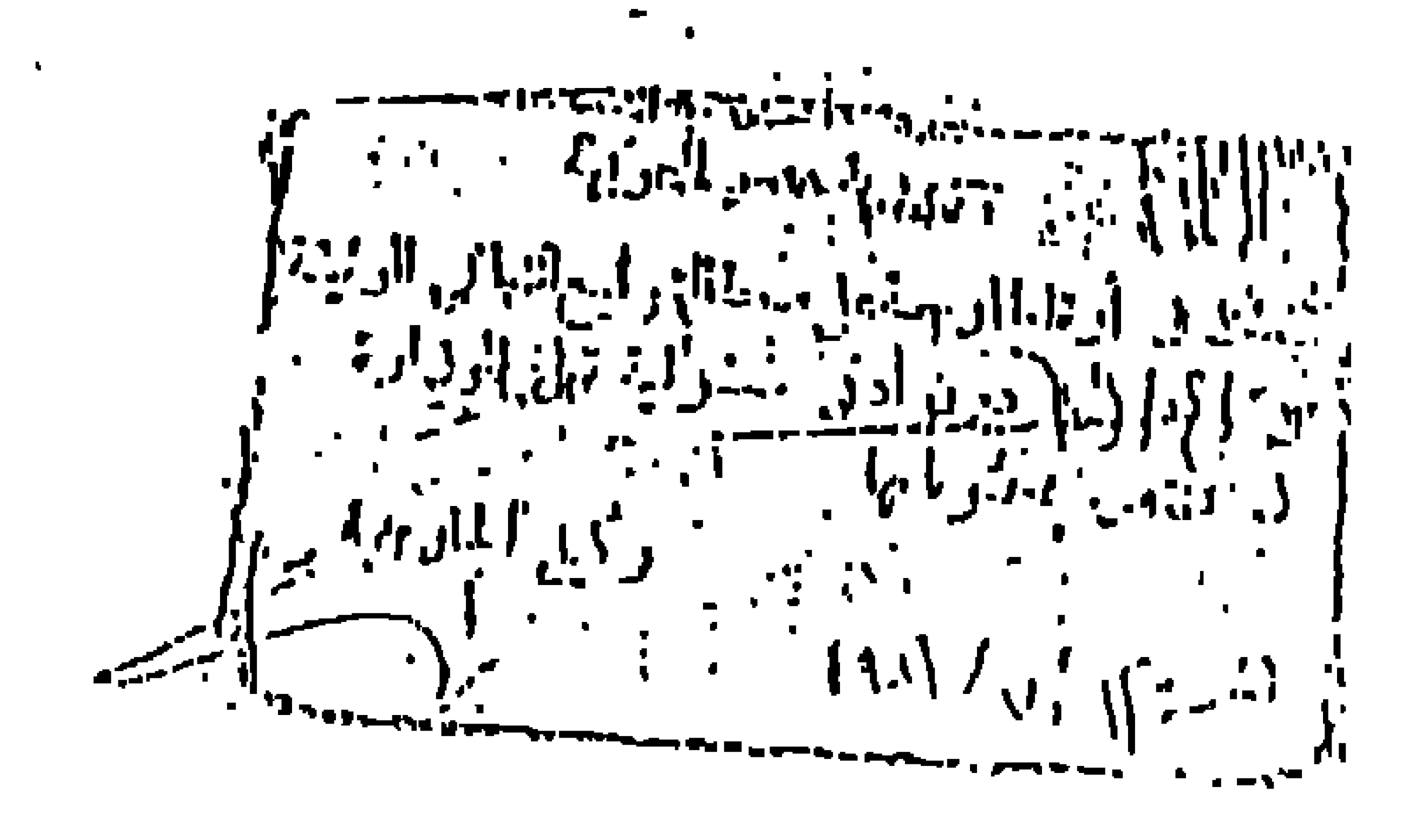
تشهد كلية التجارة جامعة المنصورة بأن الدكتور / ابر
المولود في ١٩٢٨/٨/٢٦ حاصل على درجة " دكتوراة الفلسفة في المحاسبة
عام ١٩٧٢ " وقد وافق مجلس الكلية على منحه هذه الدرجة في ١٩٧٣/١/٣٠ .
كما وافق مجلس الجامعة عليها في ١٩٧٣/٢/١٢ "

وقد اعطيت له هذه الشهادة الى من يهمه الأمر دون ادنى مسئولية على
الجامعة والحكومة فيما يتعلق بحقوق الغير .

المراقب العام
(السيد عبد الواحد ابو سالم)

١٩٧٣/٣/١





كان ذلك فى افتتاح الخط الحديدى بين الاسماعيلية والقاهرة . وكان أول قطار يمر على بلدة القصاصين وقت أذان المغرب ، وهو يحمل العشرات من رجال الدولة والسفراء والأعيان.. فكر أهل البلدة بكرمهم الشرقاوى العتيد، وقالوا ليس معقولا أن يمر هؤلاء أمامنا وقت المغرب ولا يفطرون .. فأخرجت أسر البلدة عشرات الصوانى وعليها الطعام ، والقلل المليئة بالماء البارد ، ووضعوا الصوانى على قضيب القطار ، ثم نبهوا السائق فوقف . ونزل الناس وافطروا ... فقيل : الشراقوة عزموا الوابور - أى ركاب الوابور . فإذا قال الله تعالى : " بلدة طيبة ورب غفور " فإنما يقصد سكان البلدة وليس مبانيها .

كانت سلوى حجازى سيدة فاضلة وعلى خلق عال ، ولذلك اختطفها الموت وهى فى عز شبابها .

سبحان الخلاق العظيم !!

فى عام ١٩٧٦ سافر وفد من جامعة المنصورة الى أمريكا على حساب هيئة التنمية الدولية الأمريكية (A.I.D) ، لزيارة ست جامعات آمريكية . وكان الهدف من الزيارة هو تقييم مناهجهم الدراسية فى مرحلتى البكالوريوس والدراسات العليا ، ومقارنة تلك المناهج بمناهجنا للعمل على تطويرها .

أنزلونا فى فندق امبريال فى نيويورك بالشارع السابع ، وهو شارع الملاهى بالمدينة . وكان الى جوار الفندق ملهى تنبعث منهن أصوات موسيقى صاخبة ، وكنا نمر على ذلك الملهى فى الذهاب والاياب ولا نلقى له بالا .

وفى مساء أحد الأيام كنت أنا والدكتور حسين غالب عثمان عميد كلية علوم المنصورة وقتئذ ، خارجين من الفندق لشراء بعض اللوازم ، فوجدنا باب الملهى نصف مفتوح ، ولمحنا امرأة عارية تماما ترقص على مايشبه المنصة ، وبالباب رجل فى أواخر الخمسينات من عمره ، يغرى المارة على الدخول... لاحظ الرجل أننا نتكلم باللغة العربية باللهجة المصرية الدارجة ، وإذا به يزعق بصوت عال بلهجة مغاربية : " خلق فصور .. سبحان الخلاق العظيم !! " . وهكذا طوع هذا الرجل القرآن لأغراضه ، واستخدمه فى الدعاية لسلوك آثم .

...

لم يكن العاملون بجامعة المنصورة أسوياء فى تصرفاتهم ، فيما عدا الفترة التى تولى رئاستها فيها الدكتور عبد المنعم البدراوى ، حيث أضفى على الجامعة سلوكا عاما نابعا من خلقه واستقامته ودينه . وهكذا مدير أى عمل، يجعل عمله متخلقا بأخلاقه هو .

فى أول الفترة التى توليت فيها شئون كلية التجارة ، كان أيمن ابنى قد قبل فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، وكانت ميوله كلها نحو الطب . وعلمت بعد أن قضى عاما بالهندسة أن هناك مكانا قد خلا لأحد الطلاب من دفعته من أبناء هيئة التدريس فى طب المنصورة . كنت قد كلفت بعض الأصدقاء بمتابعة إدارة كلية الطب للتعرف على خلو مكان بها متى حدث . غير أن هؤلاء الأصدقاء لم يهتموا بالأمر ، وعلمت مصادفة أن هناك مكانا قد خلا ، وأن الكلية رشحت أحد خريجى الثانوية العامة ، وهو ابن لاستاذ التخدير بطب القاهرة ، لكى يشغل ذلك المكان ، .بيد أن مكتب التنسيق رفض الموافقة على ذلك ، وأمر بأن يعلن عن ذلك المكان بين المستحقين له

من أبناء أعضاء هيئة التدريس ، وكان أيمن ابنى الثالث وابنتى فى المحل الرابع، وابن استاذ التخدير الخامس فى الترتيب .

ذهبت الى الكلية أسأل ، ففوجئت من المسجل أنه قال لى : لقد أبلغناك عن المكان وطلبنا منك ردا خلال ١٥ يوما ، فإذا لم يصل منك رد فيكون معنى هذا تنازلا منك ، واليوم هو آخر الموعد . قلت له أنا متمسك بهذا المكان لأحد ولدى ، وكتبت له مؤيدا ذلك وجعلته يوقع على صورة الطلب بأنه تسلم الأصل .

كانت مؤامرة صغيرة ، حيث قال لهم أحد الاساتذة ، وهو صديق لاستاذ التخدير : أعطونى الخطاب الموجه للدكتور عساف ، وانا أعطيه له ... طبعا لم يعطه لى الى أن تفوت الفرصة ، بالرغم من أنى كنت أراه كل يوم تقريبا .

كان هناك اثنان يسبقان ابنى أيمن . الأول : ابن الدكتور على ابراهيم الاستاذ بطب القاهرة ، وقد التحق بكلية الطب فى ليبيا حيث كان والده الطبيب الخاص للعقيد القذافى فى أوائل أيام الثورة الليبية . ذهبت اليه أطلب منه التنازل عن المكان فوافق ووعدنى بإعطائى خطابا منه بذلك مختوما بخاتم طب القاهرة . ذهبت اليه فى الموعد فوجدته قد غير رأيه حيث أن الدكتور... رضوان استاذ التخدير هدده بألا يتعاون معه أبدا إذا أعطانى التنازل. سألت الدكتور على ابراهيم : أهذه أخلاق أساتذة ؟ قال : لا . ثم أعطانى التنازل . موقعا عليه ومختوما بخاتم كلية الطب بجامعة القاهرة. صورت التنازل وسلمت الأصل لمسجل كلية الطب بالمنصورة .

أما الشخص الثانى فكان ابن عميد حقوق عين شمس ، وكان قد التحق بالكلية الفنية العسكرية ، وهو سعيد بذلك . ذهب أيمن ابنى اليه فى

كليته ، وحصل منه على التنازل عن المكان موقعا عليه من مدير الكلية ومختوما بخاتمها . قدمت هذا التنازل كذلك لمسجل كلية الطب ، وقلت له: أظن أنه لا يوجد الآن ماتعترضون به على قبول ابنى طالبا بالكلية ... ذهبت معه الى العميد ، وعرض المسجل عليه الموضوع قائلا : ماذا نعمل الآن ؟ فقال العميد : لا مفر من قبول ابن الدكتور عساف . انتهزت الفرصة ، فدفعت الرسوم واستخرجت بطاقة لأيمن حيث كنت أحتفظ معى بصورة فوتوغرافية له .

بعد حوالى الشهر ، فاجأنا عميد كلية الطب فى اجتماع لمجلس الجامعة ، بأنه ورد له خطاب من الدكتور على ابراهيم يقول فيه إنه لم يتنازل عن مكان ابنه ، وأنه متمسك به . طلبت الاطلاع على الخطاب فوجدته مرسلا من القاهرة ، وليس بخط الدكتور على ابراهيم ، فى حين أنى كنت أعلم يقينا بأن الدكتور على ابراهيم فى طرابلس الغرب . قلت أمام المجلس : إنى أطعن فى هذا الخطاب بالتزوير ، وأرجو إحالته للنيابة العامة للتحقيق .. اسقط فى يد عميد الطب ، وأنقذ الدكتور محمد عبد المقصود النادى نائب رئيس الجامعة - والذى كان يرأس تلك الجلسة - الموقف وقال : هل دفع ابنك الرسوم ؟ قلت : نعم . قال : وهل استخرجت له بطاقة ؟ قلت : نعم . قال : الموضوع منتهى ، وطلب من عميد الطب سحب الخطاب المزور.

تلك واقعة حدثت فى أوائل التحاقى بهذه الجامعة . أما الواقعة الثانية ، فحدثت بعد احالتى للمعاش ، وكان الدكتور البدراوى والدكتور النادى قد احيلا الى المعاش كذلك . ذلك أنه تأسست جمعية اسكان بالجامعة، وكنت من أوائل المنضمين لها . وطلبوا منى أن أسدد ١٥٠٠ جنيه كمقدم لجزء من قطعة أرض اشترتها الجمعية لتوزيعها على الأعضاء . ثم طلبت

١٥٠٠ جنيه أخرى - وكان ذلك منذ أكثر من ١٠ سنوات ، وكان مبلغ الـ٣٠٠٠ آلاف جنيه يعادل ٦٠ ألفا بسعر اليوم . أبرموا معى عقدا ومنحونى قطعة أرض برقم معين وذلك ضمن ٤٨ عضوا . وكان ذلك حينما كنت مازلت بالخدمة .

بعد الاحالة للمعاش بأربع سنوات ، أفاجأ بأن الجمعية قد فقدت قطعة أرض أخرى اشترتها ووزعتها من قبل على ٢٤ عضوا . ولكى تجامل الأعضاء الذين وزعت عليهم تلك القطعة ، قررت توزيع القطعة الأولى على الجميع أى على ٧٢ عضوا . ولما كانت تلك القطعة لا تكفى الأعضاء المسددين لثمن الأرض فقد قرروا أن : تمنح الأرض للأعضاء وفقا لأسبقية دفع الثمن . كنت قد دفعت الثمن من زمن بعيد ، وسمعت أن هناك تلاعبا حدث فى دفاتر الجمعية . والأمر الآن معروض على القضاء ، والله يعلم متى سيفصل القضاء فيه .

هكذا نحن !! نتملق بعضنا مادامت هناك مصالح تربطنا ، فإذا انفكت عقدة تلك المصالح وانفرطت تنكر بعضنا للبعض الآخر ..

أعود الى كلية التجارة بالمنصورة فأقول : لقد وجدت فى اخوتى الصغار من أعضاء هيئة التدريس بتجارة المنصورة ، الوفاء كله :

- كتب الدكتور ناجى خشبة والدكتور أحمد غنيم إهداء على كتابهما فى "إدارة الانتاج" ، هذا نصه :

تحية وتقدير

الوالد الكريم والمعلم الفاضل

الاستاذ الدكتور محمود عساف

مؤسس كلية التجارة بجامعة المنصورة

وأول عميد لها

نهلنا منك علما ، فكنت نعم المعلم ،

وأشبعتنا حنانا وعطفا ، فكنت نعم الأب .

فإذا قبلت تحيتنا وتقديرنا لك ،

بإهدائنا هذا العمل لسيادتك ،

فسوف يزيد فضلك علينا فضلا جديدا .

نتمنى لك موفور الصحة وعظيم التوفيق

تلميذاك

ناجي خشبة وأحمد غنيم

- وكتب الدكتور ابراهيم مهدى لافته تستقبلنى عند دخولى الكلية لمناقشة رسالتى ماجستير :

بكل الحب والوفاء

الاستاذ الدكتور ابراهيم مهدى عميد الكلية

يرحب بالاستاذ الدكتور محمود عساف

مؤسس الكلية وأول عميد لها

إهـــداء

إلى العالم والمعلم

إلى الباحث والمؤسس

إلى الأب الروحى

إلى . الاستاذ الدكتور

محمود عساف



الاستاذ الدكتور محمود عساف اول عميد للكلية

وسمى مجلس الكلية اول مدرج استخدم فيها ، بأسمى ثم عينونى استاذا غير متفرغ لادارة الأعمال بالكلية التى آمل أن اظل مرتبطا بها الى نهاية عمرى ... بل إن دليل الكلية صدر يحمل صورتى ، ومهدى الى مثلما هو وارد فى الصفحة التالية .

لقد خرجت حتى كتابة هذه السطور : ٤١ من حملة الماجستير و٢٨ من حملة الدكتوراه منتشرون فى العالم العربى : فى مصر وسوريا والأردن والعراق منهم الآن ٦ أساتذة كاملى الاستاذية ، أحمل لهم كل الحب وأتابع أخبارهم ويتابعون أخبارى وأتمنى أن ألقاهم دائما على خير .

...

بعد أن أحلت على المعاش وأنا عميد لكلية التجارة بالمنصورة ، عملت استاذا لادارة الأعمال بجامعة الملك عبد العزيز ثم مستشارا للشيخ صالح كامل أحد كبار رجال الأعمال السعوديين ، وانشغلت فى الأعمال الخيرية التى لها ثواب الآخرة وهو أفضل من ثواب الدنيا بكثير . وسوف أكتب عن تلك الفترة فى طبعة آخرى من هذا الكتاب إذا شاء الله وامتد بى العمر .

...

الباب الثالث

أما قبل

الفصل الثامن : فراغ فكرى وروحى

الفصل الثامن

فراغ فكرى وروحى

كان الشباب فيما قبل يعانى من الفراغ . وكان تفكير معظم الناس سطحيا. وكان الفقر والجهل والمرض فى ذروة الانتشار. وكانت القيم منتقده بين غالبية الناس ...

كان عصر ماقبل تعرفى بالامام الشهيد ، عصرا عجيبا لا يمت للاسلام بصلة . وكان الشباب من امثالى منغمسا فى دوامة الحياة ، ينظر اليها نظرة سطحية ، يسيطر عليه شعور باللامبالاة ، يرى العيوب ولا يحس بها أو يعني بأمرها . كانت الوطنية مجرد شعارات وهتافات لا معنى لها .

فى ذلك الوقت كان فى مصر مئات الخمارات منتشرة فى أرجاء المدن والمراكز ومحطات السكة الحديد . فبالقرب من كل محطة كان يوجد بار يملكه يونانى ، وملحق به فرن افرنكى ، يبيع الخمر بأنواعها والخبز الفينو ويتجمع فيه السكارى الى آخر الليل ... اعتدنا على رؤية هذه البارات ، فكنت أمر على أحدى خمارتين فى أبو حماد (محطة بلدى) وأنظر اليها ولا أحس بأن هناك شيئا شاذا ، فقد اعتدنا على هذا الفساد وتأقلمنا مع وجوده .

المدارس التنصيرية

كانت فى المدن الصغيرة مدارس تنصيرية ، اختارت البعثات التنصيرية أماكنها بدقة ، فأنشأوها حيث لا توجد مدارس حكومية. كانت مدرسة " الأمريكان " فى أبو حماد هى المدرسة الوحيدة قبل إنشاء المدرسة الحكومية . وكان بها مستويان : التحضيرى (الروضة) والابتدائى. وكان بها مجموعة من المدرسين كلهم مسيحيون من أقباط الصعيد ، الى جانب بعض المدرسات الانجليزيات .

التحقت بهذه المدرسة فى أجازة الصيف وعمرى ٦ سنوات ، حين كان والدى فى أجازة ، حيث كان عمله بالاسكندرية ونقضى معه العطلة فى البلدة.. فى الصباح كان الناظر " فريد أفندى " يصلى بنا صلاة المسيحيين - ونحن لا نفقه شيئا مما يقول - ثم يوزع علينا صورا ملونة للقديسين أو

للعذراء تحمل المسيح ، وكنا نلعب بهذه الصور ... كانوا يهتمون بتعليم اللغة الانجليزية ، وكان هذا هو السبب فى الحاقى بالمدرسة .

كانت البعثة التنصيرية التى تدير المدرسة وتمولها ، فى اسيوط . وكان المدرسون يردون للمدرسة من هناك ويتميزون باللهجة الصعيدية التى كانت تجعلنا نتندر عليهم .

بيوت الدعارة

امتلأت مصر فى ذلك العصر ببيوت الدعارة الرسمية . فكان لها حى كامل فى كل عاصمة من عواصم المديريات الست عشرة ، بالاضافة الى المحافظات . كانت تلك الأحياء فى أماكن هامة على أطراف المدن ، وكان الحى الموجود بالزقازيق يرى من القطار . كان منظرا مقززا أن ترى النساء شبه عرايا جالسات أمام بيوتهن ، ورواد المتعة المحرمة يمرون عليهن يختارون البضاعة التى توافق أمزجتهم ، ويساومونهن ثم يصطحب الواحد منهم المرأة الى داخل البيت . كنا نرى ذلك بوضوح لأن القطار كان يبطىء جدا من سرعته أمام ذلك الحى بسبب انحناء القضبان .

حدث مرة فى أول عام أذهب فيه الى القاهرة ، أن كنت جالسا فى الترام المتجه من ميدان العتبة الى ميدان باب الحديد ، ووقف الترام بمحطته فى أول شارع كلوت بك حيث حى الدعارة ، وإذا بامرأة منهن تتقدم مسرعة الى الترام حين بدأ سيره ، وتخطف طربوشى ... استعوضت الله فيه ، واضطررت الى شراء طربوش آخر بعشرين قرشا (مبلغ كبير فى ذلك الوقت) لأنه لم يكن مسموحا لأحد بأن يدخل مدرستة أو كليته بغير طربوش .

كانت بيوت الدعارة الرسمية هذه تراقب صحيا من الدولة ... ثم ألغاها ابراهيم عبد الهادى وقت الاعتقالات عام ١٩٤٩ ليتظاهر بأنه مع

الاسلام ، ولم يضع لها أية ترتيبات . فخرج النسوة من بيوتهن ، وانتشرن في داخل المدن ، وتحولت بيوت الدعارة من رسمية الى سرية ليست عليها أية رقابة . فانتشر الفساد أكثر ، وتفشت الأمراض السرية بين الشباب !

وفى تلك الأيام كانت تنعقد الأسواق الريفية مرة كل اسبوع فى القرى، ولابد فى كل سوق من مقهى به راقصة (غزية) ترقص وتغنى لشباب الريف. وكانت تنعقد الموالد فى القرى احتفالا بذكرى الأولياء - والله أعلم بهم- وفى المولد تقام الزينات وتمد الموائد للفقراء ، الى جانب انتشار الملاهى كالسيرك والغناء والرقص ... وغير ذلك من المساخر التى كنا نجدها أمرا طبيعيا .

وعلى غرار ماكان يحدث فى الموالد ، كان يحدث فى المقابر أيضا فى المواسم والأعياد !!!

في مولد أبو مسلم

ذهبت مرة الى مولد " أبو مسلم " والذى يبعد عن أبو حماد بحوالى خمسة كيلو مترات . ذهبت الى هناك بسيارة ودفعت خمسة مليمات أجرا للنفر فيها . وقضيت النهار أتفرج على ما بالمولد . وفى المساء ذهبت الى موقف السيارات فوجدت أن آخر سيارة قد غادرت المكان ، ولا بد لى من المبيت حتى الصباح ... لم يكن بأرض المولد أى مكان للمبيت ، فصرت أبحث عن أى أحد أعرفه لأقضى الليل معه وأتسامر وإياه .. فجأة وجدت أحد أهل بلدتى ، وكان اسمه " السيد شغته " وكان مشوه الوجه ، جالسا فى خيمة صنعها من الخيش متخذا إياها كمقهى بلدى . جلست معه نتسامر ، حتى حل بى التعب فنمت حيث جلست . أحسست به يضع مخدة تحت رأسى... وفى الليل سمعت هرجا ومرجا أيقظنى لفترة ، ثم نمت ثانية . وفى الصباح سألت " سيد " عما حدث بالأمس ، فقال : " إنها كبسة مباحث

يبحثون عن الحشيش ، ولكنى كنت قد خبأته فى علبة صفيح مدفونة تحت رأسك وأنت نائم ... " لقد سلمنى الله من هذه المصيبة التى لا يد لى فيها .

كان تقليد الاوربيين على أشده ، وكان عدد الجانب المنتشرين فى أرجاء مصر هائلا . وكان منهم اليونانيون الذين احتكروا المقاهى والبارات ، والأرمن الذين احتكروا البقالة وصناعة الجبن والبسطرمة ، والايطاليون الذين أقاموا طواحين الغلال ومضارب الأرز فى القرى ... وكان تربية الخنازير أمرا مألوفا فى أطراف المدن الكبرى .

وانتشر الالحاد تقليدا للفكر الأجنبى والشيوعى ، كما انتشرت الاباحية بين النساء فكن يظهرن شبه عرايا ... وكانت الأفلام تظهر مدى الرقى بأن يكون قصر بطل الفيلم مزودا ببار ، وإذا جاءه ضيف يقول له : " أعمل لك كاس ؟ "

هكذا كانت مصر ... ضباعا فى ضياع ، وحياة بغير هدف ، ولا أى توجيه للشباب . وكان خطباء المساجد لا إخلاص عندهم ، بل يؤدون وظيفة يؤجرون عليها ،. وكثير منهم كان يلجأ الى الكتب المطبوعة والتى فيها نماذج من خطب الجمعة ... خطب خطيب مسجد بلدتنا يقرأ من ورقة ، ثم لما حان وقت الدعاء قال : اللهم أحفظ سلطاننا قلاوون !! (يرجى الرجوع الى موضوع خطيب المسجد الذى ورد ضمن " أدب الرافعى " فى الفصل الأول).

لم يكن رجال الازهر يهتمون بنشر الفضائل إلا ماندر منهم ، الأمر الذى حدا بالامام الشهيد لأن يكتب مقالا تحت عنوان: الدين غير رجال الدين .

وفى هذا الجو نشأ حسن البنا فى أسرة مسلمة ، أبوه الشيخ احمد عبد الرحمن البنا عالم الحديث ومؤلف الموسوعة الشهيرة فى فقه ابن حنبل .

مما أذكره فى هذه الفترة - أى قبل أن أعرف الامام الشهيد - أحداثا وطرائف تدل على مدى التخلف الذى كان يعانيه الشعب ، وماكان يفكر فيه الشباب - وأنا منهم - لكى يشغل وقته فيما يفيد وما لا يفيد .

قصة أم سيد

أم سيد هذه سيدة عجوز من قرية قريبة من فاقوس التى تقيم بها خالتى . وكنت أمضى بعض أيام الأجازة الصيفية هناك ، وكانت ام سيد تتردد على الخالة التماسا للمساعدة ... فى يوم جلست اليها ، وكانت عائدة على التو من القاهرة . قالت لى إنها فى حياتها ما ركبت سيارة أو قطارا إلا فى هذه المرة فقط ، حيث اشتاقت لرؤية ابنها " سيد " الذى ترك القرية الى القاهرة منذ سنين . ركبت القطار ونزلت فى محطة مصر ، وهى لا تعرف عنوان ابنها .. التقت بأحد الحمالين وسألته عما إن كان يعرف أين تجد "سيد بن أم سيد " ؟ فقال لها : تعالى معى اليه . قادها الى الميدان خارج المحطة لتجد ابنها سيد جالسا على مقهى هناك !! لم يكن الأمر مصادفة كما يبدو فى الظاهر ، لأن " سيد " كان معروفا جيدا لكل العاملين فى محطة مصر . سألتها : وكيف كان معروفا لهم ؟ ، قالت : إنه مشهور جدا ، لأنه يعمل ، عقبال أملتك ، شراط جيوب !!

لم تكن أم سيد تعرف أن شراط الجيوب هو النشال ، ولكنها ظنتها حرفة مثل الحائك أو صانع الاحذية ! ولم تكن ام سيد وحدها التى لم تركب القطار أو السيارة ، بل كان معظم أهل الريف كذلك .

البيع والشراء حلال

كنت عائدا الى بلدتى من الزقازيق . وبين المحطة والبلده كيلومتران، كنت فى العادة أقطعهما ماشيا . وكان الوقت عصرا والجو يشجع على السير،

ويخاصة وأن المزارع كانت تغطى جانبى الطريق (تحولت كلها الأن الى مساكن والتحمت القرية بالمحطة) ... وجدت أمامى " حلبى " وهو من الغجر الرحل، الذين كانوا يأتون الى بلدتنا كل صيف من غرب العراق ، ثم استقروا عندنا بعد ذلك يعملون فى صناعة برادع الحمير والمفاتيح وبعض المصنوعات الجلدية ... كان يسبقنى ببضع خطوات ، فلحقته لعلى أتسلى معه طوال الطريق .. وجدته يبكى !! سألته عما يبكيه فقال : قل يابيه ، هو الشراء والبيع حرام ؟ قلت : لا إنه حلال . قال : إذا لماذا ضربونى فى المركز لأنى اشتريت وبعت ؟ سألته أن يروى على القصة ، فقال : وأنا جالس فى خيمتى الخيش مساء أمس .. جاءتنى امرأة مبرقعة ، وقالت : ايمكن أن أبيت عندك الليلة ؟ قلت : لامانع . ثم كشفت عن وجهها وإذا بها جميلة المحيا. سألتها عن حكايتها ، فقالت : لاشىء . انما أبيت عندك ثم أغادرك فى الصباح . قلت لها : ألا تتزوجينى ؟ قالت بلا . دفعت لها المهر ١٥ مليما . وجلسنا نتعشى بالموجود . وإذا بأحد زملائى يرفع حجاب الخيشة ، ويدخل علينا . قال : من هذه ياحلبى ؟ قلت : امرأة اشتريتها بخمسة عشر مليما . قال : اتبيعها ؟ قلت بكم ؟ قال : ثلاثين مليما . قلت: لابأس . وبعتها وذهبت مع ذلك الزميل وباتت عنده ... ثم فى هذا الصباح الباكر حضر رجل من خارج البلدة يسعى ، ويسأل عن امرأة وصفها للناس ، فقالوا إنها كانت عند " حلبى " . جاءنى الرجل وسألنى عن المرأة فقلت : لقد بعتها مساء أمس . غضب الرجل وكاد يفتك بى لولا أن منعه الناس عنى . ثم ذهب الى مركز الشرطة فى أبو حماد ، وقدم بلاغا ضدى بأنى اختطفت امرأته . بعثت الشرطة تستدعينى فذهبت لهم ، وحكيت لهم القصة، فضربونى ضربا مبرحا طالبين أن أعترف بما فعلته بالمرأة ؛ قلت: بعتها ! قالوا : بل قتلتها ! قلت : لا والله بل بعتها . فأخذوا يضربونى لكى أعترف بقتلها وإخفاء جثتها، ولا يصدقون أنى بعتها. ثم قال : "يابيه ، هو البيع والشراء حرام ؟ ."

كنا ثلاثة أصدقاء : أنا فى كلية التجارة ، والثانى فى الزراعة ، والثالث فى الآداب . وكلنا فى السنة الأولى وكانت ثانى مرة نجىء فيها الى القاهرة . فى المرة الاولى حضرنا من الزقازيق لشهود احتفالات زواج الأميرة فوزية بولى عهد ايران . وعزمنا صديقنا الذى فى الآداب لكى نتناول الغذاء على مائدة خاله الذى يسكن فى شارع خيرت . استقبلنا الرجل بترحاب .. وهو رجل معمم يعمل قاضيا بالمحكمة الشرعية العليا . ومد السماط ، وجاءت صينية البطاطس باللحم الضانى والسلطات ، وإذا بزجاجة نبيذ توضع أمامه على طاولة الطعام . عزم علينا وقال : الآ تشربون ؟ قلنا : لا ، لم نعتد على ذلك . قال : جربوا . قلنا : لا شكرا . ... لم تطاوعنى نفسى أن أسكت . سألته : يامولانا اليس الخمر حرام ؟ قال : يابنى النبيذ ليس بحرام .. وهناك فتاوى لا نستطيع قولها للعامة من الناس ولكن يعرفها العلماء ! ... تذكرت أنه كان مقررا علينا فى مادة الدين فى المرحلة الثانوية أن ما أسكر كثيرة فقليله حرام ... ونعرف جيدا أن النبيذ خمر ، وهو حرام .

كنا أثناء أيام الخميس من كل اسبوع ، نتوجه نحن الثلاثة الى وسط البلد للترويح عن أنفسنا وكان أحد أصدقائنا من الطلبة القاهريين قد أبلغنا أن الطلبة الأزهريين يترددون على أماكن الدعارة على جانبى شارع كلوت بك وهم بملابسهم الأزهرية . ذهبنا مرة الى هذا المكان ، وانتظرنا عند مدخل أحد شوارعه ، وبعد فترة جاء ثلاثة من الطلبة الأزهريين بكاكولاتهم وعمائمهم. سرنا خلفهم لنرى مايكون ... تقدم أحدهم من امرأة تجلس على باب دكان مفتوح الباب وعليه ستارة ، والضوء فى داخله باللون البمبى ، ويظهر من الباب جزء من السرير .. بعد أن ساوم ذلك الطالب المرأة واتفق

معها على الأجر (علمنا فيما بعد أن هناك تسعيرة تتراوح بين خمسة وعشرة قروش) .. ثم نادى زميليه ، وقال للمرأة : أتقبليننى زوجا ؟ قولى قبلت . قالت : قبلت . فسأل زميليه : أتشهدان ؟ قالا : نعم . قال: وهذا مهرك . واعطاها قطعة نقود معدنية ... انتظر زميلاه بالقرب من المكان، وانتظرنا نحن فى الجانب المقابل ، وبعد فترة وجيزة خرج الطالب وقال للمرأة : أنت طالق !! ثم انصرف الثلاثة لكى يتناوب كل من الاثنين الآخرين دوره ..

انصرفنا . وسرنا فى الشارع الذى خلف حديقة الأزبكية واسمه شارع وجه البركة " . وجدنا حارة تتفرع من هذا الشارع ، وفى نهايتها سلم حجرى يقود الى مصطبة ، هى جزء من شارع علوى متعامد على تلك الحارة. وعلى هذه المصطبة وقفت امرأة (معلمة) ذات صوت أجش ، الى جانب فتاة جالسة على كرسى- ترتدى ملابس العرائس ، برداء أبيض وطرحة بيضاء وتاج أبيض ... والمعلمة تنادى : الذى يرغب فى إزالة بكارة هذه الفتاة يدفع نقط خمسة جنيهات !! فيتقدم أحد الريفيين ويدفع الجنيهات الخمسة ليجرب نفسه!! العجيب أن هذا المنظر كان يتكرر كل خميس والفتاة هى نفس الفتاة !!

ذلك حال مصر وحال شبابها .

الشيخ عبد الباقى

كان الشيخ عبد الباقى ناظر المدرسة الالزامية فى قريتنا . جاءه أحد القرويين يشكو له ابنه فقال : ياسيدنا الشيخ أنت رجل طيب وشرز الأخلاق (ظانا أن شرز - أى شرس - صيغة مدح تعنى عظيم الأخلاق) وابنى يعذبنى لأنه لا يحضر للمدرسة ولا يذهب الى الحقل لمساعدتى . أرجوك تستدعيه وتكلمه كلمتين من كلامك البايخ فهو يخاف منك .

كان الشيخ عبد الباقى هذا على خلاف مع أحد مدرسى المدرسة . وكان المدرس صفيقا ويسب الناظر فى كل مناسبة خلاف وفى غير مناسبة . شكاه الناظر الى مدير المنطقة التعليمية ، فبعث المدير مفتشا ليجرى ما يلزم من تحقيقات .

كانت المدرسة على ربوة تبعد عن مبانى البلدة بحوالى ٢٠٠ متر ، وكان يصلها طريق يشق أرضا صحراوية تفصل المدرسة عن البلدة .. نظر المدرس من نافذة الفصل فرأى المفتش قادما ، وإذ به يقلب الحصة من لغة عربية الى دين ، وكتب على السبورة تحت عنوان " حديث شريف " : " لعن الله الناظر والمنظور " . وبمجرد أن وصل المفتش الى المدرسة ، قال المدرس للتلاميد : قولوا معى : لعن الله الناظر (بصوت جهورى عال) ... والمنظور (بصوت خفيض) ...

قال الناظر للمفتش : ها أنت تسمع بأذنيك سبى وهو يعلم أنك جئت للتحقيق !! دخل المفتش الفصل غاضبا ، وسأل المدرس : ماذا قلت ؟ لقد سمعتك تسب الناظر : قال المدرس : إن هذا حديث شريف أحفظه للتلاميذ ، والناظر هنا هو الرائى وليس ناظر المدرسة ...

كان شغل الناس الشاغل أن يتسلوا ويتخالفوا ويتضاربوا ، حيث لا يوجد هدف واحد يجمعهم .

الثبات يأفندية

فى عام ١٩٣٦ ، قامت مظاهرات عارمة قادها تلاميذ المدارس ضد وزارة توفيق نسيم باشا ، مطالبة بعودة دستور عام ١٩٢٣ الملغى .

وكنت كباقى الشباب فى ذلك الوقت وفديا . ولست أعرف لماذا كنت كذلك ، وربما كان لثورة ١٩١٩ وقيادة سعد زغلول أثر كبير لازال حيا فى نفوس جيلنا . كان قلة فقط أعضاء فى مصر الفتاة . وكنا لا نحبهم لميلهم للعنف . ولم يكن للحركة الشيوعية وجود محسوس .

أسس الوفد فرق القمصان الزرقاء تشبها بذوى القمصان السوداء التابعين للحزب النازى فى المانيا ، وذوى القمصان الخضراء التابعين لجمعية مصر الفتاة . وانضم لفرق القمصان الزرقاء أراذل الناس ، لذلك لم ينضم اليها أحد من الطلاب أو الرجال المحترمين ... لذلك لم تلبث هذه الفرق أن حلت نفسها ، لأنه لم يكن لها هدف تسعى اليه ، وكان أعضاؤها يفرضون الاتاوات على اصحاب المتاجر .

خرجنا فى هذا العام فى مظاهرة ضخمة ، تهتف : الاستقلال التام أو الموت الزؤام . ولم أكن أعرف أو يعرف غيرى معنى كلمة الزؤام ، التى عرفتها بعد ذلك بعشر سنوات حين عدت التى مختار الصحاح ، فأدركت أنها تعنى " العاجل " ... وهكذا كانت هتافتنا عالية الصوت خالية المعنى ، وأؤكد أن ٩٩٪ من جيل تلك الايام ، لايعرفون معنى " الزؤام "

خرجنا من مدرسة الزقازيق الثانوية الى المعهد الدينى ، وأخرجنا طلبته ، وانضم الينا طلاب مدرسة الصنائع . وتوجهنا بأعداد ضخمة لنخرج باقى المدارس . وكان طول المظاهرة لايقل عن كيلومتر ، لأن الطلاب أقبلوا على الاشتراك فيها ، ليس بدافع وطنى - فقد كنا لا نعرف الفرق بين دستور ١٩٢٣ والدستور القائم - ولكنها كانت فرصة للتزويغ من المدارس .

هتف أحد العمال المنضمين للمظاهرة : يحيى الدستور باشا . وهتفنا وراءه ... لقد صدق الشاعر أحمد شوقى حينما وصف الشعب المصرى بأن

عقله فى أذنيه . هتف طالب آخر كان مندسا فى المظاهرة ينتمى الى مصر الفتاة : يحيا النحاس باشا . فهتفنا مثله . ثم هتف : يعيش النحاس باشا (عدة مرات) وإذا به يهتف : " يعيش النحاس باشا ليكون عبرة لمن يعتبر " ، فهتفنا مرددين ذلك . ولم نفطن الى أن هذا هجوم على الوفد إلاّ بعد فترة ...

سارت المظاهرة ، وانحنى الطريق فانحنت معه . فإذا بالطلاب الذين فى مؤخرة المظاهرة يرون مئات من جنود الشرطة يجرون ليلحقوا بالمظاهرة ليفرقوا الطلاب . وكانوا يحملون هراوات غليظة . فجرى الطلاب الذين فى الخلف نحو الامام دافعين غيرهم . وبدأ الطلاب كلهم يفرون ... طالب من الأزهر قفز الى شرفة منخفضة لأحد المنازل تعلو عن الشارع بمتر واحد ، وأخذ ينادى بصوته العالى : " الثبات ياأفندية الثبات " .. ورددها مرتين ، وإذا به يلمح الجنود يجرون خلف المظاهرة بعصيهم ، فقفز من الشرفة جاريا وهو لازال يردد : " الثبات يا أفندية الثبات " !!

تذكرنى هذه الواقعة بما حدث عند ماجاء عبد الله بك اباظة الى بلدتنا مرشحا لمجلس النواب ، واستقبله الناس بالترحاب الواجب ، وكان محبوبا من أهل الدائرة ولا يتوانى عن خدمة أى منهم . وعند مغادرته البلدة، وقف رجل يدعى " أحمد الصعيدى" يهتف : " يعيش عبد الله بك أباظة " بحماس شديد ، فما كان من عبد الله أباظة إلا أن ناوله جنيها (وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت) .. كان احمد الصعيدى رجلا بسيطا يرتزق من الخدمة فى الدواوير ويقدم القهوة فى المعازى والشربات فى الأفراح .. ذهل احمد الصعيدى حينما تناول الجنيه ، فهتف : " فلتحيا مصر " مرتين ثم أخذه الحماس أكثر وهتف :" فلتحيا سعد زغلول باشا !! " .. كان سعد زغلول قد مات منذ ٩ سنوات !!

فنجان شاى

كان بار ناشيونال بشارع سليمان باشا ، ملتقى الباشوات العظماء .. يلتقون هناك صباح كل يوم من الساعة العاشرة حتى الثانية عشرة ، يتبادلون الحديث ويحتسون قهوة الصباح .

كان الشيخ سيد (ب) شيخ مشايخ الطرق الصوفية من المعتادين الجلوس هناك كل يوم . وكان العامل الذى يخدمه معتادا على خدمته منذ مدة ، ويتقاضى منه جعلا (بقشيشا) طيبا ، ويحضر له الوسكى فى فنجان الشاى . كان هذا الشيخ أشقرا بعينين زرقاوين ولحية قصيرة شقراء وأوداج حمراء ويضع عمامة عالية . وكان من سوء حظه فى ذلك اليوم أن عامل المقهى تغيب عن العمل لمرض مفاجىء أصابه ، وحل محله عامل جديد لايعرف اسلوب الشيخ فى تناول الوسكى .. ناداه الشيخ ، وهمس فى أذنه : أحضر واحد وسكى فى فنجان شاى . ذهب الخادم عنه الى آخر الشرفة التى يجلس فيها الشيخ وزملاؤه ، ونادى على عامل النصبة (الذى يعد المشروبات) والتى تقع على بعد خمسة أمتار بصوت جهورى : " واحد ويسكى فى فنجان شاى للشيخ " !! أخذ الجميع يضحكون ... كيف استغفلهم الشيخ هذا الزمن الطويل !!

هكذا كان التدين عند قمة التوجيه الدينى فى مصر ، وهكذا كان الاستهتار بالحلال والحرام يرد على ذهنى وأنا أحكى هذه الوقعة . واقعة أخرى حدثت وأنا طالب فى المرحلة الثانوية ، إذ كان هناك رجل يدعى الولاية ، وله مريدون ، ثم لما مات صنعت له قبة عظيمة على مسجد سمى باسمه . كان هذا الرجل إذا اجتمع مريدوه ، يطوف عليهم بابريق نحاسى ، ثم يسأل المريد : ماذا تشرب ؟ شاى أم قهوة ؟ فيقول المريد مثلا : شاى . فيقول

الرجل للابريق : كن شاى . وإذا سأل آخر وقال : قهوة ، فإنه يقول : كونى قهوة !! ثم يصب فتخرج من الابريق قهوة ! .. سألت ابنه وكان زميلا لى فى المدرسة فقال : إن هذا الابريق مقسم قسمين من داخله ، بأحدهما قهوة وبالاخر شاى . وفوق مقبضه لولب يضغط عليه الى اليمين فيفتح الشاى والى اليسار فيفتح القهوة ... ذلك سر كرامة هذا الولى .

شقيق صاحب الجمهور المصرى

كنت اتسلى فى الاجازة الصيفية بقراءة الروايات ، فوقعت تحت يدى مذكرات ... نجيب ، التى قال فى مقدمتها أنها أحداث حقيقية وقعت فى مصر وهو بطلها ، وقد حكم عليه فى بعضها ، ولذلك كتبها بعد خروجه من السجن . حكى مجموعة موضوعات أختار منها الموضوعين الاتيين :

(أ) أراد أن يسرق نجيب باشا الجواهرجى ، والذى كان يورد المجوهرات للقصور الملكية . فذهب اليه منتحلا شخصية ابن طبيب كبير معروف . وطلب منه اختيار بعض المجوهرات الثمينة ليقدمها شبكة الى عروسه . بعد انتقاء ما غلا ثمنه من المجوهرات ، طلب عرض هذه المجوهرات على والده المزعوم ، وقال لنجيب باشا ، يمكنك ان تحضر معى للوالد لكى تشير عليه بما نختاره للشبكة .

كان قد ذهب من قبل الى الطبيب الكبير ، وأبلغه أن قريبا له لم يطاهره أهله وهو صغير ، وأنهم يريدون طهوره الان دون أن يشعر . وقال له : سأحضر لك قريبى ، فرحب به ، ثم اقتده الى غرفة العمليات ، وأعطه حقنة مخدرة ، ثم أجر له العملية .

ذهب مع نجيب باشا الى عيادة الطبيب ، ومعه حقيبة المجوهرات ، ورحب بهما الطبيب وأدخل نجيب باشا غرفة العمليات ، وأجرى له العملية . وانصرف صاحب المذكرات بالشنطة .

افاق نجيب باشا من المخدر ، وفوجىء بما حدث له . واختفت الشنطة كما اختفى سارقها .

(لقد اشار الاستاذ مصطفى امين لهذه الحادثة ضمن عموده اليومى فى الاخبار منذ أكثر من ١٠ سنوات)

ب) كان يتردد على المحاكم لكى يتعرف على مجريات الامور بها ، ونقاط الضعف فى القضايا ليستغلها ، ونقاط القوة ليتفاداها . وأثناء جلوسه فى احدى المحاكم الابتدائية ، وضع القاضى يده فى جيبه ليخرج ساعته ليتعرف على الوقت ، فلم يجدها ، فقال بطريقة عفوية غير مقصودة : لقد نسيت الساعة تحت المخدة . سأل صاحب المذكرات حاجب المحكمة عن عنوان القاضى فأعطاه اياه . توجه الى منزل القاضى ومعه دجاجة سمينة، ودق جرس الباب ففتحت له زوجة القاضى . قال لها : سعادة القاضى سيتأخر قليلا وأرسل اليكم هذه الدجاجة ، وهو يطلب أن أذهب له بساعته ، بأمارة أنها تحت المخدة . أعطته السيدة الساعة وأخذت الفرخة ... وجاء القاضى فى موعده . قالت له الزوجة : لم تتأخر ! قال : ولم السؤال وأنا أحضر فى هذا الميعاد ؟ قالت : أبلغنى بتآخرك الشخص الذى بعثت به ليأخذ الساعة ! أسقط فى يد القاضى وذهب الى قسم البوليس ليبلغ عن الواقعة .

عاد صاحب المذكرات الى منزل القاضى فور خروجه ، وكان قد غير من ملامحه بوضع شارب كبير وارتداء بالطو كاكى اللون . ودق الباب .. قال للسيدة حين فتحته إنه مخبر من قسم البوليس ، وهم يطلبون الدجاجة لتحريزها ضمن أحراز القضية . أعطتها له وانصرف ...

فى اليوم التالى ذهب الى القاضى - وكان قد حكم عليه فى قضية أخرى من قبل - ورد اليه الساعة ، وقال له : انى كنت أداعبك !!

هذا المحتال المعترف بقيامه بالنصب هو شقيق صاحب جريدة الجمهور المصرى التى كانت وفدية وتصدر اسبوعية ، والتى حملت حملة شعواء ضد الاخوان عندما اشتد الخلاف بينهم وبين الوفد ، وكانت مقالاتها تتسم بالبذاءة وانحطاط الأخلاق .

هذا امر ليس بالغريب من أسرة هذا شأنها !!

كالذى يتخبطه الشيطان من المس

كنا كلما اقترب موعد الامتحانات ، نجتمع أنا واصدقائى ونذاكر سويا . وكان بيتنا فى الزقازيق مطلا على شارع ثابت ، وهو شارع واسع مواز لشريط السكة الحديدية .

كنا نسهر بالليل وننام بالنهار ، حيث كان الجو فى النهار حارا وخانقا ، وبعد منتصف الليل نروح عن انفسنا قليلا بالسير فى شوارع الزقازيق . وكان معنا صديق اسمه عطية ابو النصر ، لم يكن طالبا بالمدرسة، ولكن كان والده صاحب مخبز بلدى ، وصديقنا هذا اعتاد على السهر معنا ، نحن نذاكر وهو يقرأ فى رواية يحضرها معها . فإذا قمنا نتمشى بعد منتصف الليل ، كان يقودنا الى مخبز والده لكى يطمئن على سير الاحوال فيه ، حيث كان ذلك المخبز يعمل طول الليل الى طلوع الشمس ، ثم يتوجه عماله لتوزيع الخبز على البيوت .

فى احدى الليالى ، اقتربنا من المخبز ، فوجدنا حشدا من الناس متجمعين حول شخص ممدد فى وسط الشارع . قال عطية : هذا فران عندنا الحقناه بالعمل بالامس فقط . اقتربنا من الرجل فوجناه قد أمسك برقبة نفسه بكلتى يديه ، يشد عليها ، وفى ذات الوقت يخرج من فمه صوتان : أحدهما لرجل والآخر لامرأة ، وهما يتشاجران باللغة اليونانية . وحاول الناس المتجمعون حوله فك يديه عن رقتبه ففشلوا ، وكأن قبضتيه قد صنعتا من حديد .

أقبل رجل ملتح قصير القامة يرتدى ملابس بيضاء وعمامة بعدبة ، وقال أفسحوا ، فأفسح الناس له مكانا ، فجلس الى جوار الرجل الممدد فى الطريق ، وأخذ يؤذن بصوت خافت فى أذنه . وما انتهى الرجل من الأذان حتى تراخت قبضتا الرجل . ثم قام جالسا يتساءل : ماذا حدث ؟ قلنا له: لاشىء . ثم ذهب الرجل الى عمله فى الفرن .

ذهبت له ظهر اليوم التالى ، فوجدته جالسا أمام المخبز ، سألته عن بلده فقال إنه من سوهاج ، ثم سألته أين تعلمت اللغة اليونانية ، فقال : " يونانية ايه يابيه !! هو أنا بأعرف اكتب عربى لما اتعلم جريجى ؟ " .. تبين أنه لم يتعلم اللغة اليونانية قط .

تلك حادثة كان لها أثر كبير فى نفسى ، وجعتلنى أتجه نحو دراسة ماوراء الطبيعة ، وصرت أبحث عن آيات القرآن الكريم التى تتعلق بالجن وتلك التى تتعلق بالسحر ، وكيف أن الجن يمس البشر ، وأن السحر ماهو إلا نوع من التنويم المغناطيسى الذى مارسه سحرة فرعون فيتخيل الناس من سحرهم أن العصى التى ألقوها أرضا تسعى كالأفاعى .

مع التنويم المغناطيسى

كانت مدرسة الزقازيق الثانوية قد أصدرت مجلتها السنوية فى عام ١٩٣٦ . وكان بالمجلة مقال عن التويم المغناطيسى ، يوضح كيف يفعل المنوم بالوسيط حتى ينام . أخذت المجلة معى وذهبت الى منزل صديقى أمين حرى رحمه الله ، وكان أخوه سعد يناهز الثانية عشرة من عمره . أقنعت سعدا أن أجرب معه التنويم المعناطيسى ، فوافق بشرط أن أعطيه قرشا . أعطيته القرش ، ثم بدأت أجرب ماورد فى المجلة بحذافيره . أجلسته جلسة مريحة ، وجلست قبالته ، وأمسكت بإبهاميه بسبابتى وإبهامى . وجعلت أنظر اليه دون أن أرمش ، وطلبت منه أن يركز بصره على عينى .. استغرق منى حوالى الساعة ، الى أن بدأت عيناه ترمشان ، ثم بدأ يغلقهما ، وأنا أوحى اليه بصوت خفيض أنه سينام ، وآمره بالنوم ، وأقول له : ستنام نوما مريحا ، وإذا سألتك عن شىء فرد على ... وصرت كلما تحدثت معه أحرك يدىّ من صدره حتى رجليه ثم على هيئة نصف دائرة طلوعا الى رأسه ثم أنزلها على صدره فرجليه ... وهكذا عدة مرات . علمت فيما بعد أن هذه الحركة ترتب ذرات الجسد مغناطيسيا مثلما يحدث مع برادة الحديد إذا وضعنا عليها لوحا زجاجيا ثم مررنا فوقة بحديدة ممغنطة .

بعد أن نام وجدته يقول كلاما عن غارة لايطاليا على الحبشة . فتحت الراديو وإذا به يذيع ذلك الخبر الذى ماكنا نسمعه والجهاز مغلق . ثم طلبت منه أن يحضر القرش الذى أعطيته إياه ، فقام يمشى كما يمشى المريض بالمشى أثناء النوم ، وحاول أن يضللنى .. وفى النهاية أحضر القرش من تحت المخدة فوق السرير . علمت بعد ذلك أنه لاينبغى إجبار النائم على فعل لا يقبله .

ذهبت الى القاهرة لمدة يوم زرت فيه دار الكتب فى ميدان باب الخلق، وطلبت كتبا فى التنويم المغناطيسى ، فوجدت كتابين باللغة الانجليزية تحت عنوان Henpotism . قراتهما بشغف .. وتعلمت أنه يمكن تنويم الوسيط على نور ساطع ، أو على شىء يلمع ويتحرك حركة رتيبة كبندول الساعة ، كما علمت أن التنويم من سبع درجات ، وفى الدرجة السابعة ، يفقد جسم النائم وزنه ، ويمكن رفعه بتحريك يدى المنوم فوقه بعد أن يرقد ، ورفع اليدين الى أعلى .

جربت التنويم مرة آخرى مع شخص على ضوء مصباح (كلوب) فنام ثم إذا به يقول بصوت واضح أنه يرى المقابر أمامه والظلام دامس ، والمنظر مخيف ، والأشباح هنا وهناك ... خفت عليه وأيقظته .

ثم عندما ذهبت أزور خالتى في الاجازة الصيفية فى بلدة فاقوس ، انتهزت الفرصة ونومت خادمتها "أم محمد " التى نامت بعد جهد جهيد حيث كانت بعين واحدة . وأخذت أجرى عليها التجارب . أعطيتها ذات مرة بعضا من السكر وقلت لها كلى هذا الملح ، فتذوقته ولفظته . ثم أعطيتها قليلا من الشطة ، وقلت لها : هذه براغيت الست (هى نوع من الحلوى للأطفال) فأكلتها ومصمصت شفتيها تلذذا . ولما أيقظتها أخذت تصرخ من احتراق لسانها من الشطة ... سألتها مرة : كيف تعرفين الشىء الذى أسألك عنه ؟ قالت : الوسيط يرينى إياه . قلت ماشكل الوسيط ؟ قالت : رجل يرتدى ملابس بيضاء ... أرسلتها مرة الى البلدة ، فانتقلت اليها فى لحظة بعد أن تنهدت . سألتها أن تصف لى ما أمام بيتنا هناك ، فقالت : إنها ترى والدتى واثنتين من خالاتى جالسين بمدخل الباب... سألت والدتى بعد أن عدت الى البلدة، فأجابت بأن خالتىّ قدمتا لزيارتها فى ذات اليوم الذى ذكرته .

وأنا في فاقوس ، وجدت أعلانات عن البروفسور الدكتور "زغلول" المنوم المغناطيسى .. كان زغلول هذا صديقى ، وكان طالبا بمدرسة الصنائع بالزقازيق . وحضر مرة وأنا أنيم سعد حرى ، وسألنى عن كيفية التنويم ، فشرحتها له وأريته كيف أنيم سعدا وكيف أوقظه ... ذهبت اليه فى دار أبيه ضمن مساكن السكة الحديد فى فاقوس .. وعلمت منه أنه قد أحترف التنويم المغناطيسى ، وأرانى بعض الخدع التى يستخدمها الى جانب التنويم ، مثل وضع شخص داخل صندوق ، ورأسه بارزة من جانب الصندوق وقدماه ظاهرتان من الجانب الآخر ، ثم يمسك بمنشار ويقطع الصندوق نصفين الى صندوقين، ثم يضم الصندوقين الى بعضهما فيخرج الشخص سالما ... الخدعة بسيطة ، وهى أن الصنوق الأصلى مقسوم الى قسمين ؟ وعندنا يدخل فيه الشخص ، فإنه يجلس فى قسم منه ويخرج رأسه من ذلك الجانب ، ثم يدفع خشبة مركبا فيها حذاءين كحذاءيه تماما ، فيظن الناس أن رأسه خارجه من جانب وحذاءيه من جانب آخر ... وهناك خدع أخرى كثيرة أرانى إياها .

كان وسيطه الذى يستخدمه شاب ضعيف الشخصية جدا ، لم يأخذ معى دقيقة واحدة لتنويمه . وأجريت عليه بعض التجارب ، إذ كان يخطىء فى ذكر أشياء أسأله عنها ، وكنت أحيانا أسأله عن أشياء لا أعرفها أنا .. سألته كيف يعرف ألاشياء التى أسأله عنها ، فقال : إن الوسيط ، وهو امرأة ترتدى ملابس بيضاء ، إما أن تريه الأشياء بذاتها ، أو تقولها له ، أو تكتبها على السبوة باللغة العبرية التى لايعرفها .

ترى هل كل رجل وسيطه امرأة ، وكل امرأة وسيطها رجل ؟ لست متيقنا من ذلك ، حيث كان يجب تكرار هذه التجربة ٣ مرات على الأقل مع ثلاث رجال وثلاث نساء .

كدت أن أنجرف نحو التنويم المغناطيسى ... فقررت التوقف عنه فورا.. وحدث ذلك بعد مقاوة للنفس التى راودتنى أن أستمر ، فالتجربة مثيرة للغاية .

الشطرنج

انشغلت بعد ذلك فى لعب الشطرنج - وكنت قد تعلمته من قبل - . فكنا نجتمع فى كلية التجارة نتدارس المواقف وكيفية معالجتها ، وكان الدكتور عز الدين فريد استاذ الجغرافيا الاقتصادية - وعميد كلية الآداب بعد ذلك - يحضر الينا الكتب التى تعلمنا الافتتاحيات المختلفة والردود عليها ، والأدوار العالمية التى لعبت من قبل . كان فريق كلية التجارة من أقوى الفرق، وفزنا ببطولة الجامعة ٤ مرات متتالية الى أن استقر الكأس عندنا .

الشطرنج لعبة عقلية مفيدة جدا ، فلا مكان للحظ فيها ، وتعلم اللاعب كيف يضع الخطط البعيدة المدى والقريبة الأمد ، كما تعلمه أن لكل فعل رد فعل على اللاعب أن يتوقعه . لهذا فإن الأكاديميات العسكرية تقرره كمادة علمية يدرسها الطلاب العسكريون المؤهلون لوظائف الضباط .

غير أن الاستغراق فى الشطرنج له خطره ، حيث أن اللاعب لايشعر بالوقت ، ويمكن أن يضيع مصالح إذا انساق الى اللعب ... فقد حدث مرة أن كنت ذاهبا لصديق لى يقطن حى السيدة زينب كى أراجع معه مادة المحاسبة ليلة الامتحان . وفى شارع السد البرانى فى طريقى الى حى السيدة ، وجدت مقهى على ناصية شارع الخليج ، ويجلس عليه عدد من لاعبى الشطرنج . قلت فى نفسى : لا بأس من الترويح عن النفس لمدة نصف ساعة .. جلست أشاهد لاعبين ، ثم لاعبت كلا منهما عدة أدوار ، وإذا بالساعة قد بلغت منتصف الليل ، ولابد أن أعود لمنزلى حتى أنام الى الفجر .

دعانى هذا الموقف الى أن أهجر الشطرنج ... فقد كاد يؤدى الى رسوبى فى الامتحان .

تفسير الزلزال

كنت وأنا طالب فى المرحلة الثانوية أواظب على الصلاة . ولم تكن الصلاة إلا حركات تؤدى ، فقد كانت عادة تعودنا عليها ، ولكنها خالية من مضمون الايمان العميق والخشوع والخضوع الى الله .

يذكرنى هذا بما رأيته فى معسكر اليهود فى معتقل هاكستب حيث كانوا يتجمعون فى الفناء يصلون ويركعون ، ويؤدون الصلاة بصوت عال لا خشوع فيه .

أرجو الا يؤاخذنى القارىء فى هذا الاستطراد ... فقد كان والدى متدينا ، وكذلك معظم أفراد عائلتنا . وكان والدى يملك مجموعة من الكتب القديمة ، كنت أتسلى بالاطلاع عليها .. ووقع تحت يدى كتاب تفسير الجلالين ، وإذ به يقول فى تفسير : " إذا زلزلت الأرض زلزالها " ، أن الزلزال ينشأ عن أن الثور الذى يحمل الأرض على أحد قرنيه ، يحب أن يستريح فينقل الأرض الى القرن الثانى ، فيقع الزلزال ... كان هذا الكتاب عتيقا ، ورقه قد اصفر من القدم .. هذا التفسير أصابنى بصدمة شديدة ، جعلتنى أتوقف علن الصلاة مادام الدين ملينا بهذه الخزعبلات . ولم أنتظم فى الصلاة بعد ذلك إلا عندما قرأت فى مجلة الرسلة - ووالدى كان مداوما على قراءتها - أن كثيرا من التفاسير القديمة قد اعتمدت على الاسرائيليات .

ذلك هو الجو الذى كنا نعيش فيه ... ضياع فى ضياع فى ضياع !!

أول اتصال مع الاخوان المسلمين

كنا قد أنشأنا ناديا ريضايا فى بلدتنا : القطاوية ، انضم اليه معظم شباب البلدة المتعلم ، وكنا ندفع كل شهر اشتراكا قدره ثلاثة قروش . وكلما تجمع مبلغ من هذه الاشتراكات ، كنا نشترى كرة قدم أو عرق خشب لننصب به (جونا) ، أو شبكة نركبها خلف (الجون) ، أو مضارب لكرة التنس ... وهكذا

وكان نشاطنا قاصرا على الأجازة الصيفية ... ولم يكن لنا مقر نمارس فيه نشاطنا إلا دواوير العائلات التى ينتمى اليها أعضاء النادى .

توجهت للشيخ محمدسليم البركى رئيس الاخوان فى بلدتنا ، وكان قد خصص غرفة من داره وشرفة وجزءا من حديقته لشعبة الاخوان المسلمين . طلبت منه أن يسمح لنا بممارسة نشاطنا الرياضى من مقر الاخوان ، فوافق بشرط أن نسمى النادى بنادى الاخوان المسلمين . وافقنا على ذلك وبدأنا نمارس النشاط الرياضى من ذلك المكان ، وبطبيعة الحال كنا نستمع لأحاديث ودروس الشيخ البركى .

فى أحد الأيام أهدانى ابن عمى المرحوم سعيد الملط بعض رسائل الاخوان المسلمين .. قرأتها بدلا من مجموعة الروايات التى كنت أحضرها معى فى أول كل عطلة صيفية ... لست أدرى ماحدث ، ولا أجد له تفسيرا إلا قول الله تعالى : " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " . ففتح الله قلبى وقرأت تلك الرسائل بالامعان الواجب .

وبعد انتهاء العطلة والعودة الى كلية التجارة ، قابلت محمد يونس الانصارى رئيس الاخوان بالكلية ، الذى صحبنى الى دار المركز العام للاخوان

المسلمين ، حيث استمعت الى حديث الثلاثاء الذى كان يلقيه الامام الشهيد كل ثلاثاء . وبعد الحديث انتظرنا حتى انصرف معظم المستمعين ، ثم ذهبنا لنسلم على فضيلة الاستاذ . سلمت عليه ، وما أشعر إلا وكأن طاقة من نور قد شملت كيانى كله ، مصداقا للحديث الشريف : " الأرواح جنود مجندة ، ماتوافق منها ائتلف ، وما تنافر منها اختلف "

صرت أداوم على زيارة المركز العام ، وكلما قابلت الامام الشهيد كان يحيينى : " أهلا يااستاذ عساف " كان قوى الذاكرة بشكل مذهل ، حيث لم أكن قد قدمت اليه إلا مرة واحدة فقط .

قررت أن أشغل وقتى مع الاخوان المسلمين فى القيام بما يفيد الوطن وما يعود خيره على المسلمين .. ولم تمض أشهر قليلة ، إلا وقد قربنى الامام الشهيد اليه ، ثم صرت أمينا للمعلومات لديه مثلما سلف ذكره .

خاتمة

كل ماأوردته فى هذا الكتاب الذى كنت أتطلع الى كتابته منذ وقت طويل ، إن هى إلا ذكريات .. وليست مذكرات ... هى ذكريات ولى زمانها ، ولكنها لازالت عالقة بالذهن وحية مهما مضى الوقت .

وهى لا تسجل تاريخا للاخوان المسلمين ، ولكنها مجرد وقائع ، للقارىء أن يستنتج منها مايشاء .. أكتبها لتعرفها أجيال شبابنا المحدثين ، وأذكر بها أصحاب جيلى ، ولتكون فيها القدوة للأجيال المستقبلة . " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين "

أما أولئك الذين شوهوا فكر حسن البنا ، وأولئك الذين فسروا الدين تفسيرا خاطئا ، وأولئك الذين ساروا على درب الخوارج فخرجوا عن الاسلام وهؤلاء الذين اتخذوا العنف سبيلا لتحقيق مآربهم الشخصية .. فإنهم لم ينهلوا من نبع الدعوة النقى الصافى ، الذى كان الشغل الشاغل لحسن البنا ، والذى نذر له حياته كلها ، فمات شهيدا فى سبيل إقامة دعائم أمة إسلامية تتبوأ مكانها الصحيح بين الأمم المتقدمة ...

أسأل الله أن يقتفى جيل اليوم خطوات حسن البنا ، فالظروف متاحة لانتشار الدعوة الاسلامية ، والصحوة الاسلامية التى بعثها الله وحده وليس للبشر فى قيامها من أثر ، لأكبر دليل على إشراقة المستقبل .

والله ولى التوفيق ،،،

المؤلـف

من تلامذة حسن البنا

ما من مرة لقيت رجل أعمال ناجح ، أو وكيل وزارة يشار اليه بالبنان ، وسألته عما إن كان فى صدر شبابه من الاخوان المسلمين ، إلا ووجدت المئات من هؤلاء الذين طبقوا مبادىء حسن البنا فى حياتهم فنالوا بها النجاح فى الدنيا ، وجزاؤهم عند الله أكبر إن شاء الله .

وأذكر من بين تلامذة الامام الشهيد ، من ظل مقيما على العهد ، حتى عندما اختلف مع الجماعة فى الرأى أو اسلوب العمل .. فأبدع كل منهم فى مجال تخصصه ، وكان لهم جميعا الأثر الواضح على الحركة الاسلامية المعاصرة .

والذين أعرفهم ممن ظلوا أوفياء للامام وفكره كثيرون ، بيد أن ذاكرتى لا تسعفنى إلا بالقليل ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا . ومنهم بالاضافة الى مؤلف هذا الكتاب ، الاخوة الفضلاء :

الشيخ احمد حسن الباقورى : وزير الأوقاف وشئون الأزهر ورئيس جامعة الأزهر الأسبق ، الذى ظل مقيما على عهده - بالرغم من اختلافه مع الجماعة - الى آخر يوم من حياته .

الدكتور عبد العزيز كامل : نائب رئيس الوزراء ووزير الاقاف وشئون الأزهر ، الذى جاهد وابتلى كثيرا فى سبيل الدعوة ومات عليها ، بالرغم من بعده عن مصر ردحا طويلا من الزمن .

الدكتور عبد المنعم النمر : وزير الأوقاف الأسبق ، والذى اتصف بالشجاعة فى الرأى والاجتهاد فى الدين بما يتمشى مع ظروف العصر ، والذى قدم للمكتبة الاسلامية مراجع يعتد بها فى شئون الدين والدنيا .

الدكتور احمد كمال ابو المجد: وزير الاعلام الأسبق ، والمفكر الاسلامى المعروف، والذى يشارك فى إذكاء الصحوة الاسلامية بمؤلفاته وكتاباته .

الشيخ محمد الغزالي : المفكر الاسلامي المعروف ، والعالم الجليل، الذى قدم للفكر الاسلامى مايصحح عقيدة المسلمين ويثبت إيمانهم ، وما يضعهم على النهج القويم نحو تحقيق أهداف الدعوة الاسلامية. إطال الله عمره وبارك فيه .

الدكتور يوسف القرضاوى :المفكر الاسلامى العالمى ، الذى ملأ الدنيا بكتاباته، وتميزت أفكاره بالوسطية والعمق .

الاستاذ أنور الجندى :الكاتب والمفكر الاسلامى الذى نهل علمه ومعرفته من قربه من الامام الشهيد فى الاربعينات ، ثم لم يزل سائرا على الدرب الى ان صار كاتبا اسلاميا عالميا .

الدكتور توفيق الشاوى : المفكر والكاتب الاسلامى الذى تعمق فى فهم الشريعة وبث علمه بين الشباب واسهم فى إشعال جذوة الصحوة الاسلامية .

الدكتور فتحى عثمان : احد زعماء الحركة الاسلامية فى امريكا حاليا، ويعمل هو وزملاؤه على وضع قواعد فقه الاقلية.

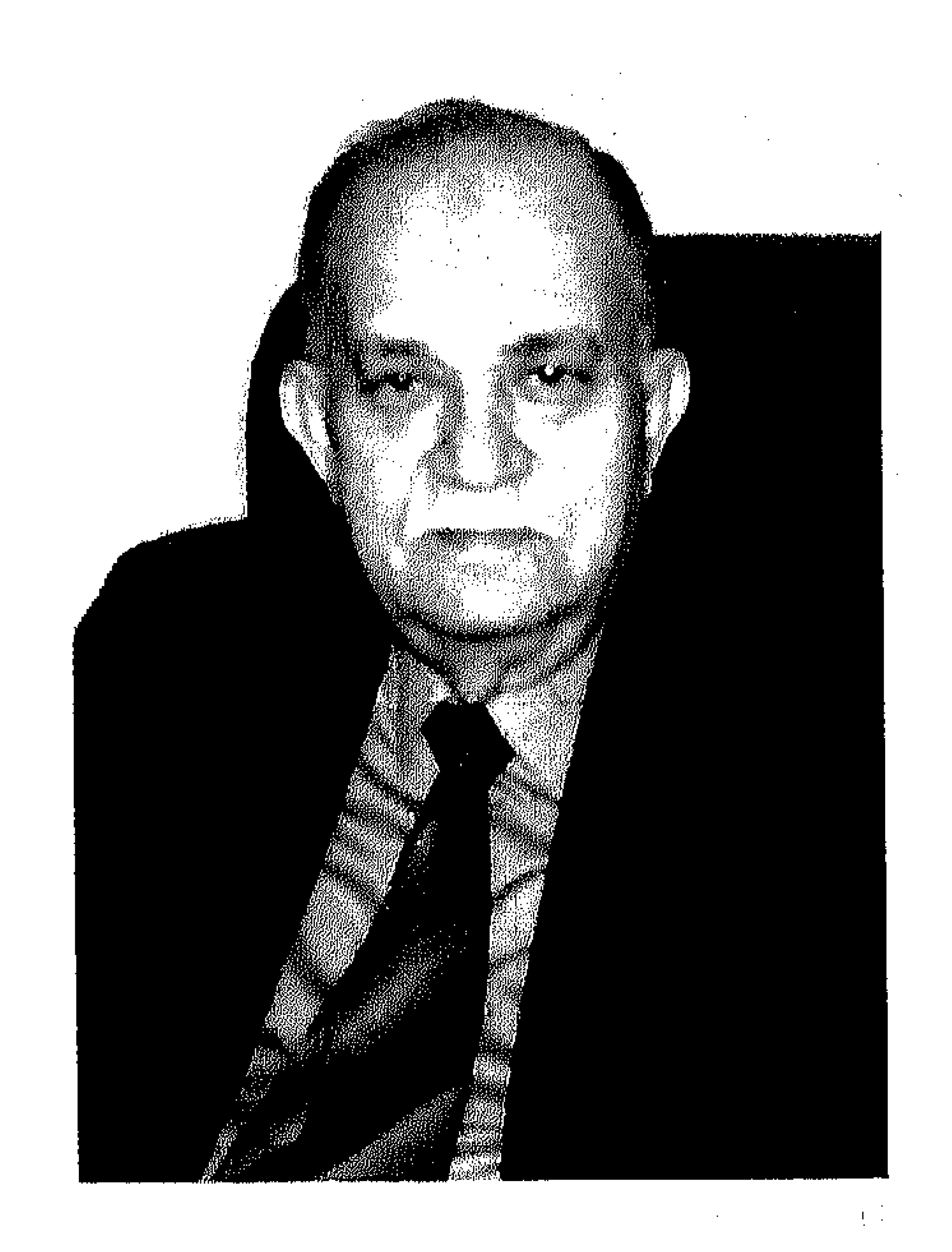
الدكتور مصطفى السباعى : رئيس الاخوان الاسبق بسوريا ، الذى سار على نهج حسن البنا الى نهاية حياته .

الشيخ أحمد محمود الصواف : عضو مجمع الفقه الاسلامى ورئيس الاخوان الأسبق بالعراق ، والذى توفى فى مكة المكرمة وهو يعد كتابا عن ذكرياته مع الامام الشهيد .

الاستاذ كامل الشريف : الوزير والصحفى الاردنى ، والذى قاد الحركة الاسلامية مع زملائه الى أن صارت فعالة فى توجيه السياسة العربية .

كل هؤلاء وغيرهم المئات ممن لازالوا على العهد أو ماتوا وهم عليه، كانوا أعضاء بالهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين .

المحتويـــــات



الأستاذ الدكتور محمود عساف

ولد فى ١٢ يناير (١٩٢١) بمحافظة الشرقية ، متزوج وله ابنان وبنت . حصل على بكالوريوس التجارة إدارة أعمال (١٩٤٣) ، ماجستير فى إدارة الأعمال (١٩٥٣) ، دبلوم عال فى الإدارة والتنظيم (١٩٥٣) ، دبلوم عال فى البورصات والقطن (١٩٥٤) ، دبلوم عالى فى التسويق (١٩٥٥) ، دكتوراه الفلسفة فى إدارة الأعمال (١٩٦٣) ، دبلوم إتحاد الاعلام بلندن (١٩٦٨) .

عمل مدير عام شركة الاعلانات العربية (١٩٤٥ – ١٩٥٠) ، مدير المبيعات بشركة مصر للمستحضرات الطبية (١٩٥٠ – ١٩٥٤) ، مدير عام شركة النيل للاعلان (١٩٥٤ – ١٩٥٥) ، مدير عام شركة الاعلانات المصرية (١٩٥٥ – ١٩٥٧) ، مدير عام الشركة العربية للاعلان والنشر ببيروت ودمشق وبغداد والكويت (١٩٥٧ – ١٩٥٨) ، مدير عام شركة النصر للتصدير والاستيراد (١٩٥٨ – ١٩٧٠) ، أستاذ كرسى إدارة الأعمال بجامعة عين شمس فرع الزقازيق (١٩٧٠ – ١٩٧٣) ، أستاذ ورئيس قسم إدارة الأعمال ، عميد كلية التجارة بالمنصورة (١٩٧٣ – ١٩٧٩) ، كما قام بالتدريس بالانتداب فى كلية الآداب قسم الصحافة وكلية التجارة بالقاهرة وعين شمس ، ومعهد التعاون والمعهد العالى للسينما (١٩٥٥ – ١٩٧٢) . عضو أكاديمية الاعلان بلندن ، عضو المجلس الأعلى للاذاعة والتليفزيون ، عضو مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عضو المجلس الأعلى للجامعات ، عضو الجمعية العمومية عن الحكومة لبعض شركات الغزل والنسيج ، عضو اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى درجة أستاذ إدارة الأعمال ، عضو المجالس المتخصصة ، له مؤلفات منها : أصول الإدارة – أصول التسويق – أصول الإعلان – إدارة المنشآت المالية – إدارة الإستيراد والتصدير – المنهج الإسلامى فى إدارة الأعمال ، . حضر العديد من المؤتمرات العالمية والدولية . حصل على نوط الامتياز من الطبقة الأولى (١٩٨٦) .

أشرف على ٤٢ رسالة ماجستير و ٢٨ رسالة دكتوراه فى إدارة الأعمال (منهم حالياً ٦ أساتذة) .

مستخرج من الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة – الهيئة العامة للاستعلامات – ١٩٩٢